

الصَّحِيحُ مِنْ الْأَشْرَافِ

حِطَّةُ الْأَمْثَلِ

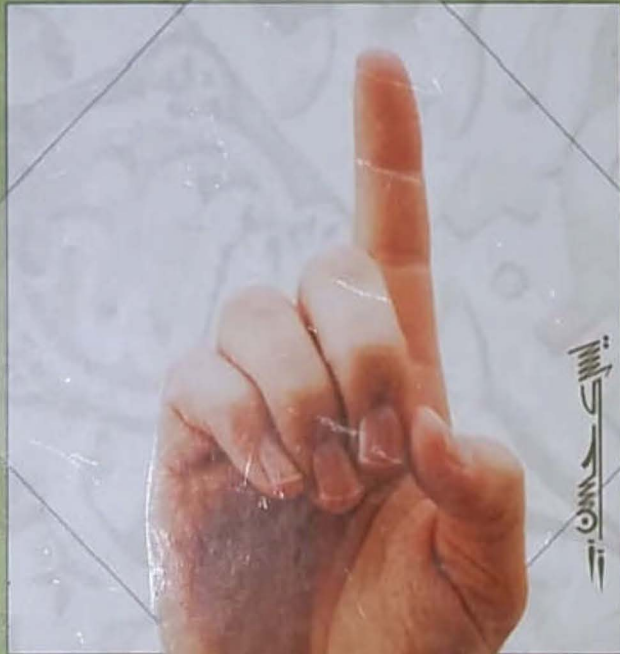
الجزء الرابع

٤

تأليف

أبي محمد القاسم بن محمد بن قاسم الأسدي

عفا الله عنه



دار الأمان

دار الأمان
الإسكندرية

التَّصْحِيحُ مِنَ الْأَثَرِ فِي

حِطِّ الْأَطْبَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: تصحيح من الآثار في خطب المنبر ج ٢

أعداد الشيخ: فيض العاصمي

رقم الإصدار: ٢٠٠٥، ٢٠١٧

نوع الغضاعة: تون واحد

عدد الصفحات: ٣٢٠

القياس: ٢٤×١٧

محمفوظات
جمتمع حقوق

تجهيزات هبية

مكتب دار الايمان للتجهيزات الهبية

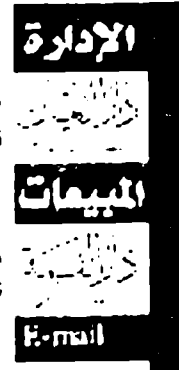
عصاف هبية وتسميم القلاف - يسري حسن

٢٠١٧

الجزء الثاني

١٦ شارع عيسى الخياط - مستشفى كامل - الاسكندرية
تلفاكسون: ٥١٢٧٢١٥ - ٥١١٩٠٦

١٦ شارع حسن الخياط - مستشفى كامل - الاسكندرية
تلفاكسون: ٥١٢٧٢١٥ - ٥٢٠٦٠٥



dar.al.ayman@hotmail.com

دار الايمان المتحدة

مدم مستشمن العصور من مشرف مديرس تومق الوادوية
مستشمن ومدم مستشمن دار الوادوية مستشمن ومدم مستشمن

جوال: ٧٧٥٢٠٩٩٢٥

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التكفة : 231).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ذٰلِكَ يُوعِظُ بِهٖ - مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (التكفة : 232).

فالموفق من وفقه الله إلى سلوك طريقه الرُّسُلِ - صلوات الله وسلامه عليهم - في دعوتهم.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿كَأَآرْسِنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايٰتِنَا وَرُزُوقَكُمْ وَصَلٰتِكُمْ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَنَعَلِكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوْا تَعْلَمُوْنَ﴾ (التكفة : 151).

فموعظة الناس بالكتاب والسنة من المطالب العالية، والمقاصد السامية، وكُلِّمَا عَظْمَ الْمَطْلُوبُ وَشَرُفَ، كَثُرَتِ الْعَوَارِضُ وَالْمَوَانِعُ دُونَهُ، كَمَا قِيلَ: «كُلَّمَا كَانَ الْفِعْلُ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ، وَأَحَبَّ إِلَى اللَّهِ - تعالى -، كَانَ اعْتِرَاضُ الشَّيْطَانِ لَهُ أَكْثَرَ».

فحريُّ بطالب العلم أن يعيظ الناس بالكتاب والسنة، فإنه لا يعدل عنهما إلى الحكايات والقصص إلا من قلَّ حظُّه من التوفيق.

اللَّهُمَّ: «يا وليَّ الإسلامِ وأهله، بُنِّني به حتى ألقاك»⁽¹⁾.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وآله، وسلِّمَ تسليمًا كثيرًا.

كسبه

رَبِّي عَمْرًا وَرَبِّي فَضِيلَ بْنَ عَمْرٍو وَرَبِّي طَاهِرًا سَبْرِي

(1) دُعَاءُ نَبِيِّ صَحِيحٍ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (653)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»

(4 / 438) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

عَظَمَةُ اللَّهِ

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

– ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذات: 102).

– ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْهُ وَطَقَّ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

– ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتات: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «عَظَمَةِ اللَّهِ».

الْعَظَمَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،

الْعَظِيمُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: 255).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة: 96، المطفلة: 52).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (المطفلة: 33).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الشَّفَاعَةِ، وَفِيهِ: «يَقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْتِدْنِ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ، وَلَكِنْ وَعِزَّتِي، وَكِرْبَاتِي، وَعَظْمَتِي، وَجِرْبَاتِي، لِأَخْرِجَنَّ مَنْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي دُعَاءِ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ...».

قَالَ قَوَامُ السُّنَّةِ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَضْبَهَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ»⁽⁴⁾:

«الْعَظَمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، لَا يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - خَلَقَ بَيْنَ الْخَلْقِ عَظَمَةً يُعَظَّمُ بِهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعَظَّمُ الْمَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِفَضْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِعِلْمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِسُلْطَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَظَّمُ لِجَاهٍ، وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِنَّمَا يُعَظَّمُ لِمَعْنَى دُونَ مَعْنَى، وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُعَظَّمُ فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ تَعْظِيمَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَأَهَمُّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مَنْ لَا يُعَظَّمُ اللَّهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح: 13). أَيُّ: مَا لَكُمْ لَا تَعْظُمُونَ اللَّهَ حَقَّ عَظْمَتِهِ.

(1) رواه البخاري (7510)، ومسلم (326 / 193).

(2) أي: لأنفضلن عليهم بإخراجهم من النار من غير شفاعة.

(3) رواه البخاري (7431)، ومسلم (2730).

(4) (41 / 1).

أيها الناس، لقد كان نبينا - ﷺ - يربي أمته على وجوب تعظيم الله - سبحانه - وتعالى . .
 ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: جاء خبر إلى
 النبي - ﷺ - ، فقال: يا محمد - أو يا أبا القاسم - إن الله - تعالى - يمسك السماوات
 يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء
 والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الملك.
 فضحك رسول الله - ﷺ - تعجباً مما قال الخبر، تصديقاً له، ثم قرأ: ﴿وما قدروا الله
 حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسماوات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى
 عما يشركون﴾ (الزمر: 67).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحه»⁽²⁾ من حديث
 ابن عمر - رضي الله عنهما - : أن رسول الله - ﷺ - ، قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر:
 ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسماوات مطويات بيمينه،
 سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ، ورسول الله - ﷺ - يقول هكذا بيده ويحركها، يقبل
 بها ويدبر، يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجع
 برسول الله - ﷺ - المنبر، حتى قلنا: ليخرن به . .

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال:
 «يقبض الله - تبارك وتعالى - الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا
 الملك، أين ملوك الأرض؟» .

(1) رواه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، واللفظ له.

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (2/ 72)، وابن أبي عاصم في «السنن» (1/ 240 / 546)، وصححه الألباني
 في «الصحيحه» (12/ 29).

(3) رواه البخاري (7382)، ومسلم (2787).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ تَأَمَّلَ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»، عَلِمَ أَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ أَوْجُهَ الْعَظَمَةِ لِلْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -؛ فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تَكُونَ أَعْظَمَ آيَةٍ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «أَبَا الْمُنْدِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَبَا الْمُنْدِرِ، أَيُّ آيَةٍ مَعَكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ». قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «لِيَهْنِ لَكَ - يَا أَبَا الْمُنْدِرِ - الْعِلْمُ».

وَالْكُرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - بَعْدَ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «كِتَابِ الْعَرْشِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعَةُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَآةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَآةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ». أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الْحَلْقَةُ؟ إِنَّهَا الشَّيْءُ الْمُسْتَدِيرُ: كَحَلْقَةِ الْحَاتِمِ وَنَحْوِهِ.

وَالْكُرْسِيُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْ الْعَرْشِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «مُخْتَصَرُ الْعُلُوِّ»⁽³⁾ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يَقْدَرُ قَدْرُهُ إِلَّا اللَّهُ».

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (1460)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (2 / 460).

(2) «صحيح» أخرجه ابن أبي شيبة في «كتاب العرش» (1 / 114)، وصحَّحه الألباني في «الصحيح» (109).

(3) «صحيح» أخرجه الحاكم في «مستدركه» (2 / 282)، وابن خزيمة في التوحيد (1 / 249) وقال الذهبي في «العلو» رجاله ثقات. انظر «مختصر العلو» للألباني (102).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ عَظْمَةَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - تَتَجَلَّى فِي خَلْقِهِ؛ لِأَنَّ عَظْمَةَ الْمَخْلُوقِ تَدُلُّ عَلَى كِمَالِ الْخَالِقِ وَعَظْمَتِهِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، وَ«سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ»، وَاللَّفْظُ لَهُ بِسَنَدِ حَسَنِ، حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ [أَي: أَنَّ كَثْرَةَ مَا فِيهَا مِنْ الْمَلَائِكَةِ قَدْ أَثْقَلَهَا حَتَّى أَطَّتْ] وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمِائَةِ جَنَاحٍ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿﴾ «.

قَالَتْ: «ذَلِكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَأَنَّهُ أَنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ فَسَدَّ الْأَفْقَ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدِ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنْ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِيهِ إِلَى عَاتِقِي مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ».

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (5/ 173)، وابن ماجه (2312) واللفظ له وصححه الألباني في «الصحيح» (2169).

(2) رواه البخاري (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البخاري (3235)، ومسلم (177).

(4) «صحيح» أخرجه أبو داود (4727)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (854).

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْعَبَّادُ - حَفَظَهُ اللَّهُ - فِي «شَرْحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَيُّ: فَإِذَا كَانَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ سَبْعُمِائَةَ عَامٍ فَكَيْفَ بَقِيَّةَ جِسْمِهِ؟ أَيُّ فَهُوَ عَلَى ضَخَامَةِ عَظِيمَةٍ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا وَقَدَرَهَا إِلَّا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - «⁽¹⁾».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنٌ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُشْنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّبْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»⁽³⁾: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنٌ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ» أَيُّ عَنْ عِظَمِ جُثَّةِ مَلِكٍ فِي صُورَةِ دِيكَ. «قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ» أَيُّ وَصَلْنَا إِلَيْهَا وَخَرَقْنَاهَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ. «وَعُنُقُهُ مُشْنِيَّةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةِ «رَبَّنَا» «فَيَرُدُّ عَلَيْهِ» أَيُّ: فَيَجِيبُهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ» أَيُّ عَظَمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي «مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا» فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظَمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجُرْأَةُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ مَنْشُؤُهَا كَمَا لُجَّ الْجَهْلُ بِاللَّهِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَفِيهِ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ جَبْرِيْلُ، قِيلَ:

(1) شرح سنن أبي داود للعباد (27 / 195).

(2) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصححه الألباني في «الصحيح» (1 / 231).

(3) (1 / 493).

(4) رواه البخاري (7515) عن أبي هريرة، ومسلم (162) عن أنس واللفظ له.

وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ - ﷺ - قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفَتَحَ لَهَا، فَإِنَّا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ - ﷺ - مُسْنِدٌ ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمُغْتَوَرِ، وَإِنَّا هُوَ بِدُخْلِهِ كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

قوله: لَا يَعُودُونَ أَنِي يَأْتِي مَلَائِكَةٌ غَيْرُهُمْ. قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ الْمَلَائِكَةِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِمَا تَحْتَمِنُهُ الْعُقُولُ، وَإِلَّا فَعِظَمَةُ اللَّهِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا عَقْلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ أَمَامَكُمْ نَافِذَةٌ وَاسِعَةٌ سِعَةُ الْكَوْنِ كُلِّهِ، إِعْجَازٌ بَاهِرٌ، وَآيَاتٌ كَرِيمَةٌ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ أَقْلَرُ يُنظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوَقَّعَهُ كَيْفَ بَلَيْتَهَا وَرَزَقَتَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿١﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْتَهَا وَالْقِيَامَةَ فِيهَا رُوسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَقْعٍ بَهِيحٍ ﴿٢﴾ تَبَعْرَةً وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُبِيسٍ ﴿٣﴾ وَرَزَقْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدِرًا فَالْبَيْتَانَا بِهِ. حَشْرًا وَحَبًّا لِلْعَبِيدِ ﴿٤﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٥﴾ رِزْقًا لِقِيَامٍ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ لِنُفْرَجَ ﴿٦﴾ (نور: 6-11).

أَيُّهَا النَّاسُ، انظُرُوا إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَدُورَانِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَتَقَلَّبَانِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى جِهَةٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١﴾ (التكوير: 29).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَمَوَاتٍ مَدِينًا وَاللَّيْلَ سَمَوَاتٍ مَدِينًا لَغِيَابٌ عَلَيْكُمْ وَالضُّلُمَاتُ تُبَدِّلُ النُّورَ وَالنُّورُ يُبَدِّلُ الظُّلُمَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢﴾ (النور: 48-49).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَاذَا نَفَعَلُ لَوْ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ؟ مَاذَا نَفَعَلُ إِذَا لَمْ يَغِبِ الْقَمَرُ؟ أَوْ مَاذَا نَفَعَلُ إِذَا لَمْ يَطْلُعِ الْقَمَرُ؟ كَيْفَ نَعِيشُ؟ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ النِّجْمِينَ وَالْحِسَابُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿مُؤْتَمِّنًا : 5﴾.

أَيُّهَا النَّاسُ، انظُرُوا إِلَى تَكْوِينِ أَنْفُسِكُمْ، وَتَرَائِبِ أَجْسَامِكُمْ، مَنْ ذَا الَّذِي جَعَلَهُ فِي هَذَا التَّرَكِيبِ الدَّقِيقِ، وَهَذَا النُّظَامِ الْعَجِيبِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿الذَّارِيَاتِ : 21﴾.

أَيُّهَا النَّاسُ، عَظَمَةُ اللَّهِ تَتَجَلَّى فِي النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، فِي الْفَاكِهَةِ وَالشَّمْرِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَمَنْ تَأَمَّلَ عَظَمَةَ اللَّهِ حَقَّ التَّأَمُّلِ قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَعَظَمَتُهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَأَنْطَلَقَ لِسَانُهُ بِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَضَعَتْ مَشَاعِرُهُ لِسُلْطَانِ اللَّهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - ثمار تعظيم الله :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن تعظيم الله - سبحانه وتعالى -
والآن حديثي معكم عن ثمار تعظيم الله.

أيها الناس، ثمار تعظيم الله لا تعد ولا تحصى، وسأذكر طرفاً منها:

فمن ثمار تعظيم الله؛ الإقرار برؤوبيته والخضوع لألوهيته، والإخلاص في عبادته، وعدم الإشراك معه غيره.

ومن ثمار تعظيم الله زيادة الإيمان؛ لأن الإيمان مبني على الإجلال والتعظيم،
ومنزلة التعظيم معه تابع للمعرفة، وعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الله - سبحانه وتعالى -
في القلب وأعرف الناس به - سبحانه وتعالى - أشدهم له تعظيماً وإجلالاً.

فالملائكة - أيها الناس - لما كانوا من أعلم الخلق بالله عظموه حق تعظيمه
فعبدوه سبحانه حق عبادته ولم يستنكفوا عن عبادته ولم يستكبروا.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ (١١)

يَسْتَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿ (الأنبياء : 19، 20).

وقال الله - سبحانه وتعالى - في وصفهم: ﴿ لَا يَسْتَفْتِنُهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته

مشفعون ﴿ (الأنبياء : 27، 28).

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (الأنبياء : 50).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن نبي الله - ﷺ - قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ أُنِي إِذَا تَكَلَّمَ بِالرُّوحِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ - ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَانًا - أُنِي خَاضِعِينَ - لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ - أَيِ الْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ كَلَامُ اللَّهِ - سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

وَمِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مَتَى أَمْتَلَأَ الْقَلْبُ بِعِظَمَةِ اللَّهِ يَجْعَلُ الْمُسْلِمَ هَادِيًّا أَلْبَالِ سَاكِنِ النَّفْسِ، فَلَا يُجْزِنُهُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ؛ فَإِنَّهُ لِكُلِّ ظَالِمٍ نِهَايَةٌ فَمَهْمَا طَفُوا وَبَغَوْا فَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يُغْلَبُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّنَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِيحُ أَيْدِيَهُمْ وَأَسَافُوهُمْ نِسَاءَهُمْ﴾ (القصص: 4).

فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ؟

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ، فَنَبَذَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الدَّارُ الْآخِرَةُ : 40).

وَمِنْ تِلْكَ الثَّمَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ مَعْرِفَتَنَا بِعِظَمَةِ اللَّهِ تُورِثُ الْقَلْبَ الشُّعُورَ الْحَيَّ بِمَعْنِيَّتِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَالَّتِي تَفِيضُ السَّكِينَةَ فِي الْمِحْنِ وَالْبَصِيرَةَ فِي الْفِتَنِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَنَّةَانَ قَالَ أُصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ (الشُّعْرَاءُ : 67).

أَيُّ: أَنَّ الْبَحْرَ أَمَامَهُمْ وَالْعَدُوَّ خَلْفَهُمْ فَأَيْنَ الْمَفْرُ؟

فِيرُدُّ عَلَيْهِمْ مُوسَى - ﷺ - بِاسْتِشْعَارِ لِعِظَمَةِ اللَّهِ وَثِقَةِ كَامِلَةٍ بِمَوْعُودِهِ وَإِيمَانِ بِمَعْنِيَّتِهِ لَهُ: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشُّعْرَاءُ : 62).

وَكُلُّ أَحَدٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا خَافَهُ الْعَبْدُ هَرَبَ مِنْهُ إِلَّا اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فَإِنَّهُ إِذَا خَافَهُ هَرَبَ إِلَيْهِ. وَمَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ⁽¹⁾.

وَحُكْمُ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ وَاجِبٌ، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ فَهُوَ آثِمٌ.
وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.
فَمِنْ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ:

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التَّغْوِيَاتُ : 175).

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: «وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وُجُوبُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، فَعَلَى قَدْرِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ يَكُونُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ»⁽²⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ (الْمَائِدَةُ : 44).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ: «أَمَرَ اللَّهُ بِخَشْيَتِهِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ، فَمَنْ لَمْ يَخْشَ اللَّهَ لَمْ يَنْكَفَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرَهُ»⁽³⁾.

وَالْخَشْيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى عِلْمٍ، فَهِيَ أَحْصُ مِنَ الْخَوْفِ وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (نُورٌ : 28). فَهَذَا خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... أَمَا وَاللَّهِ إِنْ لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ».

(1) انظر «بصائر ذوي التمييز» (2 / 577).

(2) تفسير ابن سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - (ص 157).

(3) المرجع السابق (ص 233).

فَخَوْفُ النَّبِيِّ - ﷺ - أَيُّهَا النَّاسُ - خَوْفًا مَقْرُونًا بِمَعْرِفَةٍ؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِاللَّهِ. فَعَلَيْهِ نَقُولُ: الْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْحَشْيَةُ. فَصَاحِبُ الْخَوْفِ يَلْتَجِيءُ إِلَى الْهَرَبِ وَصَاحِبُ الْحَشْيَةِ يَلْتَجِيءُ إِلَى الْإِعْتِصَامِ بِالْعِلْمِ.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «الْحَشْيَةُ خَوْفٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ يُحْشَى وَكَمَالِ سُلْطَانِهِ، فَإِذَا خِفتَ مِنْ شَخْصٍ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ يَقْدِرُ عَلَيْكَ أَمْ لَا، فَهَذَا خَوْفٌ. وَإِذَا خِفتَ مِنْ شَخْصٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ، فَهَذِهِ حَشْيَةٌ.»
وَلِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ مَنَافِعُ وَمَسَارٌ وَقَوَائِدُ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَسَوْفَ أَذْكَرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ.

فَمِنْ الْقَوَائِدِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - جَعَلَهُ شَرْطًا لِحُصُولِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التَّغْوِيَّتِ: 175).
قَالَ ابْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ: «لَا تَخَافُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا يَعْظَمَنَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُمْ، وَلَا تَرْهَبُوا جَمْعَهُمْ مَعَ طَاعَتِكُمْ إِيَّايَ، مَا أَطَعْتُمُونِي وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي، وَإِنِّي مُتَكَفِّلٌ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَالظَّفْرِ، وَلَكِنْ خَافُونِي وَاتَّقُونِي أَنْ تَعْصُونِي، وَتَخَالِفُوا أَمْرِي فَتَهْلِكُوا، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»⁽¹⁾.

وَمِنْ قَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (الْإِنْفِثَارِ: 13، 14).

(1) تفسير الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ - (4 / 184).

وَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَنْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهِ .
 قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُؤْتِيكُمْ بِهِ جِزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ (إِنَّا نَخَافُ مِنْ
 رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا) ﴿الْإِسْتِزْلَا : 10، 9﴾ .

فَمِنْ أَجْلِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ نُطْعِمُ الْمُسْكِينَ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴾
 أَيُّ أَنَّهُ يَوْمٌ طَوِيلٌ عَبُوسٌ شَدِيدٌ هَوْلُهُ عَظِيمٌ أَمْرُهُ، تَعْبَسُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنْ شِدَّةِ
 الْمَكْرُوهَاتِ الَّتِي تَرَاهَا وَيَطُولُ بَلَاءُ أَهْلِهِ وَيَشْتَدُّ؛ إِنَّهُ يَوْمٌ عَصِيبٌ ..!

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ، فِيهَا
 بِالْقُدُورِ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لِيَهُمْ حِجْرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
 تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (النُّور : 36، 37) .

فَالْخَوْفُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الَّذِي دَفَعَهُمْ إِلَى الْعَمَلِ فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ التَّجَارَةُ وَلَا
 الْمَالُ وَلَا الْمَادَّةُ وَلَا الْإِغْرَاءَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَعِمَارَتِهَا
 بِالصَّلَاةِ وَذِكْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ؛ لِأَنَّهُمْ ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾
 أَيُّ: تَضْطَرِبُ، وَتَتَقَلَّبُ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِطَاعَتِهِ فَهُمْ - أَيُّهَا
 النَّاسُ - يُرِيدُونَ النِّجَاةَ وَيَحْذَرُونَ الْهَلَاكَ، وَيَخَافُونَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ،
 يَخَافُونَ أَنْ يُؤْتُوا كُتُبَهُمْ بِشِمَالِهِمْ، كَذَلِكَ يَعْمَلُونَ .

فَمِنْ فَوَائِدِ الْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَقْمَعُ الشَّهَوَاتِ وَيُكَدِّرُ اللَّذَاتِ، فَتَصِيرُ
 الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةُ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً مُكَدَّرَةً .

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ تَكْدِيرَ اللَّذَائِدِ الْمُبَاحَةِ،
 فَالرَّسُولُ - ﷺ - «اسْتَمْتَعَ بِمُبَاحَاتِ الدُّنْيَا، وَهُوَ إِمَامُ الْخَائِفِينَ وَهُوَ الْقَائِلُ كَمَا
 فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : «حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُبْيَاكُمْ النَّسَاءِ وَالطَّيْبِ، جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽¹⁾.

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللهِ يُكَدِّرُ الْأَذَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ بِتَذَكُّرِ عَذَابِ اللهِ وَوَعِيدِهِ مِنْ وَقَعِ فِيهَا فَالزَّانِي - أَيُّهَا النَّاسُ - لَوْ تَذَكَّرَ عَذَابَ اللهِ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ تَكَدَّرَتْ لَدُنُّهُ بَلْ وَتَذَكَّرَ - فَقَطُّ - مَا يَسْطَرُّهُ فِي قَبْرِهِ نَتَكَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّذَّةُ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكَذَلِكَ قَاتِلُ النَّفْسِ بِشَارِبِ الْحَمْرِ وَالنَّسَارِقُ وَمَنْ يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَمَنْ يَظْلِمُ النَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ أَعْرَاضِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ نُو عَلِمَ هَوْلَاءِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مَا سَطَّرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي قَبْرِهِمْ وَيَوْمَ حَشْرِهِمْ لَذَاقُوا مَرَارَةَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلْخَائِفِ مِنَ اللهِ فِي الدُّنْيَا لَهُ مَنَزِلَةٌ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَيُّ مَنَزِلَةٍ. فَمِنْ مَنَزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَرْضَى عَنْهُ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (البَيْتَةُ : 8).

أَيُّ أَنَّ الرِّضَا مِنَ اللهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ خَافَ اللهُ، فَأَحْجَمَ عَنْ مَعَاصِيهِ، وَقَامَ بِهَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

وَمِنْ مَنَزِلَةِ الْخَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ لَهُ جَنَّاتٍ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (التَّحْنُوتُ : 46).

أَيُّ أَنَّ الَّذِي خَافَ رَبَّهُ فَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَقَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، لَهُ جَنَّاتٍ.

أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا الْجَنَّاتُ؟ إِنَّهَا جَنَّاتٌ مِنْ ذَهَبٍ آيْتُهُمَا وَحَلِيَّتُهُمَا وَبُنْيَانُهُمَا وَمَا

فِيهَا. وَقَدْ وَصَفَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - تِلْكَ الْجَنَّاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَرَانَا أَفْنَانٍ﴾ (التَّحْنُوتُ : 48).

(1) (صحيح) أخرجه أحمد (11884). والنسائي في «عشرة النساء» (3939)، وصححه الألباني في

(صحيح الجامع) (3124).

أَيُّ ذَوَاتَا أَنْوَاعٍ وَأَصْنَافٍ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ النَّعِيمِ وَأَنْوَاعِهِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - تِلْكَ الْجَنَّتَانِ بِأَوْصَافٍ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فِيهَا عِجَانٌ

تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رِزْقَانِ ﴿٥٢﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾

مُشْكِبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ

الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لِنِسِّ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْحَانُ ﴿٥٨﴾

فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَيْكَمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿ (التَّحْنُوتُ : 50-60) .

وَمِنْ مَنزِلَةِ الْحَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ وَالنَّعِيمِ الْعَظِيمِ

مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشِيرٍ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - :

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ

نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (التَّحْنُوتُ : 15-17) .

وَمِنْ مَنزِلَةِ الْحَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ آمِنًا فَلَا يَخَافُ أَبَدًا.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعْبِ الْإِيمَانِ» وَابْنُ الْمُبَارَكِ

فِي «الزُّهْدِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي الْحَدِيثِ

الْقُدْسِيِّ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ وَأَمْنِينَ، إِذَا هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا؛

أُمَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ فِي الْآخِرَةِ»^(١).

(1) «حسن» أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (1 / 51) من حديث الحسن مرسل، وأخرجه ابن حبان

(2 / 406) والبيهقي في «شعب الإيمان» (1 / 483)، من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

قال الدارقطني في «العلل» (8 / 38): إنها يعرف من حديث الحسن مرسلًا، وأخرجه الطبراني في

«مسند الشاميين» (1 / 266)، وأبو نعيم في «الحلية» (1 / 270) من حديث شداد بن أوس -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4332).

وَمِنْ مَنزِلَةِ الْحَائِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَسْتَظِلُّ فِي ظِلِّ اللَّهِ كَمَا فِي
 «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -:
 «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، ... وَذَكَرَ مِنْهُمْ «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ
 مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ مَنزِلَةِ الْحَائِفِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَبِّشُهُ بِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

(التكوير: 17، 18).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) أخرجه البخاري (1423)، ومسلم (1031).

الخطبة الثانية - أسباب الخوف من الله :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن الخوف من الله، والآن حديثي معكم عن «أسباب الخوف من الله».

فمن أسباب الخوف من الله - أيها الناس - طلب العلم الشرعي.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (تعالى : 28).

«لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه، وإذا لم يعرفه لم يخف منه، فلذلك خص العلماء بالخشية»⁽¹⁾.

ومعلوم أن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع ذلك أكثر الناس عبادة لله - سبحانه وتعالى - وأشدهم خوفاً منه وطمعاً في رحمته⁽²⁾، وكذلك أهل العلم.

ومن الأسباب الجالبة للخوف من الله - أيها الناس - إجلال الله وتعظيمه فإن ذلك يقتضي الخوف والهيبه منه - سبحانه وتعالى - وهذا فائدة معرفة أسمائه وصفاته. فمن علم أن ربه متقم شديد العقاب، متكبر، مهيم، على كل شيء قدير خافه ولاذ بجنايه.

لهذا كان أعظمهم له خوفاً وخشية أشدهم له تعظيماً.

(1) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (1 / 1637).

(2) أضواء البيان (16 / 144).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَفَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
(الْمُحْتَلِكُ : 50).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ - أَي: إِذَا تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ - ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَاتًا - أَي خَاضِعِينَ - لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ - أَي الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ كَلَامُ اللَّهِ - سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُرِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي عَظَمَةِ اللَّهِ.

وَقَدْ كَانَ نَبِينَا - ﷺ - يُرَبِّي أُمَّتَهُ عَلَى وُجُوبِ تَعْظِيمِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ! - إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُجُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِيَمِينِهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الرَّحْمَنُ : 67).

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «أَذِنَ لِي أَنْ

(1) رواه البخاري (4424).

(2) رواه البخاري (7451)، ومسلم (2786)، واللفظ له.

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (4727)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (854).

أَحَدْتُ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةٍ عَامٍ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللَّهَ أُذُنِي لِي أَنْ أَحَدْتُكَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعَنْقُهُ مُشْنٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيُرَدُّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِكَ كَاذِبًا».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ «التَّيْسِيرُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ»⁽²⁾: «إِنَّ اللَّهَ أُذُنِي لِي أَنْ أَحَدْتُكَ عَنْ دِيكَ» أَيُّ عَنْ عِظْمِ جُنَّةِ مَلِكٍ فِي صُورَةِ دِيكَ. «قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ» أَيُّ وَصَلْنَا إِلَيْهَا وَخَرَقْنَاهَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ. «وَعَنْقُهُ مُشْنٌ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ» زَادَ فِي رِوَايَةِ «رَبَّنَا» «فَيُرَدُّ عَلَيْهِ» أَيُّ: فَيُجِيبُهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: «لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ» أَيُّ عِظْمَةَ سُلْطَانِي وَسَطْوَةَ انْتِقَامِي «مَنْ حَلَفَ بِكَ كَاذِبًا» فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظْمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِظْمِ خَالِقِهَا لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ فَالْجُرْأَةُ عَلَى الْيَمِينِ الْكَاذِبِيَّةِ مَنْشُؤُهَا كَمَالُ الْجَهْلِ بِاللَّهِ. وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جَنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا».

(1) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (6503)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (1/ 231).

(2) (1/ 493).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (5/ 173)، والترمذي (2312) وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه

(14190) واللفظ له، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (2169).

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
 قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَنْفَعُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ، شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الْقِسْمَاتِ : 33).

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفَكُّرُ فِي النَّارِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ الْعِظَامِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّمَا لِاحْدَى الْكَبِيرِ﴾ (الْمُنَادِ : 35).

فَهَذَا أَعْظَمُ إِنذَارٍ كَبُرَتْ مُنْذِرَةٌ دَاهِيَةٌ عَظِيمَةٌ أَعْظَمُ الدَّوَاهِيِ.
 قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «مَا أَنْذَرْتَ الْخَلَائِقُ بِشَيْءٍ قَطُّ أَخْضَعَ مِنْهَا».
 وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الْكَافِرَاتِ : 28).

وَمِنَ الْأُمُورِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ سِيرِ الْخَائِفِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ، وَأَحْمَدِ بْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ خَلَّابٍ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ الَّذِينَ عَنْهُمْ ابْنُ الْمُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِقَوْلِهِ:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ ○○○ فَيُسْفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ رُكُوعٌ
 أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا ○○○ وَأَهْلُ الْأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوعٌ
 لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُودٌ ○○○ أَنْبِيَاءُ مِنْهُ تَنْفِرُجُ الضُّلُوعُ
 وَخَرَسَ بِالنَّهَارِ لِطُولِ صَمْتِ ○○○ عَلَيْهِمْ مِنْ سَكَيْتِهِمْ خُشُوعٌ

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِيَةِ لِلْخَوْفِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ.

فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - يَسْأَلُ اللَّهَ الْحَشِيَّةَ، وَالْحَشِيَّةُ هِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعِلْمٍ - كَمَا تَقَدَّمَ - فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا نَحْوُلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْبَيِّنِ مَا يُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقَوَاتِنَا مَا أَخْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَسُنَنِ النَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ يَدْعُو بِهِذَا الدُّعَاءُ: «... اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ».

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ بِهِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٌ، وَنَسْتَعِيدُكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ بِهِ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ، اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحْوُلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

(1) «حسن» رواه الترمذي (3502)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (1268).

(2) «صحيح» رواه أحمد (17861)، والنسائي (1306)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (1301).

الرجاء

3

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغْوِيَاتُ : 102).

- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِزَابُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الرَّجَاءِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ هُوَ سَوَاطِئَ اللَّهِ يَسُوقُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَى الْمُوَظَّابَةِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَإِنَّ «الرَّجَاءَ» كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «حَادٍ يَحْدُو بِهِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ، وَيَطَيِّبُ لَهُ الْمَسِيرَ، وَيَجْتَنُّهُ عَلَيْهِ، وَيَبْعَثُهُ عَلَى مُلَازِمَتِهِ. فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ. فَإِنَّ الْخَوْفَ وَحْدَهُ لَا يَحْرِكُ الْعَبْدَ، وَإِنَّمَا يَحْرِكُهُ الْحُبُّ، وَيُزَعِّجُهُ الْخَوْفُ وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ» (١).

فَالْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّيْرُ جَيْدٌ الطَّيْرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ، لَكِنَّ السَّلْفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصَّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يَقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ»⁽¹⁾.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ «الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ «التَّمَنِّي» يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ، وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَ«الرَّجَاءُ» يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالْأَوَّلُ - «كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ لَهُ أَرْضٌ يَبْدُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا.

وَالثَّانِي - كَحَالِ مَنْ يَشْتَقُّ أَرْضَهُ وَيُفْلِحُهَا وَيَبْدُرُهَا، وَيَرْجُو طُلُوعَ الزَّرْعِ.

لِهَذَا أَجْمَعَ الْعَارِضُونَ أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصْلِحُ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ وَرَدَ الرَّجَاءُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَسَادَّكُرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ. فَمِنْهَا:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ (الْإِنشِرَافُ : 57).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «فَابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، فَذَكَرَ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ: الْحُبُّ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ»⁽³⁾.

(1) المرجع السابق (1 / 517).

(2) المرجع السابق (2 / 217 - 218).

(3) «مدارج السالكين» (2 / 35).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - مُخْبِرًا عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١) فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَّرُوا ﴿ (مَعْتَقِلًا : 44، 45).

فَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمَّا خَسَّنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - وَقَالَ: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَيُّ أُسَلِّمُهُ إِلَى اللَّهِ لِيُعْصِمَنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ كَانَ الْجَوَابُ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَّرُوا﴾. وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿قُلْ يَتَّبِعِدَى الَّذِينَ أَتَرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الْبُرُجُ : 53).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَى كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، مِنَ الشُّرْكِ وَالْقَتْلِ، وَالزَّانَا، وَالرَّبَّاءِ، وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ»^(١).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَيَأْسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ كُلَّهَا، وَلَيْسَ الْخِطَابُ لِمَنْ عِنْدَهُمْ مَعَاصٍ قَلِيلَةٌ بَلْ لِمَنْ أَسْرَفُوا وَكَثُرَتْ مَعَاصِيهِمْ.

فَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ بِالرَّجَاءِ، وَالْكَرِيمِ إِذَا أَمَرَ بِالرَّجَاءِ لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الْكَرَمُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أَبَائِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَائِي، يَا

(1) تفسير ابن سعد (736).

(2) «حسن» أخرجه الترمذي (2/270)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4338).

ابن آدم! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفيرة.

أيها الناس إن الله - سبحانه وتعالى - قد فتح لنا بابا عظيما ألا وهو باب الرجاء. ففي الحديث - بشارة عظيمة، وحلم وكرم عظيم، ومالا يخفى من أنواع الفضل والإحسان، والرافة والرحمة والامتنان.

والرجاء - أيها الناس - أساسه حسن الظن بالله - سبحانه وتعالى - ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - ﷺ - : «يقول الله - سبحانه وتعالى - أنا عند ظن عبدي بي إذا ذكرني فليظن بي عبدي ما شاء».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قوله: «أنا عند ظن عبدي بي أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به»⁽²⁾.

أيها الناس إنه متى عظم الرجاء بالله وأيقن أن الله - سبحانه وتعالى - سيغفر له وعظم ذلك في قلبه فقد حصل له مطلوبه؛ لأنه قام في قلبه إحسان الظن به وإعظام الرغبة إليه، والمراد بالظن هنا العلم لقوله تعالى: ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ كما نبه على ذلك ابن أبي جمرة - رحمه الله -⁽³⁾.

أيها الناس إن أحاديث الرجاء أضعاف أحاديث الخوف وما ذاك إلا لعظم أهميته؛ ولأن اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله كفر بالله العظيم.

(1) «صحيح» رواه أحمد في المسند (3/491)، وابن حبان (633/634)، والحاكم في المستدرک (340/4) من حديث وائلة بن الأسقع - رضي الله عنه -.

وأخرجه - أيضا - أحمد (2/315، 445)، والبخاري (7505)، ومسلم (7675)، والبعقوي في شرح السنة (1225) وابن حبان (639) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(2) الفتح (13/385).

(3) فيض القدير (4/642).

قَالَ الطَّبِيُّ قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : « قَدْ تَبَعْتُ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ فِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَوَجَدْتُ أَحَادِيثَ الرَّجَاءِ أضعافَ أَحَادِيثِ الْخَوْفِ مَعَ ظُهُورِ الرَّجَاءِ فِيهَا قُلْتُ لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَدِيثٌ وَاحِدٌ وَهُوَ سَبَقَتْ أَوْ غَلِبَتْ رَحْمَتِي عَلَى غَضَبِي لَكُفَى دَلِيلًا عَلَى تَرْجِيحِ الرَّجَاءِ وَيَعْضُدُهُ آيَةٌ : ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأثراف : 156) .
بَلْ هُوَ أَمْرٌ مُشَاهِدٌ فِي عَالِمِ الْوُجُودِ فِي غَلْبَةِ آثَارِ الرَّجَاءِ عَلَى آثَارِ الْخَوْفِ »⁽¹⁾ .

وَهَا أَنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذْكَرُ بَعْضَ أَحَادِيثِ الرَّجَاءِ تَرْغِيبًا لِلسَّائِرِينَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «أَرْبَعُونَ خِصْلَةً - أَعْلَاهُنَّ مَنْجِيَةُ الْعَزِيزِ - مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخِصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابِهَا وَتَصَدِيقٍ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ»⁽³⁾ .

وَالْمَنْجِيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ عِنْدَهُ غَنَمٌ وَفِيهَا حَلِيبٌ فَيَمْنَحُهَا لِفَقِيرٍ يَحْلُبُهَا وَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا فَإِذَا انْتَهَى الْحَلِيبُ مِنْهَا أَرْجَعَهَا لِصَاحِبِهَا .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَاذْنَبَ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَبْدِي أذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ - ثُمَّ عَادَ فَاذْنَبَ . فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتَ لَكَ» .

(1) مرثاة المفاتيح (5/317) .

(2) رواه البخاري (2631) .

(3) رواه البخاري (2631) .

(4) رواه البخاري (7 - 750) ، ومسلم (2758) واللفظ له .

فهذا العبدُ - أيها الناسُ - علمَ بذنبيه وعلمَ أنه معاقبٌ عليه من الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - إن شاء وعلمَ أن الله غفارُ الذنبِ وقابلِ التوبِ من عباده رجَعَ إلى الله رجاءَ رحمته وخوفًا من عقابه كانَ ذلك سببًا في قبولِ توبته بخلافِ من ظنَّ أن الله تخفى عليه خافيةٌ فإنه كافرٌ بلا شكٍ فله ما أعظمَ الرجاء! وما أعظمَ نفعه! وما أحوجَ العبدَ إليه وإلى تعلُّمه وفهمه!

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»¹ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ». الْحَدِيثُ..

وفيه: «قَالَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحْجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرَجُوا مِنْ عَزْفَتُمْ فَتَحَرَّمْ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا..... الْحَدِيثُ».

أيها الناس أبشروا بفرحة الله واسعة كل شيء.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: 156).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»² مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ لِلَّهِ مِائَةٌ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ، فَبِهَا يَتَعَاطُونَ وَبِهَا يَتْرَاحُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخْرَجَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) رواه البخاري (7439)، ومسلم (183) واللفظ له.

(2) رواه البخاري (6000)، ومسلم (2752) واللفظ له.

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدَخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا».

وفي لفظ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هَذَا فَكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تَذَنْبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (2194) واللفظ له، ومسلم (2751).

(2) رواه مسلم (2755).

(3) رواه مسلم (2767).

(4) رواه مسلم (26).

(5) رواه مسلم (2749).

الخطبة الثانية - وصية رسول الله ﷺ قبل موته :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ الرَّجَاءِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ وَصِيَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ لَكُمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَذْكَرُ لَكُمْ نَقْطَةً
مُهْمَةً وَهِيَ أَنْ الرَّجَاءَ لَا يَصْحُحُ إِلَّا مَعَ الطَّاعَةِ كَمَا قَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «عَلَامَةُ
صِحَّةِ الرَّجَاءِ حُسْنُ الطَّاعَةِ»⁽¹⁾.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ رِجْلَاهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ
لَكَ مِمَّا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ؟. فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟».

فَهَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَمْ يَزِدْ إِلَّا اجْتِهَادًا فِي الْعَمَلِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ
لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأْخُرَ.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِذْفَ النَّبِيِّ
ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. فَقَالَ: «يَا مَعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا
حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟». قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنْ حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ
يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذِبَ مَنْ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تَبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا».

(1) «مدارج السالكين» (2/ 218).

(2) رواه البخاري (19)، ومسلم (81).

(3) رواه البخاري (2856) واللفظ له، ومسلم (30).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ قَالَ العلماءُ: «يُؤَخِّدُ مَنْ مَنَعَ مَعَاذَ مَنْ تَبَشِيرِ النَّاسِ لِئَلَّا يَتَكَلَّمُوا أَنَّ أَحَادِيثَ الرَّخِصِ لَا تُشَاعُ فِي عَمُومِ النَّاسِ؛ لِئَلَّا يَقْصَرَ فَهْمُهُمْ عَنِ الْمُرَادِ بِهَا».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وقد سمعها معاذ فلم يزد إلا اجتهاداً في العمل، وخشية لله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فأما مَنْ لم يبلغ منزلته فلا يأمن أن يقصر اتكالا على ظاهر الخبر».

أيها الناس قبل أن أودع مقامي هذا أذكركم بوصية رسول الله ﷺ قبل موته.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لَا يَمُوتُنْ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

قال الحافظ المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي لا يموتن في حال من الأحوال إلا في هذه الحالة وهو حسن الظن بالله - تعالى - بأن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه لأنه إذا احتضر لم يبق لخوفه معنأ بل يؤدي للقنوط»⁽²⁾.

فهذا - أيها الناس - الذي يجب أن يكون عليه العبد إذا جاءه الموت وانقطع العمل.

ففي سنن الترمذي بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحة»⁽³⁾ من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟».

قال: «والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي». فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد مثل في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف».

(1) رواه مسلم (2877)، وأبو داود (3113).

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير (2/977).

(3) «حسن» أخرجه الترمذي (983) وقال حديث حسن غريب وحسنه الألباني في «الصحيحة»

أيها الناس هكذا كان حال السلف عند الموت فكان أحدهم يأمرُ بنيه عند الموت أن تقرأ عليه آيات الرحمة⁽¹⁾ حتى تخرج روحه وهو محسن الظن بالله أنه يغفر له ويرحمه ويستقبله بالإنعام فما ظنكم برب العالمين أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين؟!

إذا أمسى فراشي من ترابٍ ○●○ وصرتُ مجاورَ الرب الرحيم
فهنوني أحبائي وقولوا ○●○ لك البشري قدمت على كريم

ها هنا وقفة مع الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ فعن فقيرِ بنِ مسكينٍ قال: دخلتُ على الشافعيٍّ أعودُهُ في مرضٍ موته فقلتُ له: كيف أصبحتَ يا أبا عبدِ الله؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً وإخواني مفارقاً، ولكأسِ المنيةِ شارباً، ولا أدري أروحي تصيرُ إلى الجنةِ فأهنيها أم إلى النارِ فأعزِّيها؟ وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي ○●○ جعلتُ الرجاءَ مني لعفوك سُلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرئتُ ○●○ بعفوك ربِّي كان عفوك أعظماً⁽²⁾

«ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

(1) روي ذلك عن سليمان التيمي كما في السير (6/199)، وتهذيب الكمال (12/12).

(2) «دليل الفالحين» لابن علان (2/361).

شَطْرُ الْإِيمَانِ

4

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْقَبَاتِ : 102).

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءِ : 1).

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِزَابِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْوُضُوءِ».

وَالْوُضُوءُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرُهُ عَظِيمٌ وَفَضْلُهُ جَلِيلٌ.

فَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ شَطْرُ الْإِيمَانِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ».

(١) رواه مسلم (223).

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكَمُ الرِّبَاطُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوْ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرَةِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطْشَتَهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

(1) رواه مسلم (251).

(2) رواه مسلم (244).

(3) رواه مسلم (245).

(4) رواه مسلم (234).

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ نُورٌ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ خَلِيلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ يَلْبَغُ الْوُضُوءُ».

وَالْحِلْيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ النُّورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَرَادَ بِالْحِلْيَةِ هَا هُنَا التَّحْجِيلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «النِّهَايَةِ»⁽²⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ عَلَامَةٌ تَمَيِّزُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عِنْدَ وُرُودِ الْخَوْضِ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مَحْجَلِينَ مِنْ أَنْارِ الْوُضُوءِ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ فَضَائِلِ الْوُضُوءِ لَكِنَّ الْوُضُوءَ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ تِلْكَ الْفَضَائِلُ هُوَ الْوُضُوءُ الْحَسَنُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ». وَتَقَدَّمَ - أَيْضًا - فِي حَدِيثِ عُقْبَةَ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ».

وَهَا أَنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذْكَرُ لَكُمْ صِفَاتِ وُضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا هَدْيَ أَحْسَنُ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ.

فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النِّيَّةُ وَهِيَ أَنْ يَنْوِيَ الْوُضُوءَ بِقَلْبِهِ لِمَا فِي «الصحيحين»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

(1) رواه مسلم (250).

(2) النِّهَايَةُ (1/345).

(3) رواه البخاري (1)، ومسلم (1907).

(4) رواه البخاري (136)، ومسلم (246).

وَلَا يَنْطِقُ بِالنَّبِيِّ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا، وَلِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْإِخْبَارِ بِمَا فِيهِ.

ثُمَّ التَّسْمِيَةُ بَعْدَهَا يَقُولُ: بِاسْمِ اللَّهِ لَمَّا فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ وَالتَّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ».

ثُمَّ غَسَلَ الْوَجْهَ كُلَّهُ ثَلَاثًا مِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ عَرَضًا وَمِنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ إِلَى أَسْفَلِ اللَّحْيَةِ طَوَّلًا.

وَمِنْ الْوَجْهِ الْمَضْمُضَةُ وَهِيَ غَسْلُ الْفَمِ وَتَحْرِيكُ الْمَاءِ فِيهِ، وَالِاسْتِنْشَاقُ وَهُوَ إِيْصَالُ الْمَاءِ إِلَى دَاخِلِ الْأَنْفِ وَجَذْبُهُ بِالنَّفْسِ إِلَى أَقْصَاهُ.

وَالِاسْتِنْشَارُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْمَاءِ مِنَ الْأَنْفِ بَعْدَ الْاسْتِنْشَاقِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْرُطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْوَجْهَ بِمَا فِيهِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْوُضُوءِ

يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾
(لِلتَّائِيَةِ : 6).

فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِغَسْلِ الْوَجْهِ مُطْلَقًا وَفَسْرُهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفِعْلِهِ

وَتَعْلِيمِهِ فَمَضْمُضٌ وَاسْتِنْشَاقٌ فِي كُلِّ وُضُوءٍ تَوَضَّأَهُ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ) قَالَ: قِيلَ لَهُ:

تَوَضَّأْنَا لَنَا وَضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَكْفَأَ مِنْهَا عَلَى يَدَيْهِ، فَغَسَلَهُمَا ثَلَاثًا ثُمَّ

أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهُ، فَمَضْمَضَ وَاسْتِنْشَقَ مِنْ كَفِّ وَاحِدَةٍ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، ثُمَّ

أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ وَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ

(1) «حسن» أخرجه أبو داود (101)، وابن ماجه (398)، والترمذی (25) وحسنه الألبانی في «الإرواء» (81).

(2) رواه البخاري (185)، ومسلم (235).

إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ رَأْسَهُ، فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ
وَأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ وُضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ غَسْلُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى لِقَوْلِ اللَّهِ
- سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿يَتَأْتِيهَا الذَّبَابُ فَأَمْسُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ (لِلثَّلَاثَةِ : 6).

وَالِإِلَى هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَعْنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الْمِرْفَقَيْنِ فِي الْغُسْلِ وَيَجِبُ
- أَيْضًا - إِدْخَالُ الْكَفَّيْنِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَغْفُلُ عَنْ ذَلِكَ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْرَطَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - أَمَرَ بِغَسْلِ الْيَدَيْنِ
إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَفَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفَعْلِهِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ فغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضْدَيْنِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى أَشْرَعَ
فِي السَّاقَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ».

ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ مَسْحُ الرَّأْسِ كُلِّهِ مِنْ مَقْدَمِهِ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْهُ الْأُذُنَانِ فَيُدْخِلُ
سَبَاحَتَيْهِ فِي صِمَاحَيْهِمَا، وَيَمْسَحُ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَهُمَا.

يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ (لِلثَّلَاثَةِ : 6).

وَالْبَاءُ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلْإِلْصَاقِ فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ «أَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ».

وَيُؤَيِّدُ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَنَا لَهُ مَاءٌ فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرِ (أَيِ قَدَحٍ مِنْ جِيدِ النَّحَّاسِ)
فَتَوَضَّأَ فغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِهِ وَأَدْبَرَ بَدَأَ
بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمْ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ».

(1) رواه مسلم (246).

(2) رواه البخاري (185)، ومسلم (235).

وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْأُذُنَيْنِ مِنَ الرَّأْسِ لَأَتْهَمَا مِنْهُ. فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ
بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأُذُنَانِ مِنَ الرَّأْسِ».

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي غَسْلُ الرَّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَعَ الْعِنَايَةِ بِالْعَقَبَيْنِ.

يَقُولُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (لِلتَّائِلَةِ : 6).

بِنَضْبِ «أَرْجُلَكُمْ» عَطْفًا عَلَى الْمَغْسُولَاتِ.

و﴿إِلَى﴾ هُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَعْنَى «مَعَ» فَيَجِبُ إِدْخَالُ الْكَعْبَيْنِ فِي الْغُسْلِ وَلَا
يَجُوزُ أَنْ يُفَرِّطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِغَسْلِ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَفَسَّرَهُ
النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَتَّقِمِ فِيهِ قَوْلُهُ: «وَعَسَلَ رِجْلَيْهِ حَتَّى
أَشْرَعَ فِي السَّاقَيْنِ».

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - وَضُوءُ النَّبِيِّ ﷺ فَمَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ صَلَّى
رَكَعَتَيْنِ بِخُشُوعٍ وَحُضُورٍ قَلْبٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ مُهْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ دَعَا بِإِنَاءٍ
فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، فغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ
(وَاسْتَشْرَبَ)، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ
غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ
وُضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (443)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (84).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (158)، وَمُسْلِمٌ (226).

الخطبة الثانية - ما ينقض الطهور :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْوُضُوءِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ نَوَاقِضِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أَذْكَرَ نَوَاقِضَ الْوُضُوءِ أَذْكَرْكُمْ بِسُنَّتِهِ.

فَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - السَّوَاكُ فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مَعْلَقًا
مَجْزُومًا بِهِ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ».

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - غَسْلُ الْكَفَيْنِ فِي أَوَّلِ الْوُضُوءِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صِفَةِ وُضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ:
«فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ فغَسَلَهُمَا».

إِلَّا إِذَا كَانَ مُسْتَيْقِظًا فَإِنَّهُ يَجِبُ غَسْلُهُمَا عَلَى الصَّحِيحِ لِمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَيْقِظَ أَحَدُكُمْ مِنْ
نَوْمِهِ فَلَا يَغْمَسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ».

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - غَسْلُ الْأَعْضَاءِ ثَلَاثًا عَدَا الرَّأْسَ فَيَمْسَحُ مَرَّةً
وَاحِدَةً فَقَطْ.

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مَعْلَقًا مَجْزُومًا بِهِ (4/158)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5316).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (159)، وَمُسْلِمٌ (226).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (162)، وَمُسْلِمٌ (278).

لحديث مُرَّانَ مولى عُثْمَانَ الْمُتَقَدِّمِ فِيهِ أَنَّهُ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ⁽¹⁾.

وَبُتِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً مَرَّةً».

وَبُتِّ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ: «تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ».

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ مَرَّتَيْنِ وَالْبَعْضُ ثَلَاثًا لَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَسَلَ بَعْضَ أَعْضَائِهِ مَرَّتَيْنِ وَبَعْضَهَا ثَلَاثًا.

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَحْلِيلُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ لِمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ لَقَيْطِ بْنِ صَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَيَالِغْ فِي الْأَسْتِنَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا».

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بَعْدَ الْوُضُوءِ لِمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁶⁾ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ

(1) تقدم نخرجه.

(2) رواه البخاري (156).

(3) رواه البخاري (157).

(4) رواه البخاري (185)، ومسلم (191).

(5) «صحيح» أخرجه أبو داود (142)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (129).

(6) رواه البخاري (6433)، ومسلم (226).

فيسبغ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

وَمِنْ سُنَنِ الْوُضوءِ صَلَاةُ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْوُضوءِ.

لَمَّا فِي «الصحيحين» مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضوئِي هَذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرْتُ بَعْضَ سُنَنِ الْوُضوءِ هَا أَنَا أَذْكَرُ لَكُمْ نَوَاقِضَ الْوُضوءِ.

فَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَارِجُ مِنَ السَّبِيلَيْنِ كَالْبَوْلِ وَالْغَائِطِ وَالرَّيْحِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ (التَّائِبَةُ : 6).

وَلَمَّا فِي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ: مَا الْحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: فِسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ.

وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَنِيُّ وَالْوَدْيُ وَالْمَذْيُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ «البيهقي»⁽²⁾ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «المنِّي، والودْيُ، والمذْيُ: أَمَّا الْمَنِيُّ فِيهِ الْغَسْلُ، وَأَمَّا الْمَذْيُ وَالْوَدْيُ فَفِيهِمَا إِسْبَاغُ الْوُضوءِ».

وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوْمُ الْمُسْتَفْرَقُ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ إِدْرَاكٌ وَلَا سِيًّا إِذَا شَكَّ أَنْ رِيحًا خَرَجَ مِنْهُ.

وَكَذَا الْجَنُونُ وَالْإِغْمَاءُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْمَزِيلَةِ لِلْعَقْلِ.

(1) رواه البخاري (135) واللفظ له، ومسلم (225).

(2) «صحيح» أخرجه البيهقي (1/115).

وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَسُّ الْفَرْجِ بِلَا حَائِلٍ .
 لِمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ
 بُسْرَةَ بِنْتِ صَفْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ» .
 وَمِنْ نَوَاقِضِ الْوُضُوءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَكْلُ لُحُومِ الْإِبِلِ .

لِمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا
 تَتَوَضَّأْ» . قَالَ: أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ» .

اللَّهُمَّ فَفَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَكَ عَلَى بَصِيرَةٍ .
 اللَّهُمَّ وَفَقِّهْنَا لِلْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ .

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (181)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (116) .

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (360) .

الإسراء والمعراج

5

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 192).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا كَثِيرًا وَمِنَاةً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَّقُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُصْلِحْ اللَّهُ فَرَّحْنَا بِهِ فَرَحًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 70-71).

أما بعد، فإنَّ أصدقَ حديثِ كتابِ اللهِ، وخَيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرُّ الأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد - حَيْثِي مَعَكُمْ يَوْمَ - يَوْمِ النَّاسِ - عَنِ «الإسراء والمعراج».

يَوْمِ النَّاسِ مِنَ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ حَدِيثَانِ مُتَلَازِمَانِ وَمِتْرَادِفَتَانِ ثَابِتَانِ بِنَصِّ نَبِيِّ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ نَبَوِيَّةِ نَصَّحِيحَةٍ فَمَنْ نَصَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَلَى أَنْ مَعْجَزَةٌ بِالإِسْرَاءِ قَدْ مَنَّتْ نِيلاً حِينَ تَمَّ تَقَدُّرُ رَسُولِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ إِخْرَامٍ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ إِلَى مَسْجِدِ لَأَقْصَى فِي نَقْدِ شَرِيفِ بَارِضِ فَسْطِينِ أ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِنْ مَّابِينِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الأنشلة : 1).

وَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

السَّبْحُ فِي اللُّغَةِ التَّبَاعُدُ وَالْمَعْنَى يَنْزِعُ اللَّهُ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ وَيَعْظُمُهَا عَمَّا لَا يَنْبَغِي وَقَوْلُهُ: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ أَيُّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَنِسْبَةُ النَّبِيِّ إِلَى رَبِّهِ بِوَصْفِ الْعُبُودِيَّةِ غَايَةُ الشَّرَفِ لِلرُّسُولِ ﷺ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ كَثِيرٌ فَلَمْ خَصَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالذِّكْرِ؟ ذَلِكَ لِتَخْصِيصِهِ بِالشَّرَفِ الْعَظِيمِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَيْلًا﴾ إِنَّمَا قَالَ ﴿لَيْلًا﴾ مَعَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ تَأْكِيدَ تَقْلِيلِ مُدَّةِ الْإِسْرَاءِ؛ فَإِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ لِحُرْمَتِهِ أَيُّ لَشَرَفِهِ عَلَى سَائِرِ الْمَسَاجِدِ؛ لِأَنَّهُ خُصَّ بِأَحْكَامٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ.

وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ قِيلَ؛ لِأَنَّهُ مَقَرُّ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبَطُ الْمَلَائِكَةِ، لِذَلِكَ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١١﴾﴾.

أَيُّ إِلَى حَيْثُ وَجَّهَنِي رَبِّي أَيُّ إِلَى بَرِّ الشَّامِ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ بِتَعْرِيفِ اللَّهِ إِيَّاهُ أَنَّ الشَّامَ مَهْبَطُ الرَّحْمَاتِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْوَجْهِ يَكُونُ بِالشَّامِ وَأَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ كَانُوا بِهَا.

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿لِنُرِيَهُ، مِنْ مَّابِينِنَا﴾ أَيُّ مَا رَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ.

وَأَمَّا الْمِعْرَاجُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَهُوَ الْإِنْتِقَالُ بِالرُّسُولِ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ، لِتَصِلَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَلِيَطَّلَعَ بِحَوَاسِهِ وَدُونَ شَكِّ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى.

قَالَ اللهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٧﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١١﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَنْشَى السِّدْرَةَ مَا يَفْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَنَ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ ﴾ (الجنَّة: 13-18).

ومما جاء في تفسير الآيات - أيها الناس - قوله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ . أي رأى رسول الله ﷺ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مرةً أُخْرَى نازلاً إليه .

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ . قَالَ : رَأَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جَبْرِيلَ لَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاحٍ .

وفي «الصحيحين»⁽³⁾ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَأَيْنَ قَوْلُهُ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ ﴾ . قَالَتْ : ذَلِكَ جَبْرِيلُ ، كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ ، وَإِنَّ آتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي صُورَتِهِ فَسَدَّ الْأُفُقُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ .

هِيَ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَعْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَيَنْزِلُ إِلَيْهَا مَا يَنْزِلُ مِنَ اللَّهِ - فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - جَبْرِيلَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عِنْدَ جَنَّةِ الْمَأْوَى ﴾ .

أَيُّ الْجَنَّةِ الْجَامِعَةُ لِكُلِّ نَعِيمٍ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ .

(1) رواه مسلم (175).

(2) رواه البخاري (4857)، ومسلم (174).

(3) رواه البخاري (3235)، ومسلم (177).

وقوله تعالى: ﴿إذ يفتن اليندره ما يفتن﴾ .

أي يغشاها من أمر الله شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله - سبحانه وتعالى - .

وقوله تعالى: ﴿ما زاع البصر وما طعن﴾ . أي: ما زاع يمنة ولا يسرة عن مقصوده. و

﴿وما طعن﴾ أي: ما تجاوز البصر. وهو كمال الأدب منه ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ .

أي من الجنة والنار وغير ذلك من الأمور التي رآها ﷺ ليلة أسري به⁽¹⁾.

أيها الناس لقد ادعى بعض الناس أن الإسراء كانت رؤيا منامية والذي دل عليها الكتاب والسنة وإجماع الأمة أن الإسراء حصلت بالروح والجسد.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «إنها كانت رؤيا عين بالروح والجسد يقظة لا مناما».

وقال ابن حجر رحمه الله: «إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد البعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك، إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل»⁽²⁾.

أيها الناس ذلك ما أجمله القرآن في الإسراء والمعراج! وقد فصلته السنة أعظم التفصيل وبينته أحسن البيان.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل، ففرج صدري، ثم غسله بهاء زمزم ثم جاء

(1) انظر «تفسير السعدي» (819) بتصرف يسير.

(2) انظر «الفتح» (44 / 15) وزاد المعادن (99 / 1) حيث نص على أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة.

(3) رواه البخاري (3342، 1636، 349)، ومسلم (163).

بطست من ذهبٍ ممتليءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَعَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَعَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا....».

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ (وَهُوَ دَابَّةٌ أَيْضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحَمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مَنتهى طرفه) قَالَ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلِيقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ. فَجَاءَنِي جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَأَخْرَجْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةَ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى ابْنَ زَكَرِيَّا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا - ، فَرَحَّبَا وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ

(1) رواه البخاري عن أبي هريرة (7515)، ومسلم (162) واللفظ له.

إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِأَفْرَسٍ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَرَفَعْتَهُ مَكَانًا عَظِيمًا﴾ (مَرْكَبُهُ: 57).

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ.

ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيْلُ، فَقِيلَ: مِنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدٌ ظَهْرُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِنْدْرَةِ الْمُسْتَهَيِّ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ، قَالَ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَلِيلَةً.

فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟

قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَيْرُهُمْ.

قَالَ: فَارْجِعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبُّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ: فَلَمْ أَزَالُ أُرَاجِعُ رَبِّي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ وَحَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تَكْتُبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً.

قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه. وأستغفر الله.

الخطبة الثانية - عظمة الصلاة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ عَنْ «عِظْمَةِ الصَّلَاةِ».

وَالصَّلَاةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْرُهَا جَلِيلٌ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ شَأْنِهَا
وَعُلُوِّ قَدْرِهَا أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَمْ يَفْرَضْهَا فِي الْأَرْضِ بِوَسْطَةِ جِبْرِيلَ، وَإِنَّمَا
فَرَضَهَا بِدُونِ وَسْطَةِ لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ الصَّلَاةُ فَرَضَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ خَفَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
عَلَى عِبَادِهِ فَفَرَضَهَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَهِيَ خَمْسُونَ فِي الْمِيزَانِ وَخَمْسُ
فِي الْعَمَلِ.

جَاءَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ قَالَ: «خَفَّفَ عَلَيْنَا أُعْطَانًا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ حَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ فَإِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ، وَأَعْظَمُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ
وَدَعَائِمِهِ الْعِظَامِ وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنْ عَمَلِهِ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الإِزْوَاءِ» مِنْ حَدِيثِ
مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَفِرْوَةٌ
سِنَامِهِ الْجِهَادُ».

(1) رواه البخاري (7515).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قَالَ: «بُئِيَ
الإسلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ،
وَلِيَتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحُجُّ الْبَيْتِ».

وأخرج الطبراني في الأوسط بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألباني في «الإرواء»⁽²⁾ مِنْ
حَدِيثِ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
الصَّلَاةُ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدَّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكَرْكُمْ بِأَخْرِ وَصِيَّةِ أَوْصِيَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ
أُمَّتَهُ وَهُوَ يُودَّعُ الدُّنْيَا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألباني في «الإرواء»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ
سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ مِنْ أَخْرَ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «الصَّلَاةُ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ». حَتَّى جَعَلَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يُجْلِجِلُهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِإِدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ حَيْثُ ينادى لَهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ،
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) رواه البخاري (8)، ومسلم (16).

(2) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (1/409)، وصححه الألباني بمجموع طرقه كما في
«الصحيحة» (3/346).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (6/290)، وصححه الألباني في «الإرواء» (7/238).

6 الخشوع في الصلاة

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتنبات: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْخُشُوعُ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَقَدْرُهُ جَلِيلٌ فَهُوَ سَبَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

(المؤمنون: 1-2).

أَي خَائِفُونَ سَاكِنُونَ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الْخُشُوعُ هُوَ السَّكُونُ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالتَّوَدُّةُ وَالتَّوَاضُّعُ وَالْحَامِلُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَمِرَاقَبَتُهُ»^(١).

(1) تفسير ابن كثير (6/418).

ومحل الخشوع - أيها الناس - في القلب وثمرته على الجوارح.

دل على ذلك ما جاء في سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَرْبَعِ».

فدل هذا الدعاء على أن الخشوع محل القلب وهو يزيد وينقص فمنهم من يبلغ خشوعه عنان السماء ومنهم من يخرج من صلاته لم يعقل شيئا كما في مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث عمارة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ مَا يَكْتُبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرَهَا، تَسْعَاهَا، ثَمْنَهَا، سَبْعَهَا، سُدْسَهَا، خَمْسَهَا، رُبْعَهَا، ثُلُثَهَا، نِصْفَهَا».

فدل الحديث - أيها الناس - على أن الأجر حاصل بحسب الخشوع.

وحكم الخشوع - أيها الناس - أنه واجب على الصحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥)».

وهذا يقتضي ذم غير الخاشعين والذم لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرم. وإن كان غير الخاشعين مذمومين دل ذلك على وجوب الخشوع.

ويدل على وجوب الخشوع فيها - أيضا - قوله تعالى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الذين

هم في صلاتهم خاشعون) (١) ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ (1-2). إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠)

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (3729)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2769).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (321/4)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (1626).

الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴿الْمُؤْتَوَاتَى : 10-11﴾. أَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَرْتُونَ فِرْدَوْسَ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَرْتُهَا غَيْرُهُمْ^(١).

ومما جاء في فضل الخشوع ووعيد من تركه - أيها الناس - :

ما أخرجه أبو داود في سننه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ، مَنْ أَحْسَنَ وَضَوَّاهُنَّ، وَصَلَاهُنَّ
لَوْ قِيَمْنَ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ،
فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مَقْبَلٍ عَلَيْهِمَا
بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : «جَمَعَ ﷺ بِهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنْوَاعَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ؛
لَأَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْأَعْضَاءِ وَالْخُشُوعَ فِي الْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ»^(٤).

وفي «صحيح مسلم»^(٥) من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«مَا مِنْ أَمْرِيءٍ مُسْلِمٍ تَحَضَّرَهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا
وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِكَبِيرَةٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

(1) الفتاوى (553/22).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (425)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3242).

(3) رواه مسلم (234).

(4) عون المعبود (1/198).

(5) رواه مسلم (228).

والخشوع في الصلاة - أيها الناس - إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وأثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرّة عين كما جاء في مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبَّ لِيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»⁽²⁾.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (3/128)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3124).

(2) انظر «تفسير ابن كثير» (5/456).

الخطبة الثانية - أسباب الخشوع :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «أَهْمِيَةِ الْخُشُوعِ» وَالآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْخُشُوعَ هُوَ السَّبَبُ الْأَهْمُ لِقَبُولِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ
الدِّينِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، بَلْ إِنَّهُ لَيْسَهُلَّهَا وَيَجِبُّهَا إِلَى النُّفُوسِ.

قَالَ ابْنُ سَعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥١﴾﴾ .
«أَيُّ فَإِنَّهَا سَهْلَةٌ عَلَيْهِمْ خَفِيفَةٌ؛ لِأَنَّ الْخُشُوعَ وَخَشْيَةَ اللَّهِ وَرَجَاءُ مَا عِنْدَهُ يَوْجِبُ لَهُ
فَعْلَهُ مَنْشَرِحًا بِهَا صَدْرُهُ لِرَقَبِهِ لِلثَّوَابِ وَخَشْيَتِهِ مِنَ الْعِقَابِ، كَمَا أَنَّ الْخُشُوعَ هُوَ
الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ»^(١).

وَلَنْ يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى الْخُشُوعِ الْحَقِيقِيِّ إِلَّا إِذَا أَخَذَ بِالْأَسْبَابِ الْمَوْصَلَةِ إِلَيْهِ.

فَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِبْرَاهَانُ الصَّادِقُ بِمَا يَتَرْتَبُ عَلَى الْخُشُوعِ مِنْ
فَضْلِ عَظِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْإِحْسَاسِ بِالسُّكُونِ وَالطَّمَأِينَةِ وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيَحْسُنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا
وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِذَنْبٍ كَبِيرٍ وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

(1) تفسیر ابن سعدي (51).

(2) رواه مسلم (228).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الاستعدادُ لِلصَّلَاةِ وَيَحْضُلُ بِأُمُورٍ مِنْهَا التَّرْدِيدُ مَعَ الْمُؤَدِّنِ وَالِإِتْيَانُ بِالذُّعَاءِ الْمَشْرُوعِ بَعْدَهُ، وَإِحْسَانُ الْوُضُوءِ وَالِاعْتِنَاءُ بِالسَّوَالِكِ وَأَخْذُ الزَّيْنَةِ بِاللِّبَاسِ الْحَسَنِ الطَّيِّبِ الرَّائِحَةِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ ﴿يَبْنِيءُ آدَمَ خُدُوءًا وَيَنْتَكِرُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الاعتراف: ٣١).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَلْبَسْ ثَوْبِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ مَنْ تَزِينُ لَهُ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ إِلَى سِتْرَةٍ وَالدُّنُوءُ مِنْهَا فَذَلِكَ أَحْفَظُ لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ مَرُورِ النَّاسِ وَلِئَلَّا يَشُوشَ عَلَى نَفْسِهِ.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث سهيل بن أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَصِلْ إِلَى سِتْرَةٍ، وَلْيَكُنْ مِنْ سِتْرَتِهِ لَا يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْحِكْمَةُ مِنَ السُّتْرَةِ كَفُّ الْبَصَرِ عَمَّا وَرَاءَهُ وَمَنْعُ مَنْ يَجْتَازُ بِقُرْبِهِ وَتَمْنَعُ الشَّيْطَانِ الْمُرُورَ، وَالتَّعَرُّضُ لِإِفْسَادِ صَلَاتِهِ»^(٣).
وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّظَرُ إِلَى مَوْضِعِ السُّجُودِ.

ففي مستدرک الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين ووافقه الألباني في «صفة الصلاة»^(٤) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى طَأَطَأَ رَأْسَهُ وَرَمَى بَبْصَرِهِ نَحْوَ الْأَرْضِ».

(١) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١/ 28)، وصححه الألباني في «الصحيح» (1369).

(٢) «صحيح» أخرجه أبو داود (692)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (650).

(٣) شرح النووي على مسلم (4/ 216).

(٤) «صحيح» أخرجه الحاكم (1/ 479)، وصححه الألباني في «صفة الصلاة» (ص 89).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الطَّمَأِينَةُ فِي الصَّلَاةِ وَفِي جَمِيعِ الْأَرْكَانِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا عَلَّمَ الْمَسِيءَ صَلَاتَهُ كَانَ يَقُولُ لَهُ فِي كُلِّ رُكْنٍ: «حَتَّى تَطْمِئِنَّ». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثٍ

وَالطَّمَأِينَةُ: هِيَ السُّكُونُ بِقَدْرِ الذِّكْرِ الْوَاجِبِ، فَلَوْ لَمْ يَسْكُنْ لَمْ يَطْمِئِنَّ⁽²⁾.
وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرَقَةُ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ، لَا يُتَمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَلَا خُشُوعَهَا».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَذَكَرَ الْمُصَلِّيَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ.
فَفِي «مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ» لِلدَّيْلَمِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحْرِيٌّ أَنْ يَحْسُنَ صَلَاتَهُ وَصَلَّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنْ يَصَلِّيَ صَلَاةَ غَيْرِهَا، وَإِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَدَرُ مِنْهُ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْتِيلُ الْقُرْآنِ وَتَحْسِينُ الصَّوْتِ بِهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝١﴾ (الْمُرْتَلِّكَ : 4).

وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (757)، وَمُسْلِمٌ (392).

(2) انظر «حاشية ابن قاسم على الروض» (2/126)، و«الشرح الممتع» (3/421).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (11549)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (986).

(4) «حسن» أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (1/51) وحسنه الألباني في «الصحيح» (1421).

(5) «صحيح» أخرجه الحاكم (1/575) وصححه الألباني في «الصحيح» (771).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَعْلَمَ الْمُصَلِّيُ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يُجِيبُهُ فِي صَلَاتِهِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ قَالَ اللَّهُ مُجِدِّنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ اللَّهُ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

وهذا - أَيُّهَا النَّاسُ - حديثٌ عظيمٌ لو استحضره كلُّ مُصَلٍّ لحصلَ له خشوعٌ بالغٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - . ولا شك أن المصلي يُناجي رَبَّهُ فليُنظِرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ؟

ففي مستدرِكِ الحاكمِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّيُ إِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيُنظِرْهُ كَيْفَ يُنَاجِيهِ».

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فالعبدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ غَارَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَامَ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ فَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فَإِنْ عَجَزَ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ فَيَذْكُرُهُ الضَّيْعَةَ وَالْأَوْلَادَ وَالْمَالَ وَالْعِقَارَ فَيَقُومُ مِنْ صَلَاتِهِ كَمَا دَخَلَ فِيهَا وَقَدْ عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ دَعَاءَ مَنْ قَلْبٌ غَافِلٍ لَاهٍ.

(1) رواه مسلم (395).

(2) «صحيح» أخرجه الحاكم في «مستدرِكِهِ» (1/236)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (1538).

وَلِمُوجِهَةِ كَيْدِ الشَّيْطَانِ أَرشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعِلَاجِ .
ففي «صحیح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي العاصِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ
الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاعَتِي يَلْبَسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«ذَلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ حَتْرَبٌ فَإِذَا أَحْسَنْتَهُ فْتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتَّقِلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا» .
قَالَ: ففعلتُ ذلك فأذهبهُ اللهُ عَنِّي .

وَمِنْ أَسْبَابِ الْخُشُوعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْكُ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ .
ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ
أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا يَزَالُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مُقْبِلٌ عَلَى
الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَمِثْ فَإِذَا التَمِثَ انْصَرَفَ عَنْهُ» .

وَالْإِلْتِفَاتُ فِي الصَّلَاةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى قِسْمَيْنِ الْأَوَّلُ التَّفَاتُ الْقَلْبِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

وَالثَّانِي التَّفَاتُ الْبَصَرِ، وَكِلَاهُمَا مِنْهُي عَنْهُ وَيُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الْمَصَلِّي .
ففي «صحیح البخاري»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْإِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ
صَلَاةِ الْعَبْدِ» .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْخَاشِعِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خُشُوعَ الْقُلُوبِ وَخُضُوعَ
الجوارِحِ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِرَّةً إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ .

(1) رواه مسلم (2203) .

(2) «حَسَنٌ» رواه أبو داود (909)، وحسنه الألباني في «التَّارِغِيبِ» (1/360-361) .

(3) رواه البخاري (751) .

سُنَنُ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا

7

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذيات: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتهاد: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «سُنَنِ قَلِّ الْعَمَلِ بِهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا مَا أَكْثَرَ السُّنَنَ الْمَهْجُورَةَ الثَّابِتَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلٍ أَوْ

فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ!

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

(التغذيات: 31).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ الْآيَةُ حَاكِمٌ عَلَى كُلِّ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَيْسَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ. فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمَحْمُودِيَّ وَالِدِينَ النَّبَوِيِّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ ...

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. أَي: بِاتِّبَاعِكُمْ الرَّسُولَ يَخْصُلُ لَكُمْ هَذَا كُلُّهُ بِرَكَّةِ سَفَارَتِهِ⁽¹⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الْأَنْبِيَاءُ: 21).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَضَلُّ كَبِيرٌ فِي النَّاسِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ»⁽²⁾.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْعَرَبِيَّاتِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مَوْدَعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟

فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَظَمُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قَالَ الْعَلَامَةُ الْعَبَادُ حَفِظَهُ اللَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ بِحُصُولِ التَّفَرُّقِ وَكَثْرَتِهِ أُرْشِدًا إِلَى طَرِيقِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ وَذَلِكَ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَخُلَفَاؤِهِ الرَّاشِدُونَ هُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِلَافَتَهُمْ بِأَنَّهَا خِلَافَةٌ نُبُوَّةٌ.

(1) تفسیر ابن کثیر (1/319).

(2) تفسیر ابن کثیر (4/211).

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (4607)، وصحَّحهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (937).

ففي سنن أبي دود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث
سفيانة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خِلاَفَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ
الْمَلِكَ أَوْ مَلِكُهُ مَنْ يَشَاءُ».

وَقَدْ انْتَهَتْ تِلْكَ الثَّلَاثُونَ بِمَوْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ حَثَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ بِقَوْلِهِ:
«فَعَلَيْكُمْ». وَهِيَ اسْمُ فَعْلٍ أَمْرٌ ثُمَّ أُرْشِدَ إِلَى شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِقَوْلِهِ: «وَعَضُّوا عَلَيْهَا
بِالنَّوَاجِدِ». وَالنَّوَاجِدُ هِيَ الْأَضْرَاسُ، وَذَلِكَ مُبَالَغَةٌ فِي شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِهَا⁽²⁾.

أَرَأَيْتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى أَيِّ مَدَى بَلَغَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْوَصِيَّةِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ
خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ.

فَانْتَبَهُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - لِلدُّخْلَاءِ عَلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ يُقَسِّمُونَ الدِّينَ إِلَى
قَشُورٍ وَلِبَابٍ فَيَصِفُونَ السُّنَنَ بِأَنَّهَا قَشُورٌ وَالْقَشُورُ كَمَا تَعْلَمُونَ يُرْمَى بِهَا مِثْلَ قَشْرِ
الرَّمَانِ وَلَيْسَ فِي دِينِ اللَّهِ شَيْءٌ يُرْمَى بِهِ بَلْ فِيهِ مُهِمٌّ وَأَهْمٌ وَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ يُعْطَى كُلَّ
حَقٍّ حَقَّهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ فِي الْعَمَلِ بِالسُّنَّةِ ثَوَابًا عَظِيمًا وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا أَجْرًا جَزِيلًا.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ
أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (4646)، وصححه الألباني في «الصحيح» (460).

(2) فتح القوي المتين شرح الأربعين للعباد (83).

(3) رواه مسلم (2674).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث المنذر بن جبر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ خَيْرٍ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ».

قال النووي رحمه الله: «فِيهِ الْحُثُّ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ، وَمَنْ السُّنَنِ الْمُسْتَحَبَاتِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ»⁽²⁾.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «السُّنَّةُ الَّتِي تَرَكْتُ، ثُمَّ فَعَلَهَا الْإِنْسَانُ فَأَحْيَاهَا، فَهَذَا يُقَالُ عَنْهُ أَسَنَّهَا، بِمَعْنَى أَحْيَاهَا، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَشْرَعْهَا مِنْ عِنْدِهِ»⁽³⁾.

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - قِلَّةُ الْعُنَايَةِ بِالسُّوَالِ وَالِاهْتِمَامِ بِهِ⁽⁴⁾، فَهَذَا السُّوَالُ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا السُّوَالُ؟! السُّوَالُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ الصَّنْعَانِيُّ فِي «سُبُلِ السَّلَامِ»: قَالَ فِي «الْبَدْرِ الْمُنِيرِ»: ذُكِرَ فِي السُّوَالِ زِيَادَةٌ عَلَى مِائَةِ حَدِيثٍ، فَوَاعَجَبًا لِسُنَّةٍ تَأْتِي فِيهَا الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ ثُمَّ يُهْمَلُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ فَهَذِهِ خَبِيَّةٌ عَظِيمَةٌ»⁽⁵⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا أَنْ الْمَقَامَ لَا يَتَسَعُ لَسَرِدَتْ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ لِأَلْقِيَتُهَا عَلَى مَسَامِعِكُمْ! لَكِنْ يَكْفِي أَنْ أَسْمَعَكُمْ حَدِيثًا وَاحِدًا كَمَا قِيلَ يَكْفِي مِنَ الزَّادِ مَا يُبْلِغُ الْمَحَلَّ.

ففي «الصحيحين»⁽⁶⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسُّوَالِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ».

(2) شرح النووي على مسلم (4/113).

(1) رواه مسلم (1017).

(3) فتاوى ابن عثيمين (7/360).

(4) انظر كتاب الوصية ببعض السنن المنسية هيفاء بنت عبد الله الرشيد (ص 41). وقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة.

(5) «سبل السلام» (1/40).

(6) رواه البخاري (887)، ومسلم (252).

والسواك - أيها الناس - لا يستحب في أوقات الصلاة فقط بل كما قال النووي رحمه الله: «السواك مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحباباً، إحداهما: عند الصلاة، والثاني: عند الوضوء، والثالث: عند قراءة القرآن، والرابع: عند الاستيقاظ من النوم، والخامس: عند تغير الفم. وتغيره يكون بأشياء: منها الأكل والشرب، ومنها أكل ماله رائحة كريهة، ومنها طول السكوت، ومنها كثرة الكلام»⁽¹⁾.

ومن تلك السنن التي قل العمل بها - أيها الناس - المبالغة في الاستنشاق عند الوضوء، وكذلك التخليل بين الأصابع.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً».

ففي الحديث - أيها الناس - دليل على التخليل بين الأصابع والمبالغة في الاستنشاق لغير الصائم لئلا ينزل إلى حلقه ما يفطره.

ومن تلك السنن التي قل العمل بها - أيها الناس - الوضوء قبل الغسل من الجنابة. ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث ميمونة رضي الله عنها أنها قالت: «أذنت لرسول الله ﷺ غسله من الجنابة، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً، ثم أدخل يده في الإناء ثم أفرغ به على فرجه وغسله بشماله، ثم ضرب بشماله الأرض فدنكها دنكاً شديداً، ثم

(1) شرح النووي على مسلم (2/146).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (142)، والترمذي (38) وقال: (هذا حديث حسن صحيح). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (927).

(3) رواه البخاري (274)، ومسلم (317) واللفظ له.

تَوْضُأً وَضَوْءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ خَفَنَاتٍ مَلءَ كَفَّهُ ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ».

وَمِنَ السُّنَنِ الْمُنْسِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ النَّافِلَةِ عَلَى الرَّاحِلَةِ فِي السَّفَرِ وَلَوْ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَأْسِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي التَّطَوُّعَ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي غَيْرِ الْقِبْلَةِ.

وَفِي لَفْظِ «لِلْبُخَارِيِّ»^(٣) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَأْسِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ فَإِذَا أَرَادَ الْفَرِيضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ.

أَيُّهَا النَّاسُ هَا قَدْ تَيَسَّرَتْ لَنَا وَسَائِلُ السَّفَرِ الْمَرِيحَاتِ كَالسِّيَارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ فَمَا أَجْمَلَ أَنْ نُطَبِّقَ السُّنَّةَ حَيْثُ تَوَجَّهْنَا فَإِذَا حَدَثَ لَنَا حَدِيثٌ تَكُونُ خَاتِمَةً حَسَنَةً - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

وَمِنَ السُّنَنِ الْمُنْسِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - رَدَّ الْمُصَلِّي السَّلَامَ بِالْإِشَارَةِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِي لِحَاجَةٍ ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَأَشَارَ إِلَيَّ.

(1) رواه البخاري (1093).

(2) رواه البخاري (1094).

(3) رواه البخاري (400).

(4) رواه البخاري (1217)، ومسلم (540).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَحْرِيمُ رَدِّ السَّلَامِ فِيهَا بِاللَّفْظِ، وَأَنَّهُ لَا تَضُرُّ الْإِشَارَةُ بَلْ يُسْتَحَبُّ رَدُّ السَّلَامِ بِالْإِشَارَةِ»⁽¹⁾.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَرَزْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ إِشَارَةً وَقَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: إِشَارَةٌ بِأَصْبُعِهِ».

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قُلْتُ لِبَلَالٍ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ حِينَ كَانُوا يُسَلِّمُونَ. قَالَ: يُشِيرُ بِيَدِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمْ يَكُنْ - أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يَرُدُّ بِيَدِهِ وَلَا بِرَأْسِهِ وَلَا بِإِصْبَعِهِ إِلَّا فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ إِشَارَةً».

وَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - مُتَابَعَةُ الْمُؤَذِّنِ وَالْمَقِيمِ وَقَوْلُ مِثْلِ مَا يَقُولُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ

(1) شرح النووي على مسلم (31/3).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (925)، وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (858).

(3) «صحيح» أخرجه أبو داود (927)، والتِّرْمِذِيُّ (368) وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (185).

(4) رواه البخاري (611)، ومسلم (383)، وأبو داود (522)، والتِّرْمِذِيُّ (208)، وابن ماجه (820).

(5) رواه مسلم (385)، وأبو داود (527).

قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ .»

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ ذَهَبَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ فِي الْإِقَامَةِ مُتَابَعَةُ الْمُقِيمِ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُقِيمُ كَمَا يَتَّبِعُ فِي أَذَانِهِ.

قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ فِي الْإِقَامَةِ مِثْلَ مَا يَقُولُ»⁽¹⁾.
وَمِنَ السُّنَنِ الَّتِي قَلَّ الْعَمَلُ بِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَقِبَ الْأَذَانِ وَسَوْأَلِ الْوَسِيلَةِ لَهُ وَقَوْلِ رَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

فَنَبِيٌّ «صَحِيحٌ مُسْلِمٌ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُوا أَنْ أَكُونَ أَنَا، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(1) «المغنى» (87/2).

(2) رواه مسلم (384)، وأبو داود (523)، والترمذي (3614).

(3) رواه البخاري (614)، وأبو داود (529)، والترمذي (211)، والنسائي (680)، وابن ماجه (722).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله
ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا غُفِرَ
لَهُ ذَنْبُهُ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه مسلم (386)، وأحمد (1565)، وأبو داود (525)، والترمذي (210)، والنسائي (679)،
وابن ماجه (721).

الخطبة الثانية - سنن شيبه منسبية :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «سُنَنِ قَلِ الْعَمَلِ بِهَا» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ سُنَنِ مَنْسِيَّةٍ.

فَمِنْ تِلْكَ السُّنَنِ الْمَنْسِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ النَّوَافِلِ فِي الْبَيْتِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ النَّوَافِلِ الرَّائِبَةِ مَعَ الْفَرَائِضِ وَالْمُطْلَقَةِ إِلَّا
فِي النَّوَافِلِ الَّتِي هِيَ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ الْعِيدُ وَالْكَسُوفُ وَالِاسْتِسْقَاءُ وَكَذَا
التَّرَاوِيحُ عَلَى الْأَصَحِّ فَلَمَّا مَشْرُوعَةٌ فِي جَمَاعَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ فِي الصَّخْرَاءِ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا
قَضَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِيَتِيهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ
مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا حَثَّ عَلَى النَّافِلَةِ فِي الْبَيْتِ لِكَوْنِهِ أَخْفَى وَأَبْعَدَ مِنَ
الرِّيَاءِ وَأَضْوَنَ مِنَ الْمُحِيطَاتِ، وَلِيَتَبَرَّكَ الْبَيْتُ بِذَلِكَ، وَتَنْزَلُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَالْمَلَائِكَةُ
وَيَنْفَرُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»⁽⁴⁾.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (731)، وَمُسْلِمٌ (781).

(2) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (3/328).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (432)، وَمُسْلِمٌ (777).

(4) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (3/326، 327).

قَالَ ابْنُ عَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَدَاءُ السُّنَّةِ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْ أَدَائِهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَفْضَلُ صَلَاةٍ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ» يَقُولُ ذَلِكَ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَدِينَةِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الصَّلَاةِ فِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَكَانَ هُوَ نَفْسُهُ يُصَلِّي النَّافِلَةَ فِي بَيْتِهِ»⁽¹⁾.

تَبَّتْ ذَلِكَ عَنْهُ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فَالزُّمُوهَا فَإِنَّهُ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : «إِنَّهَا تَرْفَعُ اللَّهُ الْعَبْدَ بِقَدْرِ تَمَسُّكِهِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِ نَبِيِّكَ وَالْإِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ.

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا وَانْفَعْ بِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

(1) فتاوى ابن عثيمين (14/355، 356).

(2) زاد المعاد (2/419).

8

القلب السليم

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرات: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتناب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «القلب السليم».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ إِصْلَاحَ الْقُلُوبِ مِنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ، لِأَنَّ

الْقَلْبَ مَحَلُّ نَظَرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾

(الاجتناب: 51).

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

وَصَلَّاحُ الْجَوَارِحِ بِصَلَّاحِ الْقَلْبِ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ».

وَلَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ».

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَاضِلُ الْإِسْتِقَامَةِ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَتَمَّتْ اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَعَلَى خَشْيَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَرَجَائِهِ وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ اسْتِقَامَتِ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا»^(٣).

وَالْقَلْبُ كَثِيرُ التَّقَلُّبِ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ خَيْرًا وَلَا شَرًّا حَتَّى أَنْظَرَ بِهَا يُحْتَمُّ لَهُ - يَعْنِي بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قِيلَ: وَمَا سَمِعْتَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَيَانَا».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَمْثَالِ وَأَبْلَغِهَا وَأَعْظَمِهَا تَقْرِيبًا لِأَلْفَهَامٍ»^(٥).

(١) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩).

(٢) «حَسَنٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣/١٩٨) وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (٢٥٥٤).

(٣) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (١/٥١١ - ٥١٢).

(٤) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (٦/٤) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ بِطَرِيقِهِ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٧٧٢).

(٥) «أَعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ» (١/٢٩٥).

وقال الشاعر:

مَا سَمِيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقْلِبِهِ ○ ○ ○ فَاخْتَزَعَلِ الْقَلْبَ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

وَيُصَوِّرُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ الْقَلْبَ كَرِيْشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقَلْبَ كَرِيْشَةٍ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ يُعِيْمُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِيَطْنِ»
وَمَا كَانَ الْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِهَذِهِ الْحَالَةِ كَانَ عُرْضَةً لِلْفِتَنِ.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُرُودًا عُرُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكَّتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَّتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بِيضَاءٌ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدَ مِزْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًا (أَيُّ: كَالْإِنَاءِ مَكْبُوتًا مَكْبُوسًا) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَيْضٌ، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ».

فَالْقَلْبُ السَّلَامُ مِنْ تِلْكَ الْفِتَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

(الْبَيْهَقِيُّ: 88-89).

وَلِلْقَلْبِ السَّلِيمِ عِلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا.

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ (4/419)، وَابْنُ مَاجَهَ (88) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهَ» (71).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (144).

فَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ سَائِلًا مِنْ حَبِيبَةٍ مَا يَكْرَهُهُ
اللَّهُ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ سَلَامَتُهُ مِنَ الشَّرِكِ الْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، وَمِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَمِنَ
الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي - كِبَائِرِهَا وَصَغَائِرِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، كَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ، وَالغِلِّ
وَالْحَقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ⁽¹⁾.

فَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟
قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومٍ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ» قَالُوا: صَادِقُونَ اللِّسَانَ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ
الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّمَيُّ التَّمَيُّ لَا لِأَنْتُمْ فِيهِ، وَلَا بَغْيٍ وَلَا غِلٍّ وَلَا حَسَدٍ».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الْقَلْبُ أَحَبُّ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ وَأَكْثَرُهَا خَيْرًا، تَتَّبِعُ
مِنْهُ عُيُونَ الْخَيْرِ، وَتَتَفَجَّرُ مِنْهُ بِنَابِعِ الْبِرِّ، وَمَبَارُ اللَّهِ وَنِعْمَةُ تَغْشَاهُ عَلَى الدَّوَامِ»⁽³⁾.

وَمِنْ عِلَامَةِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَرْتَحِلَ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى يَنْزِلَ
بِالْآخِرَةِ، وَيَجَلَّ فِيهَا حَتَّى يَبْقَى كَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا جَاءَ إِلَى هَذَا الدَّارِ غَرِيبًا يَأْخُذُ
مِنْهَا حَاجَتَهُ وَيَعُودُ إِلَى وَطَنِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَضْرِبُ عَلَى صَاحِبِهِ حَتَّى
يَعُودَ إِلَى اللَّهِ وَيُنْجِبَتَ إِلَيْهِ وَيَتَعَلَّقَ بِهِ تَعَلَّقَ الْمَحَبِّ الْمَضْطَرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ، الَّذِي لَا حَيَاةَ لَهُ

(1) شرح حديث شداد بن أوس (ص 14) لابن رجب رحمه الله.

(2) «صحيح» رواه ابن ماجه (4216)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (3397).

(3) «طريق المجرتين» (ص 606).

(4) رواه البخاري (6416).

وَلَا نَعِيمَ وَلَا سُرُورَ إِلَّا بِرِضَاهُ وَقُرْبِهِ وَالْأُنْسِ بِهِ فِيهِ يَطْمَئِنُّ، وَإِلَيْهِ يَسْكُنُ وَإِلَيْهِ يَأْوِي، وَبِهِ يَفْرَحُ، وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَبِهِ يَثِقُ وَإِيَّاهُ يَرْجُو، وَلَهُ يَخَافُ⁽¹⁾.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيَالَهُ مِنْ قَلْبٍ، مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ!، وَمِنْ قُرْبِهِ مَا أَخْطَاهُ!»⁽²⁾.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ نَالَ غِذَاءَهُ وَدَوَاءَهُ، وَشِفَاءَهُ، وَنُورَهُ وَقُوَّتَهُ، وَلَذَّتْهُ وَنَعِيمَتُهُ مَا هُوَ أَجْلُ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ، وَأَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْظَمُ اللَّذَاتِ».

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيَوَةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (الْمُحْتَلِكَا : 97)⁽³⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ لَا يَفْتُرُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ وَلَا يَسْأَمُ مِنْ خِدْمَتِهِ، وَلَا يَأْتَسُ بِغَيْرِهِ إِلَّا بِمَنْ يَدُلُّهُ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُهُ بِهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْقَبَائِحُ نَفَرَ مِنْهَا بِطَبْعِهِ، وَأَبْغَضَهَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا⁽⁴⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّهُ إِذَا فَاتَتْهُ طَاعَةٌ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَجَدَ لِفَوَاتِهَا أَلَمًا أَعْظَمَ مِنْ تَأَلُّمِ الْحَرِيصِ بِفَوَاتِ مَالِهِ»⁽⁵⁾.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ يَشْتَاقُ لِطَاعَةِ رَبِّهِ كَمَا يَشْتَاقُ الْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

(1) انظر «إصلاح القلوب» لعبد الهادي بن حسن وهبي (ص 24) وقد استفذت منه في إعداد هذه الخطبة - جزاه الله خيرا - .

(2) «طريق الهجرتين» (379).

(3) «مفتاح دار السعادة» (182/1).

(4) «موارد الأمان» (ص 55).

(5) «إغاثة اللهفان» (ص 79).

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ ذَهَبَ عَنْهُ هُمَةٌ
وَعَمَةٌ بِالْذُّنْيَا.

فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ»⁽¹⁾ عَنْ
سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ خُرَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا
عَلَيْهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بِلَالُ أَرِحْنَا بِهَا».

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ هُمَةٌ وَاحِدًا وَأَنْ يَكُونَ فِي
اللَّهِ - تَعَالَى - فَيَصْبُحُ وَيَمْسِي وَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ غَيْرُ رِضَا رَبِّهِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ أَشْحَ بوقته من أن يذهب
ضائعًا لِأَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْتِ تَقْطَعُهُ عَنِ الْخَالِقِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصُّحَّةُ وَالْفِرَاقُ».

وَمِنْ عَلَامَاتِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُ بِتَصْحِيحِ الْعَمَلِ
أَعْظَمَ مِنْ اهْتِمَامِهِ بِالْعَمَلِ فَيَكُونُ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى الطَّاعَةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى فَيَقُومُ
بِهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوَجُوهِ قَدْ حَقَّقَ فِيهَا الْمُتَابِعَةَ وَالْإِقْتِدَاءَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ
يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ ﴿وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَاءًا آتَا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (الْمُؤْتَفُونَ عَلَيْهِ: 60).

(1) «صَحِيحٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (4985) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (278/1).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6412).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3175)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (787/3).

قَالَتْ: أَهْمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ
الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ إِلَّا يَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ أَوْلِيكَ الَّذِينَ
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ».

فهذه - أيها الناس - علامات القلب السليم فله النعيم المقيم والعيش السليم في
جوار رب العالمين.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء: 88-89).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَن تَكُونَ مِنَ الْيَاسِينَ ﴿٨٢﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨١﴾﴾

(الصافات: 83-84).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - صور مشرقة لأصحاب القلوب السليمة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَعَلَامَتِهِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ سُنَنِ «صُورِ مَشْرِقَةِ لِأَصْحَابِ الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ».

فَمِنْ تِلْكَ الصُّورِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ
سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي إِبْلِهِ فِجَاءَهُ ابْنُهُ عَمْرٌ فَلَمَّا رَأَهُ سَعْدٌ
قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ. فَتَزَلَّ، فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبْلِكَ وَعَنَمِكَ
وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمَلِكَ بَيْنَهُمْ؟

فَضْرَبُ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: أُسْكُتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْحَقِيَّ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْحَفِيُّ: مَعْنَاهُ الْخَامِلُ الْمُنْقَطِعُ إِلَى الْعِبَادَةِ، وَالِاسْتِغَالِ
بِأَمُورِ نَفْسِهِ»⁽²⁾.

فَتَأْمَلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - كَيْفَ أَنَّ صَاحِبَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ لَا يُحِبُّ الظُّهُورَ وَلَا
يَتَصَدَّرُ لشيءٍ؛ لِأَنَّ أَهَمَّ مَا عِنْدَهُ هُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ لَهُ وَرِضَا اللَّهِ عَنْهُ.

وَهَكَذَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ لَا يُجْبُونَ أَنْ يُشَارَ لَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْبَنَانِ أَوْ يَتَحَدَّثَ
النَّاسُ عَنْهُمْ لِسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2965).

(2) «شرح النووي على مسلم» (18/1001-1002).

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽¹⁾ عن علي بن أرطاة قال: كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زُكِّي قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون.

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث عمرو بن ميمون الطويل (لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بشري الله لك من صخبة رسول الله ﷺ وقدّم في الإسلام ما قد علمت ثم وُلّيت فعدلت ثم شهادة قال: ودذت أن ذلك كفافا لا علي ولا لي فلما أذبر إذ إزاره يمس الأرض قال: ردوا علي الغلام، قال: ابن أخي! ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

فعمرو الفاروق رضي الله عنه - أيها الناس - صاحب القلب السليم لم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في هذا الوطن، إمثالاً لقول النبي ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

وفي هذا الحديث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن لم يكن في القلب إنكاراً ما يكرهه (الله) ويُبغضه لم يكن فيه إيمان»⁽⁴⁾.

ومن تلك الصور - أيها الناس - ما جاء في «صحيح البخاري» عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي (علي بن أبي طالب): أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟

(1) «صحيح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (761) وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (589).

(2) رواه البخاري (3700) في حديث طويل.

(3) رواه مسلم (49).

(4) «الاستقامة» (36/2).

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ - وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عَثْمَانُ - قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ قَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ ابْنِ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفَرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ.

قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِيهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غُبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

فَانظُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى قَوْلِ صَاحِبِ الْقَلْبِ السَّلِيمِ أُوَيْسِ الْقَرْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكُونُ فِي غُبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

وَغُبْرَاءُ النَّاسِ هُمْ ضِعْفَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَأَخْلَاطُهُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ وَهَذَا مِنْ إِثَارِ الْحُمُولِ وَكُنْتُمْ حَالِهِ كَمَا قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾.

اللَّهُمَّ تَوَلَّنَا بِلَطْفِكَ وَمَنْ عَلَيْنَا بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ طَاهِرَةٍ خَاشِعَةٍ لِيَنِّهِ رَقِيقَةٍ نَقِيَّةٍ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3671).

(2) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (77/16 - 78).

9 الفرج بعد الشدة

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّوَا اللّٰهَ حَقَّ تَقْوٰىهٖ ۚ وَلَا تَمُوْنُ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ﴾ (التَّوْبَةُ : 102).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ اَنْتَعُوْا رَبَّكُمْ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَّجَدُوْا وَاَخْلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَنِسًا

وَاَنْتَعُوْا اللّٰهَ الَّذِى تَسَّءَلُوْنَ بِهٖ ۚ وَالْاَرْحَامَ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلٰىكُمْ رَقِيْبًا﴾ (النَّبَا : 1).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اَنَّوَا اللّٰهَ وَقُوْلُوْا قَوْلًا سَدِيْدًا ﴿٧٠﴾ يُّصْلِحْ لَكُمْ اَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيْمًا﴾ (الْاِحْتٰىبٰتِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْفَرَجِ بَعْدَ الشُّدَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا يَجْلُو مِنَ الْإِبْتِلَاءِ، وَالِاخْتِبَارِ إِلَّا مَا فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ وَلَدِهِ، أَوْ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهٗ وَتَعٰلٰى - : ﴿اَلَمْ اَحْبَبْ اَلنَّاسَ اَنْ يُّزَكُّوْا اَنْ يَقُوْلُوْا ءَاْمَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُوْنَ ﴿٢﴾﴾ (الْعَنْكَبُوْتِ : 1-2).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أَنْ تَرَكْتَهُمْ وَشَأْنَهُمْ بِمَجْرَدِ النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَقَوْلِهِمْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمُ اللَّهُ وَيَخْتَبِرَ صِدْقَ إِيْمَانِهِمْ، بِالْهَجْرَةِ وَالتَّكْلِيفِ الدِّيْنِيَّةِ الْآخَرَى، وَالْجِهَادِ وَالْمَصَائِبِ؟

كَلَا - أَيُّهَا النَّاسُ - فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ إِيْمَانٍ كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُتَلَّى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ قُوَّةٌ زِيدَ لَهُ فِي الْبَلَاءِ».

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا وَسُنَّةٌ اللَّهُ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (الْعَنْكَبُوتِ : 2).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ أَنْ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - امْتَحَنَ الْمُؤْمِنِينَ السَّالِفِينَ وَعَرَّضَهُمْ لِلْفِتَنِ وَالْإِخْتِيَارِ، وَغَايَتُهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ هِيَ أَنْ يَمْحِضَهُمْ فَيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَى الْإِيْمَانِ، يَمُنُّ هُمْ كَاذِبُونَ فِي دَعْوَاهُمْ وَيُجَازَى كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الْبَلَاءُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ الشَّدَّةَ يَعْقِبُهَا فَرَجٌ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧٧﴾﴾ (الطَّلَاقِ : 7).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ مِنْ بَعْدِ الشَّدَّةِ رَخَاءً وَمِنْ بَعْدِ الضِّيقِ فَرَجًا فَالْدُّنْيَا لَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ (371/2) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) انظُرْ «أَيْسَرَ التَّفَاسِيرِ» لِأَسْعَدِ حَوْمَدٍ (3224/1).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ (التَّوْبَةُ : 5-6).

والمعنى - أيها الناس - : إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَيْنِ .

أيها الناس لقد قرن الله الشدة بالفرج في أكثر من آية .

قال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَابِ وَبَشِيرِ الْبَصِيرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (الْبَقَرَةُ : 155-157).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(التَّوْبَةُ : 173-174).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١﴾ فَوَقَّعَهُ

اللَّهُ سَعْيَاتٍ مَّا مَكُرُوا ﴿١٢﴾﴾ (عَطْفًا : 44-45).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي

أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ (التَّوْبَةُ : 147-148).

أيها الناس كم لتفريج الكرب بعد الشدة من صور ماثورة في الكتاب والسنة

وسوف أذكر طرفاً منها .

فمن صور الفرج بعد الشدة تفريج الله كرب نبيه أيوب عليه السلام بعد شدة شديدة .

قال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ

﴿١١﴾ أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسَلًا بَارِدًا وَشَرَابًا ﴿١٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾

وَحُدِّ بِيدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْتِثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٤﴾﴾ (حُجَّتًا : 41-44).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفْرِجُ اللهُ كَرْبَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ فِي الْغَارِ

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (التَّوْبَةُ: 40).

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ تَفْرِجُ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : كَرْبَ نَبِيِّهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ فِي أُمَّتِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ يَغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إِبْرَاهِيمَ: 36).

وَقَالَ عِيسَى ﷺ: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨١﴾﴾

(المائدة: 118).

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي». وَبَكَى

فَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : يَا جَبْرِيْلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلُهُ مَا يُبْكِيكَ؟

فَأَنَّهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللهُ: يَا جَبْرِيْلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ. وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ تَفْرِجُ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - كَرْبَ رَسُولِهِ يَوْمَ بَدْرٍ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (202).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصِلِي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيَكُمُ يَجِيءُ بِسَلَى جَدُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهَا عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟

فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعه على ظهره، بين كتفيه وأنا أنظر لا أغني شيئاً لو كانت لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعضٍ ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه ثم قال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ» ثلاثِ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ.

ثم سُمِيَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعَتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عَتْبَةَ، وَأُمِيَةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيظٍ» وعد السابع فلم نحفظه.

قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَعِي فِي الْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرٍ.

وَمِنْ صُورِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَفْرِيجُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - كَرَبَ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ مُؤَذِّنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي سنن أبي داود بسندٍ صحيحٍ صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» والوادعي في «الجامع الصحيح»⁽²⁾ من حديث عبد الله الهوزاني قال: لقيت بلالاً مؤذناً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَلَبٍ، فَقُلْتُ: يَا بِلَالُ، حَدَّثَنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

(1) رواه البخاري (240)، ومسلم (1794).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (3055)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (2628)، والوادعي

في «الجامع الصحيح» (95/4).

قال: ما كان له شيء، كنتُ أنا الذي ألي ذلك منه منذ بعثه الله حتى تُوفي رسول الله ﷺ، وكان إذا أتاه الإنسان مسلماً فرآه عارياً يأمرني فأنتلق فأستقرض، فاشترى له البردة فأكسوه وأطعمه حتى اعترضني رجلٌ من المشركين، فقال: يا بلال، إن عندي سعة فلا تستقرض من أحدٍ إلا مني، ففعلتُ فلما أن كان ذات يوم توضأتُ ثم قمتُ لإذنٍ بالصلاة، فإذا المشرك قد أقبل في عصابة من التجار، فلما أن رأني قال: يا حبشي، قلتُ: يا لباؤه، فتجهمني وقال لي قولاً غليظاً، وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قال: قلتُ: قريب، قال: إنما بينك وبينه أربع فأخذك بالذي عليك، فأردك ترعى الغنم كما كنتُ قبل ذلك، فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، حتى إذا صليتُ العتمة رجع رسولُ الله ﷺ إلى أهله، فاستأذنتُ عليه فأذن لي، فقلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي إن المشرك الذي كنتُ أتدينُ منه قال لي: كذا وكذا وليس عندك ما تقضي عني ولا عندي، وهو فاضحي فأذن لي أن ابتنى إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين أسلموا حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني، فخرجتُ حتى إذا أتيت منزلي فجعلتُ سيفي وجرابي ونعلي ومجني عند رأسي، حتى إذا نشق عمودُ الصبح الأول، أردتُ أن أنطلق فإذا إنسانٌ يسعى يدعو: يا بلال، أجب رسول الله ﷺ، فانطلقتُ حتى أتته فإذا أربع ركائبٍ منأخاتٍ عليهنَّ أهماهنَّ، فاستأذنتُ فقال لي رسول الله ﷺ: «أبشِرْ فَقَدْ جَاءَكَ اللهُ بِقَضَائِكَ» ثم قال: «الم تر الركايبِ المناخاتِ الأربع؟». فقلتُ: بلى، فقال: «إن لك رقايبهنَّ وما عليهنَّ، فإن عليهنَّ كسوةً وطعاماً أهداهنَّ إليَّ عظيم، فذك فاقبضهنَّ واقض دينك». ففعلتُ فذكر الحديث، ثم انطلقتُ إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قاعدٌ في المسجد، فسلمتُ عليه فقال: «ما فعل ما قبلك؟»، قلتُ: قد قضى الله كل شيء كان على رسول الله، فلم يبق شيء، قال: «أفضل شيء؟»، قلتُ: نعم، قال: «انظر أن تُرجمني منه فإنني لستُ بداخلٍ على أحدٍ من

أهلي؛ حتى تُرِيحني منه» فلما صلى رسول الله ﷺ العتمة دعاني، فقال: «ما فعل الذي قبلك؟» قال: قلت: هو معي، لم يأتنا أحد فبات رسول الله ﷺ في المسجد، وقصى الحديث حتى إذا صلى العتمة - يعني من الغد - دعاني قال: «ما فعل الذي قبلك؟» قال: قلت: قد أراحك الله منه يا رسول الله، فكبرَ وحمدَ الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك، ثم أتبعته حتى إذا جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة، حتى أتى مبيته؛ فهذا الذي سألتني عنه.

أيها الناس تلك الصور ما هي إلا قطرة من مطرة وإلا فالصور بحاجة إلى أن أقوم فيكم مقامى العمر كله وقد يأتى الموت قبل أن أنتهي منه.

قال ابن رجب رحمه الله: «وكم قص - سبحانه - قصص تفريج كربات أنبيائه عند تناهي الكروب كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإبراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى من اليم، وإغراق عدوهم، وقصة أيوب، ويونس، وقصص محمد ﷺ مع أعدائه، وإنجائه منهم كقصته في الغار، ويوم بدر ويوم أحد ويوم الأحزاب ويوم حنين وغير ذلك»⁽¹⁾.

يا صاحبَ الهمِّ إنَّ الهمَّ منفرجٌ ○●○ أبشِرْ بخيرٍ فإنَّ الفارجَ اللهُ
 اليأسَ يقطعُ أحيانا بصاحبه ○●○ لا تيأسَنَّ فإنَّ الكافيَ اللهُ
 اللهُ يُحدثُ بعدَ العسرِ ميسرةً ○●○ لا تجزَعَنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ
 إذا بليت فتق بالله وارض به ○●○ إنَّ الذي يكشفُ البلوى هو اللهُ
 والله مالِكٌ غيرُ اللهِ من أحدٍ ○●○ فحيك اللهُ في كلِّ لك اللهُ

وأستغفر الله.

(1) «جامع العلوم والحكم» (186).

الخطبة الثانية – اسباب الفرج بعد الشدة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم – أيها الناس – عن «الفرج بعد الشدة» والآن حديثي معكم عن «اسباب الفرج بعد الشدة».

أيها الناس إذا كان الله – سبحانه وتعالى – قد وعد بالفرج بعد الشدة وباليسر مع العسر وبعده فلا يتنافى ذلك مع الأخذ بالاسباب التي نرجو بها تعجيل اليسر بعد العسر، والفرج بعد الشدة فالله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا نُرْعَدُونَ﴾ (الذاريات: 22). ومع ذلك نأخذ بأسباب الرزق وكذلك أسباب الرحمة التي نرجو بها دخول الجنة

بل قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: 6).

ومع ذلك قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15) (1).

فمن أسباب الفرج بعد الشدة – أيها الناس – تقوى الله – عز وجل –.

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: 2-3).

قال ابن كثير رحمه الله: «أي من يتق الله فيما أمره، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي من جهة لا تحظر به» (2).

(1) انظر «الفرج بعد الشدة» لأحمد فريد (ص 37).

(2) «تفسير ابن كثير» (8/146).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق : 4).
قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ: يُسَهِّلُ أَمْرَهُ، وَيُسِّرُهُ عَلَيْهِ، وَيَجْعَلُ لَهُ فَرَجًا
ومخرَجًا عاجلاً»⁽¹⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّعَرُّفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ.
ففي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ظِلَالِ الْجَنَّةِ»⁽²⁾ من حديث
ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ لِي: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ
كَلِمَاتٍ، إِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ
مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُحْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ،
وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»
ليس المراد بالمعرفة المعرفة العامة التي هي الإقرار والتصديق والإيمان، وإنما المراد
المعرفة الخاصة التي تقتضي ميل القلب إلى الله - عز وجل - والانقطاع إليه، والأُنْسُ
به والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له»⁽³⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ.
قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق : 3).
قال ابن عَجِيبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ يَكِلُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ بِغَيْرٍ وَلَا تَدْبِيرِ نَفْسٍ
﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. كَافِيهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ»⁽⁴⁾.

(1) «تفسير ابن كثير» (146/8).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (84/2) وصححه الألباني في «المشكاة» (5302).

(3) «جامع العلوم والحكم» (179).

(4) «البحر المديد» (99/8).

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ شَرْحِهِ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمُتَقَدِّمِ: «وَمِنْ لَطَائِفِ أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الْفَرْجِ بِالْكَرْبِ وَالْيُسْرِ بِالْعُسْرِ أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى، وَحَصَلَ لِلْعَبِيدِ الْيَأْسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِينَ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ وَخَذَهُ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُطَلَّبُ بِهَا الْخَوَائِجُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾⁽¹⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّدَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ مَعَ الْاضْطِرَارِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَقَعْلَى -: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (التَّنَائُلُ: 62).

وَالْمُضْطَرُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَنْ نَزَلَتْ بِهِ شِدَّةٌ مِنْ شِدَائِدِ الزَّمَانِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «ضَمِنَ اللَّهُ إِجَابَةَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَالسَّبَبُ أَنَّ الضَّرُورَةَ إِلَيْهِ بِاللَّجَأِ، مَنْشَأً عَنِ الْإِخْلَاصِ، وَقَطَعَ الْقَلْبَ عَمَّنْ سِوَاهُ»⁽²⁾.
اللَّهُمَّ فَفَقِّهْنَا فِي دِينِنَا وَزِدْنَا عِلْمًا وَهَدَى وَصَلَاحًا وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «جامع العلوم والحكم» (187).

(2) «تفسير القرطبي» (222/13).

10 الاعتداء في الدعاء

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذاتنا : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسنة : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأختاتنا : 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ - ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد - حديثي معكم اليوم - أيها الناس - عن «الاعتداء في الدعاء».

أيها الناس الدعاء أعظم أنواع العبادات لا بل هو العبادة لما في سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترمذي»^(١) من حديث النعمان بن بشر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة». ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾

(تغذاتنا : 60).

(1) انظر «الاعتداء في الدعاء» لهشم حيدر فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزاءه الله خيرا.

قال الشوكاني رحمه الله: «دلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة فإنه - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - أمر عبادة أن يدعوهُ ثُمَّ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾؟ فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة وأن ترك دعاء الرب استكبار ولا أقبح من هذا الاستكبار».

أيها الناس لما كان الدعاء بهذه المنزلة العظيمة حرص الشيطان الرجيم على إفساده إما بالزيادة فيه أو النقص منه فإنه توعد بالعود للمسلم في طريق الحق كما قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حاكياً عنه: ﴿فَمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَكَ مَصْرُوكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١﴾﴾ (الاعراف: 16).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حاكياً عنه: ﴿وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٧﴾﴾ (النساء: 118).

ولم يكن الله لِيَسْلُطَ علينا الشيطان لولا أننا أطعناه واستجبنا له كما قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (سجدة: 20).

والمعنى - أيها الناس - لقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيظل بني آدم وأنهم سيطيعونه في معصيته الله، فصدق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله⁽¹⁾.

أيها الناس من مصائد الشيطان التي ينصبها للناس الاعتداء في الدعاء إما بتجاوز الحد أو الغلو فيه.

كما قال أحد السلف: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفریط أو تقصير وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي الشيطان بأيهما ظفر»⁽²⁾.

أيها الناس لقد أمرنا الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - بالدعاء وأخبرنا أنه لا يحب المعتدين فيه.

(1) «التفسير الميسر» (396/7).

(2) انظر «الاعتداء في الدعاء» (ص 5).

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١)

(الأعراف : 55).

قال القرطبي رحمه الله : «وأما قوله - عز وجل - ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ . معناه : إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذي حده لعباده في دعائه ومسالته ربه» (١) .
وأخبر النبي ﷺ أنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء .

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢) من حديث أبي نعام أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها . فقال : أي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالدُّعَاءِ﴾ .

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣) عن مولى لسعد أن سعدا سمع ابنا له يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقتها ونحوها من هذا ، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلاها ، فقال : لقد سألت الله خيرا كثيرا ، وتعوذت بالله من شر كثير . وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ . وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ، وَإِنْ حَسِبَكَ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرُبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرُبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ . وَالِاعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَمْنَعُ مِنَ الْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ .

(1) «تفسير الطبري» (الأعراف : 55).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (86) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (2396).

(3) «صحيح» أخرجه أحمد (172/1) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3671).

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةٍ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَذْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالَ: إِذَا نَكَّرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ».

قال القرطبي رحمه الله تعليقا على الحديث: «وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ وَإِنْ كَانَ إِذْنَا بِالْإِجَابَةِ فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ فَقَدْ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ اجْتِنَابِ الْاِعْتِدَاءِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ حَيْثُ قَالَ فِيهِ: «لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةٍ رَحِمٍ»⁽²⁾.

فمن صور الاعتداء في الدعاء أن يدعو المسلم بما ليس في الكتاب والسنة فيتخير ألفاظا مفكرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا ممول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسول الله ﷺ وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء كما قال القرطبي رحمه الله⁽³⁾.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية الماثورة فإن الدعاء من أفضل العبادات، وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه فينبغي لنا أن نتبع ما شرع وسن، كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات والذي يغدو عن الدعاء المشروع إلى غيره الأحسن له أن لا يفوته الأكمل والأفضل وهي الأدعية النبوية، فإنها أكمل وأفضل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست

(1) «صحيح» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (710)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (550).

(2) «تفسير القرطبي» (البقرة: 186).

(3) «تفسير القرطبي» (الأعراف: 55).

كَذَلِكَ وَإِنْ قَالَهَا بَعْضُ الشُّيُوخِ، فَكَيْفَ وَقَدْ يَكُونُ فِي عَيْنِ الْأَذْعِيَّةِ مَا هُوَ خَطَأٌ أَوْ
إِثْمٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ؟!

وَمِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَيْبًا مَنْ يَتَّخِذُ حِزْبًا لَيْسَ بِمَأْثُورٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَدْعُ
الْأَحْزَابَ النَّبَوِيَّةَ الَّتِي كَانَ يَقُولُهَا سَيِّدُ بَنِي آدَمَ وَإِمَامُ الْخَلْقِ وَحَجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ⁽¹⁾.
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلْخَلْقِ أَنْ يَدْعُوا بِالْأَذْعِيَّةِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكِتَابُ
وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا رَيْبَ فِي فَضْلِهِ وَحُسْنِهِ، وَأَنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ
أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»⁽²⁾.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَذِنَ اللَّهُ فِي دُعَائِهِ وَعَلَّمَ الدُّعَاءَ فِي كِتَابِهِ
لِحَلِيقَتِهِ، وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الدُّعَاءَ لِأُمَّتِهِ، وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ،
وَالْعِلْمُ بِاللُّغَةِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَغْدِلَ عَنِ دُعَائِهِ ﷺ وَقَدْ
اِخْتَالَ الشَّيْطَانُ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَقَامِ فَمَيَّزَ هُمْ قَوْمٌ سُوءٍ يَخْتَرِعُونَ هُمْ أَذْعِيَّةً
يَسْتَعْلُونَ بِهَا عَنِ الْإِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَشَدُّ مَا فِي الْإِحَالَةِ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَهَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ
وَالصَّالِحِينَ، فَيَقُولُونَ: دُعَاءُ نُوحٍ، دُعَاءُ يُونُسَ، دُعَاءُ أَبِي بَكْرٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ،
لَا تَسْتَعْلُوا مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا بِالصَّحِيحِ»⁽³⁾.

وَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِبْدَالُ لَفْظٍ وَارِدٍ (مَأْثُورٍ) بِغَيْرِهِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا آتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ
ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ،

(1) انظر «مجموع الفتاوى» (308/22).

(2) انظر «مجموع الفتاوى» (336/1).

(3) «الفتوحات الربانية» (17/1).

وَالجَاحُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ أَمَنْتُ
بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنَّ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ
مَا تَقُولُ. فَقُلْتُ أَسْتَذَكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «لَا وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي
أَرْسَلْتَ»، وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ فَقُلْتُ: أَمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَقَالَ: «قُلْ:
أَمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ إِنَّ هَذَا ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ فَيَنْبَغِي
فِيهِ الْاِقْتِصَارُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعَلَّقُ الْجَزَاءُ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ وَلَعَلَّهُ أَوْحِي
إِلَيْهِ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَتَعَيَّنُ أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا الْقَوْلُ: حَسَنٌ»⁽¹⁾.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْحِكْمَةُ فِي رَدِّهِ عَلَى مَنْ قَالَ (الرَّسُولَ) بَدَلِ
(النَّبِيِّ) أَنَّ الْأَفَاطَ الْأَذْكَارَ تَوْقِيفِيَّةٌ، وَلَهَا خَصَائِصٌ وَأَسْرَارٌ لَا يَدْخُلُهَا الْقِيَاسُ فَتَجِبُ
الْمُحَافَظَةُ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ»⁽²⁾.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «التَّشْبِيهُ (أَيُّ تَشْبِيهِ جَابِرِ الدُّعَاءِ
بِالْقُرْآنِ فِي الْحِفْظِ وَالتَّعْلِيمِ) فِي تَحْفِظِ حُرُوفِهِ وَتَرْتُّبِ كَلِمَاتِهِ وَضَعِ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ
مِنْهُ وَالدَّرْسِ لَهُ وَالمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْإِهْتِمَامِ بِهِ وَالتَّحْقُقِ
لِبَرَكْتِهِ، وَالاخْتِرَامِ لَهُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا عَلِيمًا بِالْوَحْيِ»⁽⁴⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (33/17).

(2) «فتح الباري» (112/11).

(3) رواه البخاري (1166).

(4) «فتح الباري» (184/11).

وَمِنْ صُورِ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا.
 فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ
 رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ (أَيَّ ضَعْفَ) فَصَارَ مِثْلَ الْفَرِيخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟».

قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا.
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ
 آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».
 قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ.
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(١) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2688).

الخطبة الثانية - أسباب الضج بعد الشدة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «الإعتداء في الدعاء» والآن حديثي معكم عن «تكلف السجع في الدعاء».

والسجع - أيها الناس - هو الكلام المستوي على نسق واحد كقول أحدهم اللهم ارحمني فوق الأرض وارحمني تحت الأرض وارحمني يوم العرض، وهو مكروه في الدعاء إن تعمده وتكلفه الداعي؛ لأنه يشغل عقله، ويشتت قلبه عن الخشوع والتدبر والتفكير.

وقد بوب البخاري في «صحيحه»⁽¹⁾ باب: ما يكره من السجع في الدعاء ثم أورد حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: فانظر السجع فاجتنبه فإنني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

قال الحافظ رحمه الله: «قوله: (وانظر السجع في الدعاء فاجتنبه) أي: لا تقصد إليه، ولا تشغل فكرك به لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء وقوله: (لا يفعلون إلا ذلك) أي: ترك السجع.

ثم نقل عن الإمام الغزالي أنه قال: المكروه من السجع هو المتكلف؛ لأنه لا يلائم الصراحة والدلة، وإلا ففي الأذعية المأثورة كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة»⁽²⁾

(1) رواه البخاري (6337).

(2) «فتح الباري» (11/139).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « إِنَّ السَّجْعَ الْمَذْمُومَ فِي الدُّعَاءِ هُوَ الْمُتَكَلِّفُ ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ
 الْخُشُوعَ وَالْخُضُوعَ وَالْإِخْلَاصَ ، وَيُلْهِبِي عَنِ الضَّرَاعَةِ وَالْإِفْتِقَارِ ، وَفَرَاغِ الْقَلْبِ ، فَأَمَّا
 مَا حَصَلَ بِلَا تَكْلُفٍ ، وَلَا إِعْمَالٍ فِكْرٍ لِكَمَالِ الْفَصَاحَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، أَوْ كَانَ مُحْفُوظًا فَلَا
 بَأْسَ بِهِ ، بَلْ هُوَ حَسَنٌ »⁽¹⁾ .

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : « الْإِعْتِدَاءُ فِي الدُّعَاءِ يَقَعُ بِزِيَادَةِ الرَّفْعِ فَوْقَ الْحَاجَةِ أَوْ
 بِطَلَبِ مَا يَسْتَجِيلُ حُصُولَهُ شَرْعًا أَوْ بِطَلَبِ مَعْصِيَةٍ أَوْ يَدْعُو بِمَا لَمْ يُؤْثِرْ خُصُوصًا مَا
 وَرَدَتْ كَرَاهَتُهُ كَالسَّجْعِ الْمُتَكَلِّفِ »⁽²⁾ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ ، وَنَعُوذُ
 بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَى بِهِ
 عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا
 قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا⁽³⁾ .

(1) « شرح النووي على مسلم » (41/17) .

(2) « فتح الباري » (298/8) .

(3) « صحيح » أخرجه ابن ماجه (3836) ، وصححه الألباني في « صحيح ابن ماجه » (3102) .

الاستقامة

(11)

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذيات: 102).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساة: 1).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجزالي: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشراً الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد - حديثي معكم اليوم - أيها الناس - عن «الاستقامة».

أيها الناس - الاستقامة على أمر الله سبب السعادة والفلاح.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الاحقاف: 13-14).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فضلنا: 30).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴿١١٢﴾﴾ (هود: 112).

فالأمر هُنا - أيها الناس - للنبي ﷺ ثُمَّ لِاتِّبَاعِهِ ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾. أَي وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ؛ بَأَنْ تَابُوا مِنَ الشَّرْكِ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَصَارُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَبِهَا جَاءَ بِهِ.

وَأَضَلَّ الاستِقَامَةَ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْقَلْبِ - فَإِذَا اسْتَقَامَ الْقَلْبُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ اسْتَقَامَتْ سَائِرُ الْجَوَارِحِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْقَهُ». فَمَتَى اسْتَقَامَ الْقَلْبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ خَوْفًا، وَرَجَاءً، وَتَوَكُّلًا وَإِنَابَةً، اسْتَقَامَتْ بَعْدَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْجَوَارِحِ بَعْدَ الْقَلْبِ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَضْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَيَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فَيُنَا نَحْنُ بِكَ فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اغْوَجَجْتَ اغْوَجَجْنَا».

فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالُ اللِّسَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَلْيَنْظُرْ أَحَدُنَا فِيهَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَلْيَحْذَرْ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ كَالْكَذِبِ، وَالغَيْبِيِّ، وَالنَّمِيمَةِ، وَالسَّبِّ، وَالْبِدْءِ وَالْقَذْفِ، وَالْخُصُومَاتِ وَالْجِدَالِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿١٨﴾ (فتن: 18).

(1) «حسن» أخرجه أحمد (3/198)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (2841).

(2) «حسن» رواه أحمد (3/96)، والترمذي (2407)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (351).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق».

ومتى استقامت اللسان - أيها الناس - استقامت الجوارح.
وأهم ما في الجوارح العين، فإنها أسرع المنافذ إلى القلب، وأقصر الطرق إليه، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَحَفِظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا بَصُرْتُمْ ۖ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَحَفِظْنَ فُرُوجَهُنَّ ۖ﴾

(التوبة : 30-31).

فغض البصر يكون بالكف عن المحارم وأن يستعمل العبد نظره في طاعة الله بالنظر في كتاب الله متدبراً وينظر في ملكوت الله معتبراً.

ثم يأتي بعد ذلك استقامة الأذن فهي من أقصر الطرق إلى القلب فهي باب مفتوح لسمع الأغاني المعروفة والمعازف الفاسدة وغير ذلك من الكلام المحرم وما لا خير فيه، والعبد مسؤول عن ذلك يوم القيامة لقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ ﴿٣١﴾﴾ (الأنبياء : 36).

ثم لا بد من استقامة باقي الجوارح من اليد والرجل والبطن، والفرج فإن كلاً منها له أثره في استقامة القلب وصلاحه.

وتتحقق الاستقامة - أيها الناس - بأمرٍ فمنها:

- أداء الفرائض والواجبات وهي على مراتب:

1 - فمنها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(1) رواه البخاري (6477)، ومسلم (2988).

فالتَّوْحِيدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَوْجَبُ الْوَجِبَاتِ، وَأَعْظَمُ الْحَسَنَاتِ، وَأَفْضَلُ الطَّاعَاتِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْهِمْ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ تَحْقِيقُ مُتَابَعَةَ الرَّسُولِ ﷺ .

2 - وَمِنْهَا الصَّلَوَاتُ الْحَمْسُ فَهِيَ قَرِينَةُ التَّوْحِيدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

3 - وَمِنْهَا الزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَذَلِكَ هُوَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ.

وَمِمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحُقُوقُ الْعِبَادِ كُلُّهَا تَدْخُلُ فِي الْفَرَائِضِ

وَمِمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّوَافِلُ فَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا مِنْ كِمَالِ الْإِسْتِقَامَةِ.

وَمِمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ تَرْكُ الْمَحْرَمَاتِ وَامْتِثَالُ الْمَأْمُورَاتِ وَاتَّقَاءُ الشُّبُهَاتِ

وَاجْتِنَابُ الذَّرَائِعِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَى الْحَرَامِ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ».

وَمِمَّا يَتَحَقَّقُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الْأَنْجِرَافِ.

وَالْأَنْجِرَافُ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِلَى إِفْرَاطٍ أَوْ إِلَى تَفْرِيطٍ.

فَالْإِفْرَاطُ يَكُونُ بِتَعَدِّي حُدُودِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: 229).

وَالْتَفْرِيطُ يَكُونُ بِالْقُرْبِ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الَّتِي نَهَانَا اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (البقرة: 187).

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (52)، وَمُسْلِمٌ (1599) وَاللَّفْظُ لَهُ.

فَلَا بُدَّ لِسَالِكِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَقْضِيَ الطَّرِيقَ الْوَسْطَ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.
 فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَحْقِيقِ الطَّحَاوِيَّةِ»⁽¹⁾ مِنْ
 حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ:
 «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ
 (مُتَفَرِّقَةٌ) عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
 فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: 153).
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (435/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «شَرْحِ الطَّحَاوِيَّةِ» (ص 587).

الخطبة الثانية - اسباب الاستقامة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الاستقامة» وَالآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ «أسباب الاستقامة».

فَمِنْ أَسْبَابِ الاستقامة - أَيُّهَا النَّاسُ - اليقينُ بوعدِ اللَّهِ لَأَنَّ الانحرافَ عن
الاستقامة إِنَّمَا يَنْشَأُ عن ضَعْفِ اليقينِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (الزُّمَرُ : 60).

وَمِنْ أَسْبَابِ الاستقامة - أَيُّهَا النَّاسُ - العِلْمُ.

فمَتَى عِلْمَ العبدِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِتِلْكَ الطَّاعَةِ وَرَغَبَهُ فِيهَا وَرَتَّبَ عَلَيْهَا الجِزَاءَ
الحَسَنَ وَعَلِمَ عَاقِبَةَ المَعْصِيَةِ وَعَاقِبَةَ تَرْكِهَا كَانَ ذَلِكَ بَاعِثًا لَهُ على الأَزْدِيَادِ مِنَ الخَيْرِ
والتَّيَّابِ على الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ الاستقامة - أَيُّهَا النَّاسُ - الرُّفْقَةُ الصَّالِحَةُ.

فَالرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ فَمَنْ أَرَادَ سُلُوكَ طَرِيقِ الاستقامة فَلابُدَّ لَهُ من رُفَقَاءِ
صَالِحِينَ يَذْكُرُونَهُ إِذَا اغْوَجَّ عن طَرِيقِ الاستقامة أَوْ حَادَ عَنْهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، ﴾ (الكَافُرُونَ : 28).

قال السَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نَبِيَّهُ ﷺ فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ

أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ، أَيُّ يَحْسِبَهَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ، لَا يُرِيدُونَ بَدْعَائِهِمْ إِلَّا رِضَاهُ - جَلَّ وَعَلَا»⁽¹⁾.

(1) «أضواء البيان» (19/136).

وَمِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِقَامَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الدُّعَاءُ.

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الثَّبَاتَ وَالْهُدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلِزُومَ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ، لِأَنَّهُ بَدُونِ هِدَايَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَنَا لَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالغِنَى».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ، سَدَادَ السَّهْمِ».

وَفِي سُنَنِ أَلِيِّ دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ» فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3517)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (7987).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2721).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2725).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (1522)، وَالنَّسَائِيُّ (1303) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْجَامِعِ» (81969).

فَتَأْمَلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى عَظَمَةِ هَذَا الدُّعَاءِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَلَا حَوْلَ
لَنَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.
اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

12 : فَضْلُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

– ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

– ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

– ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: 70-71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ -

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْحَوْقَلَةَ» وَهِيَ قَوْلُ: «لَا حَوْلَ وَلَا

قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْعَظِيمَةَ هُنَا مِنْ الْفَضَائِلِ وَالْفَوَائِدِ وَالشَّارِ مَا لَا يُحْصِيهِ

إِلَّا اللَّهُ، وَفِيهَا مِنَ الْمَعَانِي الْعَمِيقَةِ وَالذَّلَالَاتِ الْمُفِيدَةِ مَا يُثَبِّتُ الْإِيمَانَ وَيُقَوِّي الْيَقِينَ

وَيَزِيدُ صَلَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ⁽¹⁾.

وَمَعْنَاهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا ذَكَرَ - ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا حَوْلَ بِنَا عَلَى الْعَمَلِ

بِالطَّاعَةِ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا عَلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا بِاللَّهِ».

(1) انظر «الحوقلة مفهومها ودلالاتها العقديّة» لعبد الرزاق البدر (ص 3).

وفضائلها - أيها الناس - لجمّة غزيرة.

فمن فضائلها أنها وصية النبي ﷺ لأُمَّته.

ففي مُسنَدِ أحمدَ وسُنَنِ الترمذِي بِسَنَدٍ صحيح صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صحيح صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح التَّوْبِ والتَّوْبِيبِ»⁽²⁾ من حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: «بِسَبْعٍ يَحُبُّ الْمَسَاكِينَ وَأَنْ أَوْجَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنِّي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي وَأَنْ أَصِلَ رَجِيمِي وَإِنْ جَفَانِي وَأَنْ أَكْثِرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَأَنْ أَتَكَلَّمَ بِمُرِّ الْحَقِّ وَأَنْ لَا تَأْخُذُنِي بِاللَّهِ لَوْمَةً لَا يَمُ، وَأَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صحيح صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديثِ حازِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَرْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا حَازِمُ أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِخْبَارُ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِفَضْلِهَا، وَأَنَّهَا مِنْ غَرَاسِ الْجَنَّةِ

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ قَالَ فِيهِ الألبانيُّ في «صحيح التَّوْبِيبِ»⁽⁴⁾ صحَّحَ لِغَيْرِهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ:

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (333/2)، والترمذي (280/2)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (1214).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (159/5)، وصححه الألباني في «صحيح التَّوْبِيبِ» (199/1).

(3) «صحيح» أخرجه ابن ماجه (323/2)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7907).

(4) «صحيح لِغَيْرِهِ» أخرجه أحمد (418/5)، وقال الألباني في «صحيح التَّوْبِيبِ» (116/2) صحَّحَ لِغَيْرِهِ.

«مَنْ مَعَكَ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ! فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مَزَّ أُمَّتَكَ فَلْيَكْثُرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّ تَرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ.

ففي مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَعْلَمُكَ - أَوْ قَالَ - أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَثْرِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَسَلِمَ عَبْدِي وَأَسْتَسَلِمَ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهَا كَلِمَةٌ اسْتِسْلَامٍ وَتَفْوِيضٍ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَاعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غَيْرُهُ، وَلَا رَادًّا لِأَمْرِهِ وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى الْكَثْرِ هُنَا: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدْخَرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ، كَمَا أَنَّ الْكَثْرَ أَنْفَسُ أَمْوَالِكُمْ»⁽²⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. ففِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ». قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽⁴⁾ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخِدْمَتِهِ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (21/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2614).

(2) شَرْحُ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (26/17).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (244/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1581).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (3581)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1582).

فَاتَى عَلِيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ. قَالَ: فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَتَهَا كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّمَا مِنْ كَثْرِ الْجَنَّةِ».

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَثْرٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّمَا مِنْ كَثْرِ الْجَنَّةِ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ بِحَيْثُ أَنَّهُ يُدْخَرُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الثَّوَابِ مَا يَقَعُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مَوْجِعَ الْكَثْرِ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْكَائِرِ أَنْ يَعِدَّ كَثْرَهُ لِحَلَاصِهِ فِيهَا يُنَوِّبُهُ وَالتَّمَتُّعِ بِهِ فِيهَا يَلَائِمُهُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَتَهَا تُكْفَرُ الذُّنُوبَ.

فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6384)، وَمُسْلِمٌ (2704).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (3825)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ» (1585).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (266/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1205).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (158/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5636).

رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كُفرت عنه ثنوته ولو كانت أكثر من زيد البحر،
ومن فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله - أيها الناس - أنه من رزقها عند موته لم تمسه النار.

ففي سنن الترمذي وابن ماجه بسند صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع⁽¹⁾ من حديث الأغر أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله - تبارك وتعالى - صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال لا إله إلا الله لا شريك له، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد. قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي».

ثم قال الأغر: شئنا لم أفهمه قلت: لأبي جعفر: ماذا قال؟ قال: «من رزقهن عند موته لم تمسه النار».

ومن فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله - أيها الناس - أنها حُرِّمَ مِنَ الشَّيْطَانِ.

ففي سنن الترمذي والنسائي بسند صحيح صححه الألباني في صحيح الترغيب⁽²⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الرجل

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (253/2)، وابن ماجه (3794)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (713).

(2) أخرجه الترمذي (3426)، والنسائي (26/6)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (1605).

مِنْ بَيْنِهِ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لِيَهْتَمَّ لَكَ: حَسْبُكَ
قَدْ هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيْتَ لِيَسْتَحْيَ لَهُ الشَّيْطَانُ لِيَقُولَ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ
قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ خَيْرَهَا لِعَظِيمٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاء
أَعْرَابِيًّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: عَلَّمَنِي كَلِمَاتًا أَقُولُهُ. قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَخُدَّةٌ لَا شَرِيكَ لَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ». قَالَ: فَهَذَا لِرَبِّنِي فَمَا لِي. قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْزِلْني
وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارزُقْنِي».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ بَعْدَ الْحَيْعَلَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَدَّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَالَ أَحَدُكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ
أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ قَالَ:
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ
قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَمِنْ فَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهُ سَبَبٌ فِي مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ.

(1) أخرجه مسلم (2696).

(2) أخرجه مسلم (385).

ففي سنن ابن ماجه بسند حسن الأبياني في صحيح الجامع¹ من حديث معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِي مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَبْلِهِ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِي مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غَيْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَبْلِهِ».

وأخرج النسائي بسند صحيح صححه الأبياني في (الصححة)² من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ أَوْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وَمِنْ نَضَائِلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ أَنَّهُ مِنْ أَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ.

أخرج البخاري في (الأدب المفرد) بسند صحيح صححه الأبياني في صحيح الأدب المفرد³ من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَيَحْمَدُهُ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) (حسن) أخرجه ابن ماجه (3285)، وحنه الأبياني في صحيح جامع (6036).

(2) (صحيح) أخرجه النسائي في اعدب نيه ونبيه (471)، وحنه الأبياني في (الصححة) (3414).

(3) (صحيح) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (633)، وحنه الأبياني في صحيح الأدب

المفرد (ص 219).

الخطبة الثانية - البعد العقدي لهذه الكلمة العظيمة:

« لا حول ولا قوة إلا بالله » :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن فضل « لا حول ولا قوة إلا بالله » وأنها كلمة عظيمة جليلة ينبغي على المسلمين أن يُعَنُوا بها وأن يُكثِرُوا من قولها، وأن يَعْمُرُوا أوقاتهم بكثرة تردادها لعظيم فضلها عند الله والآن حديثي معكم عن البعد العقدي لهذه الكلمة العظيمة « لا حول ولا قوة إلا بالله ».

فمقتضى هذه الكلمة العظيمة - أيها الناس - أن العبد لا يملك من أمره شيئاً، وليس له حيلة في دفع شرٍّ، ولا قوة في جلب خيرٍ إلا بإرادة الله - سبحانه وتعالى - فلا تحوّل للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرضٍ إلى صحة، ولا من وهنٍ إلى قوة، ولا من نقصانٍ إلى كمالٍ وزيادةٍ إلا بالله، ولا قوة له على القيام في شأنٍ من شؤونِهِ، أو تحقيق هدفٍ من أهدافِهِ أو غايةٍ من غاياته إلا بالله العظيم، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فآزمة الأمور بيده سبحانه، وأمور الخلائق معقودة بقضائه وقدره يُصرّفها كيف يشاء ويقضي فيها بما يريد، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تقدّم ولا تأخر، له الخلق والأمر وله الملك والحمد، وله الدنيا والآخرة وله النعمة والفضل وله الشاء الحسن شملت قدرته كل شيء .

قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يس : 82).

وقال تبارك وتعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ

بعده . ﴿ (قطر : 2).

وبما أن هذا الشأن العظيم لا ينبغي لغيره - سبحانه - فإنه من الوجوب الإسلام لألوهيته والاستسلام لعظمته، وتفويض الأمور كلها إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به، ولهذا تعبد الله عباده بذكره بهذه الكلمة العظيمة التي هي باب عظمة من أبواب الجنة وكثر من كنوزها.

فهي كلمة عظيمة تعني الإخلاص لله وحده بالاستعانة، كما أن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تعني الإخلاص لله في العبادة، فلا تتحقق (لا إله إلا الله) إلا بإخلاص العبادة كلها لله، ولا تتحقق (لا حول ولا قوة إلا بالله) إلا بإخلاص الاستعانة كلها لله وقد جمع الله بين هذين الأمرين في سورة الفاتحة أفضل سورة في القرآن وذلك في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة وتفويض إلى الله - عز وجل - والعبادة متعلقة بألوهية الله سبحانه، والاستعانة متعلقة برؤيته، العبادة غاية والاستعانة وسيلة، فلا سبيل إلى تحقيق تلك الغاية العظيمة إلا بهذه الوسيلة الاستعانة بالله الذي لا حول ولا قوة إلا به⁽¹⁾.

اللهم أنت عضدنا ونصيرنا بك نحول وبك نصول وبك نستعين على أمور الدنيا والدين ولا حول ولا قوة إلا بك.

(1) انظر «الحوقلة مفهومها ودلالاتها العقديّة» لعبد الرزاق البدر (11-12).

السَّعَادَةُ

13

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «السَّعَادَةِ».

السَّعَادَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَمَا أَذْرَاكُمْ مَا السَّعَادَةُ إِنَّهَا الشُّعُورُ الْمُسْتَمِرُّ بِالْغَيْبَةِ وَالطَّمَأْنِينَةُ وَالْأَرِيحَةُ وَالْبَهْجَةُ، فَهِيَ ضِدُّ الشَّقَاوَةِ.

وَالسَّعَادَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَيْسَتْ فِي الْمَالِ وَلَا فِي الْمُلْكِ وَلَا فِي الْاِسْتِمْتَاعِ بِمَا أُوْدِعَ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ، إِنَّهَا السَّعَادَةُ جَعَلَهَا اللَّهُ مِنْ نَصِيبِ مَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرْتُ وَأَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ

حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (الفلك: 97).

قَالَ الشَّنَقِطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ سِوَاءٍ أَكَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَإِنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يُقَسِّمُ لِنُحَيْبِنَهُ حَيَاةَ طَيِّبَةً وَلَيَجْزِيَنَّهُ أَجْرَهُ بِأَحْسَنِ مَا كَانَ يَعْمَلُ.

وقال: وفي الآية الكريمة قرينة تدل على أن المراد بالحياة الطيبة في الآية حيلته في الدنيا حياة طيبة وتلك القرينة هي أننا لو قدرنا أن المراد بالحياة الطيبة حياته في الجنة في قوله ﴿ فَلْنُحَيْبِنَهُ حَيَوَةً طَيِّبَةً ﴾ صار قوله: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، تكررًا معه؛ لأن تلك الحياة الطيبة هي أجر عملهم بخلاف ما لو قدرنا أنها في الحياة الدنيا؛ فإنه يصير المعنى: فلنحيبنه في الدنيا حياة طيبة ولنجزينه في الآخرة بأحسن ما كان يعمل⁽¹⁾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طَلْحَا: 123).

قال في نواذر الأصول: «تابع القرآن قد أُجِيرَ مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا، لِرَاحَةِ قَلْبِهِ مِنْ غُمُومِ الدُّنْيَا وَظُلُمَاتِهَا، وَسَيَرِهِ فِي الْأُمُورِ بِقَلْبِهِ فِي رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ وَاسِعُهُ وَبَدَنُهُ فِي رَاحَةٍ؛ لِأَنَّهُ مُبَسَّرٌ عَلَيْهِ؛ لِظَهَانِ اللَّهِ وَاتِّتَافِهِ لَهُ؛ وَكَذَا يُجَارُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ شَقَاءِ الْعَيْشِ فِي سُجُونِ النَّيْرَانِ أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ كَمَا قَضَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنَّ السَّعَادَةَ مِنْ نَصِيبِ مَنْ اتَّبَعَ هُدَاةً؛ فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - جَعَلَ الشَّقَاوَةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَتِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُنَّةُ اللَّهِ ﴿ وَلَنْ نَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (طَلْحَا: 124).

(1) «أضواء البيان» (17/222).

(2) «البحر المديد» لابن عجيبة (3/336).

أني عَيْشًا ضَيْقًا؛ لِأَنَّ مَجَامِعَ هَمَّتِي، وَمَطَامِعَ نَظَرِي مَقْصُورَةٌ عَلَى أَعْرَاضِ الدُّنْيَا، وَهُوَ مُتَهَالِكٌ عَلَى ازْدِيَادِهَا خَائِفًا مِنْ انْتِقَاصِهَا، بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِ الطَّالِبِ لِلْآخِرَةِ، فَإِنَّ نَوْرَ الْإِيمَانِ يُوجِبُ لَهُ الْقَنَاعَةَ الَّتِي هِيَ رَأْسُ الْغِنَى وَسَبَبُ الرَّاحَةِ، فَيَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً⁽¹⁾.

فَتَبَيَّنَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ السَّعَادَةَ الْحَقَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَتَحَبُّبِهِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ يُحِبُّ لِذَاتِهِ إِلَّا اللَّهَ وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا يُحِبُّ تَبَعًا لِمَحَبَّتِهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَحْضُ أَنْ يَكُونَ هَمُّكَ وَاحِدًا وَأَنْ يَكُونَ هُوَ اللَّهُ وَخَدَهُ فَهَذَا غَايَةُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ، وَصَاحِبُ هَذَا الْحَالِ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ قَبْلَ جَنَّةِ الْآخِرَةِ وَفِي نَعِيمٍ عَاجِلٍ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْوَاجِدِينَ إِنَّهُ لَيَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِهْتَمُّ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ. وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا طَرَبًا، وَقَالَ آخَرُ: مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا قَبْلَ لَهُ: وَمَا أَطْيَبَ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَتَحَبُّبُهُ وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ»⁽²⁾.

وَلِلسَّعَادَةِ أَسْبَابٌ، فَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرُوا أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (الْمُحْتَلَك: 97).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا

يَشْقَى﴾ (طَلْحَتَا: 123).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

(1) «البحر المديد» لابن عجيبة (4/465).

(2) «رسالة ابن القَيِّمِ إِلَى أَحَدِ إِخْوَانِهِ» (ص 30).

فالمؤمن بقضاء الله وقدره سعيدها يعلمه بشأن الله لا يقضي قضاء إلا وفيه تمام العدل والرحمة والحكمة.

كما قال ابن ناصر الدين الدمشقي:

يَجْرِي الْقَضَاءُ فِيهِ الْحَبْرُ نَائِلَةٌ ○○○ لمؤمن واثق بالله لا لاهي
 إن جَاءَهُ لَسْرَحٌ أَوْ نَابَهُ نَسْرَحٌ ○○○ في الحالتين بقول: الحمد لله

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ؛ فَالْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ هُمُ السُّعْدَاءُ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُطْمَئِنَّةٌ رَاضِيَةٌ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ قَارُونَ: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا بَنِيَّ إِنَّا إِنَّمَا نَمُوتُ وَمَا أُرْسِلُ قَرُونٌ إِتَّهَ، لَدُو حَظٌّ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ (القصص: 79-80).
 فتأملوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِمَتَّهَالِكِينَ عَلَى الدُّنْيَا: ﴿وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعِزَّةُ وَتِلْكَ الْقَنَاعَةُ وَتِلْكَ الطَّمَأِينَةُ الَّتِي تَحَلَّى بِهَا الْعُلَمَاءُ؛ فَمَنْ رَامَ السَّعَادَةَ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَأَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ لَهَا رَأْيَ عَيْنٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١٨﴾﴾ (التكوير: 28).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾

(جَلَّتْهَا : 124).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِصْرُ الْأَمَلِ وَعَدَمُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَاتِّخَاذُهَا مَعْبَرًا لَا مَقْرًا.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

فَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ غَرِيبًا فَإِنَّهُ لَنْ يُنَازِعَ أَهْلَهَا وَلَنْ يُقَاتِلَهُمْ عَلَى حُطَامِهَا قَدْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ هُمُومِهَا وَأَكْدَارِهَا فَهَوَّ مِنْ أَسْعَدِ النَّاسِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سَلَامَةُ الصَّدْرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَمَتَى اضْطَرَّ لِلرَّدِّ عَلَى غَيْرِهِ كَانَ رَدُّهُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ تَوَلَّى وُجْهَكَ﴾ (٢١) وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُرْحَطٍ عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ (فُضِّلْنَا : 34-35).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَإِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٣٦) (ظَلَّنَّا : 136).

وَفِي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ⁽³⁾: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6416).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2963).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6125).

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِفْظُ اللِّسَانِ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ.

فَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَعَدَتْ نَفْسُهُ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ وَفَازَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ؛
فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِيهَا لَهَا وَلَا يَنْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَزُولُ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِدْخَالُ الشُّرُورِ عَلَى قُلُوبِ النَّاسِ.

وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ مُتَعَةٌ وَلَذَّةٌ وَسَعَادَةٌ يَجِدُهَا الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا، فَضْلًا عَنِ الْأَجْرِ
الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ
بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ
وَالْمَلْهُوفَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْيَقِينُ بِأَنَّ سَعَادَةَ الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيَّةَ فِي الْآخِرَةِ
لَا فِي الدُّنْيَا؛ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾﴾ (هُود: ١٠٨).

وَمَعْنَى غَيْرِ مَجْدُودٍ: أَيُّ غَيْرِ مَقْطُوعٍ وَلَا تَمْنُوعٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6478).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6018)، وَمُسْلِمٌ (47).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1445)، وَمُسْلِمٌ (1008).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنة الكافر».

ومما جاء في شرح هذا الحديث ما ذكره ابن عثيمين رحمه الله قال: «ذكرُوا عن ابن حجر العسقلاني شارح البخاري بالشرح الذي سماه «فتح الباري» وكان قاضي القضاة بمصر، أنه ما رُدت ذات يوم وهو على عربته تجرُّه البغال والناس حوله، مرَّ برجلٍ يهوديٍّ سمانٍ يعني يبيعُ السمنَ والزيتَ، ومن المعلوم أن الذي يبيعُ السمنَ والزيتَ ثيابهُ وسخةٌ وحاله سيئةٌ فأوقفَ العربَةَ وقال لابن حجرٍ: إن نبيكم يقول: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنة الكافر» فكيف أنا أكون بهذه الحال وأنت بهذه الحال؟

فقال له ابن حجرٍ على البديهة: أنا بالنسبة لما أعدَّ اللهُ للمؤمنين من الثوابِ والتعظيم؛ لأنَّ الدنيا بالنسبةِ لِلاخِرَةِ ليستُ بشيءٍ كما قال النبي ﷺ: «إنَّ موضعَ سوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها» (أخرجه الترمذي وذكَّره الألباني في «صحيح الترمذي»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال حسنٌ صحيحٌ).

وأما أنت أيها اليهوديُّ: فأنت في جنةٍ بالنسبةِ لما أُعدَّ لك من العذابِ إن متَّ على الكفرِ فافتنَّ ذلك اليهوديُّ وصارَ ذلك سبباً في إسلامه وقال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ»⁽³⁾.

وأستغفرُ الله.

(1) رواه مسلم (2956).

(2) «حسنٌ صحيحٌ» أخرجه الترمذي (3017)، وذكَّره الألباني في «صحيح الترمذي» (3767) وقال: حسنٌ صحيحٌ.

(3) تفسيرُ ابن عثيمين (2/30) تفسير سورة الليل.

الخطبة الثانية - موانع السعادة :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «السَّعَادَةِ وَأَسْبَابِ الْحُصُولِ
عَلَيْهَا» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «مَوَانِعِ السَّعَادَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ هُنَاكَ مَوَانِعُ كَثِيرَةٌ لِلسَّعَادَةِ تُحَوِّلُ دُونَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا⁽¹⁾.

فَمِنْ تِلْكَ الْمَوَانِعِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْكُفْرُ بِاللَّهِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ
أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (الأنعام : 125).

فَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْكَافِرَ مَثَلُهُ فِي الضِّيْقِ وَالضَّنْكِ مَثَلُ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى
الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ إِذْ يَشْعُرُ بِضِيْقٍ فِي التَّنَفُّسِ وَكُلَّمَا تَزَايَدَ صُعُودُهُ تَزَايَدَ
شُعُورُهُ بِضِيْقٍ فِي التَّنَفُّسِ، وَمَعْلُومٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الطَّبَقَاتِ الْعُلْيَا مِنَ السَّمَاءِ لَا
أُكْسِحِينَ فِيهَا فَهَكَذَا حَالُ الْكَافِرِ فِي ضِيْقٍ وَكَرْبٍ وَهَمٍّ وَغَمٍّ.

وَمِنْ مَوَانِعِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يُورِثُ الشَّقَاءَ
وَالذُّلَّةَ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ (التغاب : 175).

وَأَصْلُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تَسْتَقِيمُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهَا وَلَا
يَسْتَقِيمُ الْإِيْمَانُ إِلَّا بِالْخَوْفِ.

(1) انظر «السعادة بين الوهم والحقيقة» (ص 12) وقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزى الله
مؤلفه خيرا.

وَالْحَوْفُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

- الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الْحَوْفُ مِنَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَوْجَبُهَا وَأَعْظَمُهَا، وَهَذَا صَرْفُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكَ فَمَنْ خَافَ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَشْجَارِ وَغَيْرِهَا وَيَعْتَقِدُ فِيهَا أَنَّهَا تَضُرُّ أَوْ تَنْفَعُ فَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

- وَالْقِسْمُ الثَّانِي: خَوْفٌ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى فِعْلِ مَعْصِيَةٍ أَوْ تَرْكِ وَاجِبٍ مِنْ خَوْفِ الْمَخْلُوقِينَ فَهَذَا مُحَرَّمٌ.

- وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ: الْخَوْفُ الطَّبِيعِيُّ كَخَوْفِهِ مِنَ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ وَاللُّصُوصِ فَهَذَا الْخَوْفُ جَائِزٌ لَا تَحْذُورَ فِيهِ (1).

وَمِنْ مَوَانِعِ السَّعَادَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْغَضَبُ.

فَمَنْ تَحَكَّمَ فِيهِ غَضَبُهُ لَنْ يَجِدَ طَعْمَ السَّعَادَةِ وَمَنْ تَحَكَّمَ فِي غَضَبِهِ سَاعَدَهُ عَلَى مُوَاجَهَةِ الصَّعَابِ وَالتَّغَلُّبِ عَلَى الْعَقَبَاتِ.

وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَلَى الَّذِينَ يَتَحَكَّمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَ الْغَضَبِ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: 134).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي وَصْفِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (37).

(الشورى: 37).

كَمَا بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ قُوَّةَ النَّفْسِ لَيْسَتْ بِالْبَطْشِ وَإِنَّمَا بِالتَّحَكُّمِ بِهَا وَالْأَخْذِ بِزِمَامِهَا ففِي «الصَّحِيحَيْنِ» (2) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

(1) انظر «التعليقات البازية على كتاب التوحيد» (52/1).

(2) رواه البخاري (5763)، ومسلم (2609).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ أَعْظَمَ مَا يَنْشَأُ عَنِ الْغَضَبِ الْكِبْرُ؛ لِكَوْنِهِ يَقَعُ عِنْدَ مُخَالَفَةِ أَمْرِ يُرِيدُهُ فَيَحْمِلُهُ الْكِبْرُ عَلَى الْغَضَبِ، فَالَّذِي يَتَوَاضَعُ حَتَّى تَذْهَبَ عَنْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ يَسْلَمُ مِنْ شَرِّ الْغَضَبِ»⁽²⁾.

ومن موانع السعادة - أيها الناس - الظلم. فَإِنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيَمٌ وَعَاقِبَتُهُ سَيِّئَةٌ.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَامِدُوا، وَلَا تَنَاحِشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِيءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ وَعِزُّهُ».

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً أَمُرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِمَا يُوجِبُ تَأَلَّفَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا، وَهِيَ عَمَّا يُوجِبُ تَنَافُرَ الْقُلُوبِ وَاجْتِمَاعَهَا»⁽⁵⁾.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5765).

(2) «فَتْحُ الْبَارِي» (520/10).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2447) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2578) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(4) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

(5) «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» (336/1).

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِنَا وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا،
وَأَصْلِحْ آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً
لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ تَرْجُو فَلَ تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

(14) فضائل اليمن في الكتاب والسنة (1)

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَاكُمْ اللَّهُ الَّذِي نَسَاؤُنَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتنب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عن فضائل اليمن وأهلها.

أيها الناس إن لأهل اليمن منة على كثير من أهل بلاد الله فمنهم المجاهدون والفاتحون ومنهم القادة المصلحون، ومنهم العلماء الربانيون، ومنهم الدعاة العاملين.

فمن حفظ الجميل - أيها الناس - أن نذكر ما جاء في فضل هذا البلد الطيب الطيب أهلها في الكتاب وصحيح السنة.

فمن فضائل اليمن - أيها الناس - :

(1) انظر كتابنا «بلدة طيبة» ففيه تفصيل ما أجمل هنا وهذه الخطبة منه.

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سَبَأًا: 15).

فَسَبَأٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْيَمَنِ سَمَّتِ الْيَمَنَ بِاسْمِهَا وَهِيَ «بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ» وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ مِيزَاتِ كَلَامِ اللَّهِ الْخُلُودَ فَيُؤَخَذُ مِنْهُ أَنَّ طَيِّبَةٌ هَذَا الْبَلَدِ أَمْرٌ مُسْتَمِرٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَلِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ الطَّيِّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَنَاقِبٌ.

فَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ بِأوصَافٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (الْمَائِدَةُ: 54).

وَهَذِهِ الْآيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. أَوْ مَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي مُوسَى بِشَيْءٍ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ: «هُمُ قَوْمٌ هَذَا».

وَمِنْ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَصَفَهُمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ﴾ (الْبَقَرَةُ: 1-2).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (313/2)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» (125/12)، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (12193)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (371/17)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (3368).

وهذه الآية - أيها الناس - نزلت في أهل اليمن.

فقد أخرج عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» وتلميذه الإمام أحمد في «مُسْنَدِهِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ؛ هُمْ أَرْقُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ، وَالْفَقْهُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

وأخرج الطبراني في «الكبير» والنسائي في «الكبرى» والبخاري في «التاريخ» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَزَلَّتْ: ﴿إِذَا جَاءَ﴾ فَقَالَ: «هُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ».

وأخرج ابن حبان في «مؤارده» بسند صحيح لغيره قاله الألباني في «التعليقات الحسان»⁽³⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ؛ إِذْ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! اللَّهُ أَكْبَرُ! جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَوْمٌ نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ، لَيْتَهُ طَبَاعُهُمُ الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْفَقْهُ يَمَانٌ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

أيها الناس سنة النبي ﷺ حافلة بالشأن الحسن على أهل اليمن وذكري فضائلهم. فمن فضائل اليمن - أيها الناس - ما جاء في «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَرْقُ أَفئِدَةً وَأَلَيُّنُ

(1) «صحيح» أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (404/2)، وأحمد في «مُسْنَدِهِ» (7709) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَاقِ - أَيْضًا - ، وَصَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (3369)

(2) «حسن» أخرجه الطبراني في «الكبير» (11903)، والنسائي في «الكبرى» (172/5)، والبخاري في «التاريخ» (195/3)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (3369).

(3) «صحيح لغيره» أخرجه ابن حبان في «مؤارده» (2299) وقال الألباني في «صحيح مؤاردي الظمان» (1957) صحيح لغيره.

(4) رواه البخاري (4390)، ومسلم (52).

قُلُوبًا، الإِيمَانُ بَيَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْحَيْلَاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالوَقَارُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ.

وفي لَفْظٍ آخَرَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ - أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، أَضَعَفُ قُلُوبًا، وَأَرْقُ أَفئِدَةً الفِقْهُ يَمَانِي، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ اليَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ غَيْرِهِمْ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَبِعُفْرِ حَوْضِي أَدُودُ النَّاسِ لِأَهْلِ اليَمَنِ (أَيُّ اطْرُدُ النَّاسَ عَنْهُ غَيْرَ أَهْلِ اليَمَنِ) حَتَّى يَرْتَضَ عَلَيْهِمْ (أَيُّ: حَتَّى يَسِيلَ عَلَيْهِمْ)» فَسُئِلَ عَنْ عَرَضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، يَنْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدُّانِهِ مِنَ الجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالآخَرُ مِنْ وِزْقٍ».

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «هذا كَرَامَةٌ لِأَهْلِ اليَمَنِ فِي تَقْدِيمِهِمْ فِي الشُّرْبِ مِنْهُ؛ مُجَازَاةٌ لَهُمْ بِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ، وَتَقْدِيمُهُمْ فِي الإِسْلَامِ، وَالْأَنْصَارُ مِنَ اليَمَنِ، فَيَدْفَعُ غَيْرُهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا كَمَا دَفَعُوا فِي الدُّنْيَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْدَاءَهُ وَالْمَكْرُوهَاتِ»⁽³⁾.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ اليَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرْعَةُ انْقِيَادِهِمْ لِلْحَقِّ وَقَبُولُهُمْ لَهُ.

ففي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: بَشَرْنَا

(1) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (4390)، وَمُسْلِمٌ (52).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (3301).

(3) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (62/15، 63).

(4) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (7418).

فَأَعطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو قَيْمٍ». قَالُوا: قَبِلْنَا.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ أَهْلُ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ. فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ حَسَنِ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْيَمَنِ أَرْقُ قُلُوبًا، وَأَلَيْنُ أُنْفُدَةً، وَأَنْجَعُ طَاعَةً».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا مُبَارَكَةٌ بِدَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ. فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». قَالُوا: وَنَجِدْنَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجِدِنَا، فَأَظَنَّهُ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «هَنَّاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يُطْلَعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ رِجَالَ الْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ الرِّجَالِ. فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ صَحِيحِ صَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرِضُ يَوْمًا خَيْلًا وَعِنْدَهُ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرِ الْغَزَارِيُّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَفْرَسُ بِالْحَيْلِ مِنْكَ». فَقَالَ عَيْنَةُ: وَأَنَا أَفْرَسُ بِالرِّجَالِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَكَيْفَ ذَلِكَ؟». قَالَ: خَيْرُ الرِّجَالِ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، جَاعِلِينَ رِمَاحَهُمْ عَلَى

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (154/4) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1775): حَسَنٌ.

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1037).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1945، 1946)، وَصَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2606)، (3127).

مناسج خیولہم، لا یسوا البرود من اهل نجد. فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، بل خير الرجال رجال اليمن».

وَمِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ الْيَمَنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْتُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الْأَرْضِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ وَحَسَّنَهُ الْوَادِعِيُّ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِطَرِيقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «يُوشِكُ أَنْ يَطَّلُعَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ؛ كَأَنَّكُمْ السَّحَابُ، هُمْ خِيَارُ مَنْ فِي الْأَرْضِ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ. قَالَ: وَلَا نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ كَلِمَةً ضَعِيفَةً: «إِلَّا أَنْتُمْ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (16724)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (3437)، وحسنه شيخنا

الوادعي في «الجامع الصحيح» (84/4).

الخطبة الثانية - فضائل بعض القبائل اليمانية :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «فَضَائِلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «فَضَائِلِ بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ إِنَّهَا هُوَ مِنْ بَابِ حِفْظِ الْجَمِيلِ؛ فَلَهَا الْقَدْحُ الْمَعْلَى فِي الْجِهَادِ كَمَا لَهَا الدَّوْرُ الْعَظِيمُ فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ. فَمَنْ فَضَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ هَمْدَانَ.

ففي سُنَنِ الْبَيْهَقِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقِفَلَ خَالِدًا وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَّا رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ مَعَ خَالِدٍ أَحَبَّ أَنْ يَبْقَى مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلْيَعَقَّبْ مَعَهُ.

قال البراء: فَكُنْتُ مِمَّنْ عَقِبَ مَعَهُ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ الْقَوْمِ خَرَجُوا إِلَيْنَا فَصَلَّى بِنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَفَّنَا صَفًّا وَاحِدًا ثُمَّ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِينَا فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَتْ هَمْدَانُ جَمِيعًا، فَكَتَبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاسْلَامِهِمْ فَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ خَرَّ سَاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ السَّلَامُ عَلَى هَمْدَانَ».

(1) «صحيح» أخرجه البيهقي (369/2) بإسناد صحيح على شرط البخاري، وأخرج البخاري صدر هذا الحديث في «صحيحه» (4349)، وصححه المنذري في «مختصر السنة» (86/4)، وابن أثير في «فتح القدير» (425/1)، وصححه الألباني في «الإرواء» (474).

وهندان - أيها الناس - من أمهات القبائل اليمانية بل إنها لتشكل أكثر من ثلث سكان اليمن اليوم ويتفرغ منها حاشد وبكيل.

ومن فضائل القبائل اليمانية - أيها الناس - ما جاء في فضل حمير.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث ذي مخبر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان هذا الأمر في حمير فترعه الله منهم، وجعله في قريش وسعود إليهم».

وحمير - أيها الناس - من أمهات القبائل اليمانية - أيضا - .

ومن فضائل القبائل اليمانية - أيها الناس - ما جاء في فضل الأشعريين.

ففي «الصحيح»⁽²⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأشعريين إذا أزملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب ثم اقتسموه بينهم بالسوية، فهم مني وأنا منهم».

ومن فضائل القبائل اليمانية - أيها الناس - النخع.

ففي مسند أحمد بسند حسن حسنه الأرنؤوط في «تعليقه على المسند»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: شهدت رسول الله ﷺ يدعو لهذا الحي من النخع، أو قال: يُثني عليهم، حتى تمنيت أني رجل منهم.

ومن فضائل القبائل اليمانية - أيها الناس - ما جاء في فضل مذحج.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد في «مسنده» (91/4)، وصححه الألباني في «الصحيح» (2022).

(2) رواه البخاري (2486)، ومسلم (2500).

(3) «حسن» أخرجه أحمد (3826) وقال الأرنؤوط في تعليقه على المسند (376/6) حسن.

ما جاء في مُسندِ أحمدَ بسندِ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانیُّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ من حديثِ عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَرُّ قَبِيلَتَيْنِ فِي الْعَرَبِ: نَجْرَانُ، وَبَنُو تَغْلِبٍ، وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ مَذْحِجٌ».

وَمَذْحِجٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ وَتُشَكَّلُ قَرِيبًا مِنْ رُبْعِ سُكَّانِ الْيَمَنِ.

وَمِنْ فِصَائِلِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْأَزْدِ.

فَفِي مُسندِ أحمدَ بسندِ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانیُّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نِعْمَ الْقَوْمُ الْأَزْدُ، طَيِّبَةٌ أَفْوَاهُهُمْ، بَرَّةٌ أَيْمَانُهُمْ، نَقِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ».

وَقَبِيلَةُ الْأَزْدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ أُمَّهَاتِ الْقَبَائِلِ الْيَمَانِيَّةِ وَتَفَرَّعَ عَنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ وَهُمْ الْأَنْصَارُ.

وَلَا يُوجَدُ قَبِيلَةٌ نَالَتْ مِنَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ، وَالثَّنَاءِ الْبَالِغِ مِنَ اللهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَمِنَ الرَّسُولِ ﷺ كَقَبِيلَةِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَةَ، وَتَسْمِيَّتُهُمْ فِي الْأَصْلِ: الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ، فَسَمَّاهُمُ اللهُ الْأَنْصَارَ؛ لِئِنْصَرَّتْهُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿وَالسَّيِّفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التَّوْبَةُ: 100).

وَقَدْ أَمْتَدَحَهُمُ اللهُ وَأَثَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ نَبَّؤُوا الدَّارَ وَالْآيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنُ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الْمُنْتَفِقِينَ: 9).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1945) وَصَحَّحَهُ الألبانیُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2606)، (3127).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (351/2) وَصَحَّحَهُ الألبانیُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1039).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ».

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا

اللَّهُمَّ مِنْ أَرَادَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ سُوءًا فَأَشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ وَرَدَّ كَيْدَهُ فِي تَخْرِيهِ إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3783)، وَمُسْلِمٌ (75).

15 : الثبات على دين الله

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التوبة: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا كَثِيرًا مِمَّا تَسَاءَلُونَ

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأنفال: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ الثَّبَاتُ هُوَ الْاسْتِقَامَةُ عَلَى الْجَادَّةِ وَلِزُومِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ غَيْرِ عِوَجٍ وَلَا انْحِرَافٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الثَّبَاتَ عَلَى دِينِ اللَّهِ هُوَ رَأْسُ الْمَالِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ الْحَسَارَةَ وَهُوَ وَصِيَّةُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّالِحِينَ.

قال يعقوب لبيبي: ﴿يَبْقَى إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٦)

(التوبة: 132).

ولمَّا كَانَ الْمُسْلِمُ عُرْضَةً لِلِابْتِلَاءِ وَالْمِحْنِ حَتَّى فِي إِيْمَانِهِ.

كما في مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِيْمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ، فَسَلُوا اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيْمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ».

كَانَ لَزَامًا عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ لَكُمْ مَوَانِعَ الثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ ثُمَّ بَعْدَهُ نَذْكُرُ أَسْبَابَ الثَّبَاتِ. فَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَوْلُ الْأَمَلِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُتِنُوا ﴾^(١٦)

(المجادل: 16).

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ لَنَا مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ حَيْثُ يَتَوَلَّدُ عَنْهُ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَالتَّسْوِيفُ بِالتَّوْبَةِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّسْيَانُ لِلْآخِرَةِ وَالقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢)

(الحجر: 3).

وَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ دَعْوَتِهِمْ يَعْيشُوا كَالْأَنْعَامِ وَلَا يَهْتَمُّوا بِغَيْرِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهَوَاتِ وَالتَّبَاهِي فِي زِينَةِ الدُّنْيَا مِنَ السَّكَنِ وَالمَرْكُوبِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

وَمَعْنَى ﴿ وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ ﴾ : أَيُّ يَشْغَلُهُمْ طَوْلُ الْأَمَلِ وَالعُمُرِ عَنِ اسْتِقَامَةِ الْحَالِ عَلَى الْإِيْمَانِ، وَالأَخْذِ بِطَاعَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

وَمِنْ مَوَانِعِ الثَّبَاتِ التَّوَسُّعُ فِي الْمُبَاحَاتِ تَوْسُّعًا يُخْرِجُهُ عَنِ حُدِّ الْعَدَالِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ (طَلْحَا: ٨١).

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (4/1)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1590).

فأمر سبحانه وتعالى بالأكل من الطيبات ونهى عن الطغيان لأنه يدعو إلى البطالة والكسل وكل شيء تجاوز حده انقلب إلى ضده حتى في المباحات.
ومن موانع الثبات - أيها الناس - الابتعاد عن الأجواء الإيمانية.
فمن المعلوم أن الإيمان يزيد وينقص كما أن النفس إذا لم تشغلها بالحق والطاعة شغلتك بالمعصية.

فالإيمان يضعف ويضمحل إذا تعرض العبد لأجواء الإباحية والفجور والتبرج والسفور أو خالط أهل الدنيا في أسواقهم وأطال فيها البقاء وأجال فيها النظر وهجر الجماعة في المساجد واكتفى بالصلاة في البيوت.

لذلك جاء في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أحب البلاد إلى الله - تعالى - مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».

وفي مسند أحمد بسند حسن صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحسن البقاع إلى الله المساجد وأبغض البقاع إلى الله الأسواق».

تلك - أيها الناس - بعض موانع الثبات، وسأعرج بكم الآن على وسائل الثبات على دين الله.

فمن وسائل الثبات على دين الله - أيها الناس - استشعار عظمة الله .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ (الأنعام : 59).

(1) رواه مسلم (671).

(2) «حسن صحيح» أخرجه أحمد (18/4)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (78/1) حسن صحيح.

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرُوا، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِيَوْمِئِذٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الأنبياء : 67).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - الالتزام بالدين.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ، لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ﴾ (الأنبياء : 66-68).

وإذا لا يتنبههم من لدنا أجرًا عظيمًا ﴿٧٧﴾ ولهديتهم صراطًا مستقيمًا ﴿٧٨﴾ (الأنبياء : 66-68).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - المسارعات في الخيرات.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (التغذبات : 133).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (المجادل : 21).

والمسارعات إلى الطاعة - أيها الناس - بحاجة إلى الاستمرار عليها.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «أحب الأعمال إلى الله أدومته وإن قل».

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - قراءة القرآن وتدبره والعمل به فهو من أعظم وسائل الثبات.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ، فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان : 32).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الحجرات : 102).

(1) رواه مسلم (783).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - الشعور بالافتقار إلى تثبيت الله؛ لأنه من فقد الله ماذا وجد ومن وجد الله ماذا فقد؟

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ نَبُنْثَلَكَ لَفَدَيْتُكَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (الأحزاب : 74-75).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتُنُوا آلِيكَ ءَامِنًا ﴾ (الأنفال : 12).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - الإيمان بالله وصدق التوكل عليه والالتجاء إليه والشعور الدائم بمعنيته والاعتقاد الجازم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك والإيمان باسماء الله وصفاته وتحقيق العبودية لله وحده لا شريك له والبراءة من الشرك وأهله، والنفاق وأهله فذلك وغيره من الإيمان سبب عظيم من أسباب الثبات.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (الأنعام : 27).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - قصر الأمل؛ لأنه كلما قصر الأمل جد العمل؛ لأن العبد يقدر أنه يموت اليوم فيستعد استعداد مسافر توشك الرحلة أن تقوته.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث

ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

(1) رواه البخاري (6416).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (60/2)، وصححه الألباني في «الصحيح» (438).

ومن أسباب الثبات - أيها الناس - التعلق بالمسجد وأهله.
ففي التعلق بالمسجد وأهله ما يُعِينُ على الثبات حيث المحافظة على صلاة
الجماعة والصُحبة الصالحة ودعاء الملائكة وحلق العلم.

قال الله - سبحانه وتعالى - في وصف الملازمين للمساجد المنشغلين بها عن الدنيا:
﴿ رَجَالٌ لَا لُئِيمِهِمْ يَجْزَى وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ. وَاللَّهُ بَزْرُقٌ مِّن بَشَاءٍ يَغْيِرُ حِسَابَ ﴿٣٨﴾ ﴾
(النور: 37-38).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا
نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».
وجلس الصالحين يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله به عليهم إكراماً لهم،
ولو لم يُشاركهم في أصل الذكر

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضْلاً يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا
مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمَلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - : فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -
وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ، فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يَسْبَحُونَكَ
وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَهَلِّلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونَنِي، قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ
جِئْتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جِئْتِي، قَالُوا: لَا أَيْ رَبُّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جِئْتِي، قَالُوا:

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (60/2)، وصححه الألباني في «الصحيح» (438).

(2) رواه البخاري (640) واللفظ له، ومسلم (2689).

وَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمَا يَسْتَجِيرُونَني. قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي، قَالُوا: لَا قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا جَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بَيْنَ جَلِيسَتِهِمْ».

وَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَدْعُو لِمَنْ جَلَسَ بَعْدَ الصَّلَاةِ لِلذِّكْرِ.

كما في «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحَدِّثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَاللَّهُمَّ ارْحَمْهُ».

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ أَنَّ مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي رِبَاطٍ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ».

وَالرِّبَاطُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَرَابِطَةُ الْعَدُوِّ وَمَلَازِمَتُهُمْ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (445)، وَمُسْلِمٌ (362).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (251).

الخطبة الثانية - من أسباب الثبات :

أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، أيها الناس لا زلنا وادكم مع أسباب الثبات.

فمن أسباب الثبات - أيها الناس - الرجوع إلى أهل العلم عند ورود الشبهات
وحلول الفتن.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَتُهُ وَقَعَلَى - ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَالْيَاكُوتِ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ
الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٣﴾ (التكوة : 33).

فهذا - أيها الناس - تأديب من الله لعباده وأنه ينبغي هم إذا جاءهم أمر من
الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو الخوف الذي فيه
مضية عليهم أن يتبتوا ولا يستعجلوا في إشاعة الخبر بل يردونه إلى الرسول وإلى
أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح^(١).

وذلك لأن أهل العلم يعرفون الفتن عند إقباها والناس يعرفون الفتن عند إدارها.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَتُهُ وَقَعَلَى - مُخْبِرًا عَنْ مَوْقِفِ عَامَّةِ النَّاسِ مِنْ قَارُونَ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى
قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ
عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ (القصص : 79).

وقال في موقف أهل العلم من قارون: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ

خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ (القصص : 80).

(1) تفسير ابن سعدي (190).

ثُمَّ تَغَيَّرَ مَوْقِفُ عَامَّةِ النَّاسِ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ اللَّهُ قَارُونَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ بِسِطِّ الرَّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الصَّخْرَةَ : 82).

فَتَأَمَّلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى مَوْقِفِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَثَبَاتِهِمْ أَمَامَ الْفِتَنِ إِنَّهُ مَوْقِفٌ ثَابِتٌ لَا يَتَزَعَّزَعُ بِخِلَافِ الْعَامَّةِ وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « الْعِلْمُ يَرَى الْفِتْنَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ وَالنَّاسُ لَا يَرَوْنَهَا إِلَّا وَهِيَ مُدْبِرَةٌ ».

وَمِنْ وَسَائِلِ الثَّبَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّطَلُّعُ إِلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ إِلَّا دَارُ ابْتِلَاءٍ وَمَحْنٍ وَمُنَافَسَةٍ عَلَى أَحْسَنِ الْعَمَلِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (الْمَلِكُ : 1-2).

وَتَبَقَى الْآخِرَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ دَارُ الْقَرَارِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ : ﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (عَنْطَلَا : 39).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « سَأَلَ مُوسَى ﷺ رَبَّهُ : مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِرَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ ؟ فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (189) (312).

فیقول فی الخامسة: رضیت رب. فیقول: هذا لك وعشرة أمثالها، ولك ما اشتئت نفسك، وكذت عينك. فیقول: رضیت، قال: رب فأغلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يحطر على قلب بشر.

ومضداه في كتاب الله - عز وجل - : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (التجنيد: 17).

ومن وسائل الثبات - أيها الناس - الدعاء.

فمن صفات عباد الله أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم على الطاعة. قال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عنهم قَوْلُهُمْ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (التغاب: 8).

ولما كانت قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقل له في ذلك؟ قال: «إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ»

والحديث أخرجه الترمذي في سننه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ عن أم سلمة رضي الله عنها.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

اللهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك.

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (2792) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4801).

غزوة بدر

16

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

— ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الغزوات: 102).

— ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

— ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «غَزْوَةِ بَدْرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ غَزْوَةَ بَدْرِ مَلْحَمَةٌ مِنْ مَلَا حِمِ الْإِسْلَامِ وَيَوْمٌ مِنْ أَيَّامِهِ الْجَلِيلَةِ الْعِظَامِ يَوْمٌ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ جُنْدَهُ وَنَصَرَ فِيهِ عَبْدَهُ وَأَذَلَّ فِيهِ مَنْ عَادَاهُ، وَرَفَعَ الْمَنَارَ لِمَنْ وَالَاهُ، يَوْمَ الْفِرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ.

يَوْمٌ خَاصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ ثَلَاثِ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا هُمْ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ كَتَبَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ وَهُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَنَادَى عَلَيْهِمْ مُنَادِي اللَّهِ: يَا أَهْلَ بَدْرِ اعْمَلُوا مَا سِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ^(١).

(1) انظر «غزوة بدر» للشنقيطي (ص 1).

كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ (وَفِي لَفْظٍ: لَعَلَّ اللَّهُ) اَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ بَلْتَعَةَ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَلَّ اللَّهُ اَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ رَافِعَةَ بْنِ رَافِعِ الرَّزْقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جَبْرِئِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فَيَكْفُرُ؟ قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - وَكَلِمَةً نَحْوَهَا -». قَالَ: وَكَذَلِكَ مَا شَهِدَ بَدْرًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحَدِيثِيَّةَ».

وَكَانَتْ غَوَاةُ بَدْرٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ.

وَسَبَّبَهَا مَا ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيَرَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبْنَيْ سُنْفِيَانَ مُقْبِلًا مِنَ الشَّامِ نَدَبَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «هَذِهِ عَيْرٌ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَأَخْرَجُوا لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُنْفِلَكُمْ مَوَاهِمَهَا».

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/295)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (6/521).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6279)، وَمُسْلِمٌ (2494).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3992).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (3/396)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5227).

(5) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (5/261)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «فِقْهِ السِّيَرَةِ» (ص 218).

ولم يعزِم على أحد بالخروج فسار رسول الله ﷺ بالجيش فيه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً بفرسين وسبعين بعيراً يتعاقبونها وكان النبي ﷺ وعليّ ومزئذ بن أبي مزئذ يعتقبون بعيراً واحداً ودفع لواء القيادة لمصعب بن عمير وكان أيضاً وقسم الجيش إلى كتيبتين كتيبة المهاجرين وأعطى علمها عليّ بن أبي طالب، وكتيبة الأنصار وأعطى علمها سعد بن معاذ، وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام وعلى اليسرة المقداد بن عمرو، وعلى الساقة قيس بن أبي صغصعة، وهو القائد الأعلى للجيش وعلم أبو سفيان بجوايسيه ميسر عسكر المؤمنين فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة، فصر بطن الوادي واقفاً على بعيره، وقد جدع أنفه وحول رخله، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة، اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث. فتحفظ الناس سراعاً وتجمع نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة لا يعرف عددها بقيادة أبي جهل وقد أفلت أبو سفيان بالبعير فسار باتجاه الساحل، وأرسل رسالة إلى جيش قريش وهم في الجحفة: إنكم خرجتم لتخرزوا غيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجاها الله فأرجعوا، فهم الجيش بالرجوع، عندها قام أبو جهل وقال: والله لا نرجع حتى نرد بذراً فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الحمر وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فرجعت بنو زهرة وكانوا حوالي ثلاثمائة رجل، وقدّر الله - سبحانه وتعالى - تذييره بنجاة أبي سفيان ومن معه ليحق الحق ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ

ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال : 7).

فَسَارَ الْجَيْشُ مِنْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرِ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى.
 قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَقَعَلَى - : ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ
 أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
 لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الْأَنْتَاقُ : 42).

وَلَمَّا تَبَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِفْلَاتَ الْعَيْرِ وَأَتَاهُ خَبْرُ خُرُوجِ قُرَيْشٍ بِسِلَاحِهَا
 وَقِيَانِهَا وَخَمْرِهَا وَجَيْشٍ يَفُوقُ أَصْحَابَهُ عَدَدًا وَعُدَّةً لَمْ يُبَادِرْهُ بِهَالِهِ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ بِأَمْرٍ
 وَيَنْهَى يَنْبَغِي الْمُوَاجَهَةَ بَلْ جَمَعَ مِنْ حَوْلِهِ مِنْ أَنْصَارٍ وَمُهَاجِرِينَ يُشَاوِرُهُمْ - إِعْمَالًا لِأَمْرِ
 اللَّهِ - ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (التَّحْوِيلَاتُ : 159).

وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ عَرِيشًا عَلَى تَلٍّ مُرْتَفِعٍ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ لِمَيْدَانِ الْقِتَالِ، ثُمَّ
 عَبَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشَهُ، وَمَشَى فِي مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ: «هَذَا
 مَضْرَعُ فُلَانٍ غَدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَهَذَا مَضْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ». كَمَا فِي
 «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرِ نَظَرَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا،
 فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي،
 اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي
 الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِداؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ.

فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِداؤَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: «يَا نَبِيَّ
 اللَّهِ، كِفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿إِذْ

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1779).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1763).

تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنْى مُدِّكُمْ بِاَلْفٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُرَوِّفِيْنَ ﴿١﴾ (الاشكالك : 9).
فَامَدَّهُ اللهُ بِالْمَلٰٓئِكَةِ.

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ اِنِيْ اُنشِدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ اِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبِدْ». فاخذ ابو بكر بيده، فقال: حَسْبُكَ فخرَجَ وهو يقول: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُرْوَنُ الذُّبُرُ﴾ (البصيح : 45).

وبدأت المعركة بالمبارزة كما في سننِ ابي داودَ بسندِ صحيح صححه الألباني في «صحيح ابي داود»⁽²⁾ عن علي بن ابي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: تَقَدَّمَ - يعني عتبة بن ربيعة - وتبعه ابنه وأخوه، فنادى مَنْ يُبَارِزُ فانتدب له شبابٌ من الأنصار، فقال: مَنْ اَنْتُمْ؟ فاخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم، اِنَّمَا اُرَوْنَا بني عَمَّنَا فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا حمزة! قُمْ يا علي! قُمْ يا عبيدة بن الحارث!».

فاقبل حمزة على عتبة واقبلت إلى شيبه، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فاختزن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واختملنا عبيدة. ثم ماذا بعد ذلك - أيها الناس - لقد اختلطت الصفوف، وتلاقت السيوف وحسم أمر الله للملائكة اللقاء.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿اِذْ يُوحى رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا سَأَلْتِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا الرَّغْبَ فَاَضْرِبُوْا فَوْقَ الْاَعْنَاقِ وَاَضْرِبُوْا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ (الاشكالك : 12).

وتتابع السيوف والرماح مغلها في القوم حتى أدل الله أعداءه فوقعوا بين قتيل وأسير.

(1) رواه البخاري (3953).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (2392)، وصححه الألباني في «صحيح ابي داود» (417/7).

واستجاب الله دعاء نبيه كما جاء في سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . «اللهم إني حفاة فاحملهم، اللهم إني عمراة فاكسهم، اللهم إني جياع فأشبعهم». ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا.
وأستغفر الله.

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (2747)، وصححه الألباني في «الصحيح» (4/3).

الخطبة الثانية - فوائد من غزوة بدر :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «غزوة بدر» والآن حديثي
معكم عن «فوائد من تلك الغزوة».

فمن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الاستغاثة بالله سبب عظيم من أسباب النصر.
قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَوْى مُعِدُّكُمْ بِاللَّيْلِ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ (الأنفال : 9).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن نزول الملائكة للبشرى والطمأنينة.
قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ (الأنفال : 126).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الماء والنعاس من جنود الله.
قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ يَفِئْتِكُمُ النَّعَاسُ آمِنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
يَطْهَرُكُمْ بِهِ. وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِيحُ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ (الأنفال : 11).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - يدير المعركة.
قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أِنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأَلْتِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كَلَّ بَنَانِ ﴿١٢﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ
فَدُوقُهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ (الأنفال : 12-14).

ومن فوائد غزوة بدر - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذي أخرج
رسوله ومن معه إلى المعركة ليحقق الحق ويبطل الباطل.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴾ ⑤ يُجَدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ⑥ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ⑦ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ⑧ ﴿

(الْاِسْتِثْنَاءُ : 5-8).

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا إِسْلَامَنَا ذَلِكَ الْإِسْلَامَ الَّذِي جَاهَدَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَقَّ الْجِهَادِ حَتَّى أُخْرَجَ بِهِ الدُّنْيَا مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ.

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا رُشْدَنَا وَاهْدِنَا سِوَاءَ السَّبِيلِ وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَلْقَاكَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ وَلَا مُبَدِّلِينَ وَلَا مُغَيِّرِينَ.

عُلُوُّ الْهَمَّةِ

17

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذاتنا : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسبئة : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأخترااتنا : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِي مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،

وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «عُلُوِّ الْهَمَّةِ».

عُلُوُّ الْهَمَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - «هُوَ اسْتِصْغَارُ مَا دُونَ النِّهَايَةِ مِنْ مَعَالِي الْأُمُورِ، وَطَلْبُ

الْمَرَاتِبِ السَّامِيَةِ، وَاسْتِحْقَارُ مَا يَجُودُ بِهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ، وَالِاسْتِخْفَافُ بِأَوْسَاطِ

الْأُمُورِ، وَطَلْبُ الْغَايَاتِ، وَالتَّهَاقُوتُ بِهَا يَمْلِكُهَا، وَبِذَلِكَ مَا يُمَكِّنُهُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ مِنْ غَيْرِ

أَمْتَانٍ وَلَا اعْتِدَادٍ بِهِ» كما قَالَ الْجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ «تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ»⁽¹⁾.

(1) «تهذيب الأخلاق» للجاحظ (28).

وقال في «دُنُوْ هِمَّةً»: «هو ضعفُ النَّفْسِ عن طلبِ المراتبِ العالِيَةِ، وقُصُورُ الأملِ عن بُلُوغِ الغاياتِ، واستكثارُ اليَسِيرِ من الفضائلِ، واستِعْظَامُ القليلِ من العطايا والاعتدادُ بِهِ، والرَّضَى بأوساطِ الأمورِ وصِغارِها»⁽¹⁾.

وقال الحَضْرُ حُسين رَحْمَةُ اللَّهِ: «عُلُوْ هِمَّةً: هو استصغارُ ما دونَ النَّهايةِ من معالي الأمور»⁽²⁾.

أيُّها النَّاسُ الإسلامُ دينُ العِزَّةِ والكرامةِ، ودينُ السموِّ والارتفاعِ، ودينُ الجِدِّ والاجتهادِ، فليسَ دينَ ذِلَّةٍ ومَسْكَنَةٍ، ولا دينَ كَسَلٍ وخمولٍ ودَعَاةٍ. إنه دينٌ يَحْضُ على عُلُوْ هِمَّةٍ وَيُحِبُّ المسلمِينَ على التَّحَلِّي بِهذا الخُلُقِ⁽³⁾.

فقد أخرج الطَّبْرانِيُّ في الكبيرِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ -تعالى- يُحِبُّ مَعَالِي الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، إِخْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا أَوْ كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

(1) «تهذيبُ الأخلاقِ» للجاحظ (34).

(2) «رسائلُ الإصلاحِ» (57).

(3) انظر «الهمةُ العالِيَةُ» للحمَد (119).

(4) «صحيحُ» أخرجه الطَّبْرانِيُّ في «الكبيرِ» (2894)، وابن عَدِيٍّ في «الكاملِ» (3/879)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (1886).

(5) رواه مسلم (2664).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : «قوله ﷺ : «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيفِ، وفي كُلِّ خَيْرٍ» والمرادُ بالقوةِ هنا عَزِيْمَةُ النَّفْسِ والقَرِيحَةُ في أمورِ الآخِرَةِ فيكونُ صاحبُ هذا الوَصْفِ أكثرَ إقدامًا على العَدُوِّ في الجهادِ وأسرَعَ خُرُوجًا إليه وذهابًا في طَلَبِهِ وأشدَّ عَزِيْمَةً في الأَمْرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المنكرِ والصَّبْرِ على الأذى في كُلِّ ذلكَ واحتمالِ المشاقِّ في ذاتِ اللهِ تعالى وأزْعَبَ في الصَّوْمِ والصَّلَاةِ والأذكارِ وسائرِ العباداتِ وأنشَطَ طلبًا لها ومحافظةً عليها ونحوِ ذلكَ»⁽¹⁾.

ومن اللطائفِ في علوِّ الهمةِ - أيها النَّاسُ - ما جاءَ في «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَجِبُ العُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّائِبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ - تعالى - فَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُسَمِّتَهُ، أَمَا التَّائِبُ فَإِنَّهَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَتَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَتَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ».

قال العلامةُ ابنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ : «العُطَّاسُ يَدُلُّ عَلَى النَّشَاطِ وَالْحِفَّةِ وَهَذَا تَجِدُ الْإِنْسَانَ إِذَا عَطَسَ نَشِطَ وَاللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - يُجِبُّ الْإِنْسَانَ النَّشِيطَ الْجَادَّ.

وفي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «المؤمنُ القويُّ أَحَبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيفِ وفي كُلِّ خَيْرٍ» والعُطَّاسُ يَدُلُّ عَلَى الْحِفَّةِ وَالنَّشَاطِ فَلِهَذَا كَانَ مَحْبُوبًا إِلَى اللهِ وَكَانَ مَشْرُوعًا لِلْإِنْسَانِ إِذَا عَطَسَ أَنْ يَقُولَ الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ أُعْطِيَهَا فَلْيَحْمَدِ اللهُ عَلَيْهَا فَيَقُولُ: «الحمدُ لله».

وأما التَّائِبُ فَإِنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَهَذَا كَانَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - يَكْرَهُهُ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ التَّائِبَ يَدُلُّ عَلَى الْكَسَلِ»⁽³⁾.

(1) «شرح النووي على مسلم» (215/16).

(2) رواه البخاري (6223) واللفظُ له، ومسلم (2994).

(3) «شرح رياض الصالحين» (1/998).

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَحُثُّ عَلَى السُّمُوِّ وَالْأَرْتِفَاعِ حَتَّى فِي التَّسْمِيَةِ.
فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَهَبٍ
الْجُسَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ
الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَامٌ».

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا صَارَ الْحَارِثُ وَهَمَامٌ مِنْ أَصْدَقِ الْأَسْمَاءِ مِنْ
أَجْلِ مُطَابَقَةِ الْأَسْمِ مَعْنَاهُ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ لِيَكُنْ هَمَّتُكُمْ الْآخِرَةَ فَنَعِيمُهَا خَيْرٌ وَأَبْقَى.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نِعْمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿الْإِنشَاء : 20﴾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: «لَمْ يَضِعْ سَوَاطِئُ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَعْدُوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ أَنْكَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي قَصُرَتْ بِهِ هِمَّتُهُ فَجَعَلَهَا فِي
نَاقَةٍ بَرَّخَلِهَا وَأَعْتَرَّ يَحْلُبُهَا أَهْلُهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» وَالْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ نَزَلَ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَا أَعْرَابِيُّ سَلْ حَاجَتَكَ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4950)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (904).

(2) «شَرْحُ السُّنَنِ» لِلْبَغَوِيِّ (334/12).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6415)، وَمُسْلِمٌ (1881).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (7093)، وَالْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (3458)، وَصَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (313).

ناقة برخلها، وأعترج يخلبها أهلي. قالها مرتين، فقال له رسول الله ﷺ: «أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل؟». فقال أصحابه: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: «إن موسى أراد أن يسير بيني إسرائيل فأضل الطريق، فقال له علماء بني إسرائيل: نحن نحدثك أن يوسف أخذ علينا موثيق الله أن لا نخرج من مصر، حتى ننقل عظامه معنا، قال: وإيكم يدري أين قبر يوسف؟ قالوا: ما تدري أين قبر يوسف إلا عجوز بني إسرائيل، فأرسل إليها، فقال: دليني على قبر يوسف، فقالت: لا والله لا أفعل حتى أكون معك في الجنة، قال: وكرة رسول الله ﷺ ما قالت، فقيل له: أعطيها حكمها فأعطاهما حكمها فأثت بحيرة، فقالت: أنصبوا هذا الماء. فلما نصبوه قالت: اخفروا ها هنا، فلما حفروا إذا عظام يوسف، فلما أقلوها من الأرض، فإذا الطريق مثل ضوء النهار».

أيها الناس هل طلب الأعرابي شيئاً محرماً أم أنه طلب شيئاً من ضروريات الحياة ومع هذا وجهه النبي ﷺ إلى أرفع مقام وأسمى غاية⁽¹⁾.
أيها الناس عظيم الهمة يشتد حرصه على الجنة حتى لا يكاد يشعر بما يلاقه في طريقه.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (في يوم بدر) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض».
قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ، بخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ، بخ». قال: لا والله! يا رسول الله!، إلا رجاء أن أكون من أهلها؟ قال: «فإنك

(1) انظر «قصة عجوز بني إسرائيل» للمقطري (95).

(2) رواه مسلم (1901).

مِنْ أَهْلِهَا». وَقَالَ: فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ حَيْثُ حَتَّى أَكَلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٍ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ».

فَقَامَ رَجُلٌ رَثٌ الْهَيْئَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى! أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجِعْ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَةً سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضْرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. وَأَسْتَغْفِرَ اللَّهُ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1902).

الخطبة الثانية - علو همة سلمان في البحث عن الحق :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «علو الهمة» والآن حديثي
معكم عن «علو همة سلمان في البحث عن الحق».

يقول سلمان الفارسي رضي الله عنه عن قوم من أبناء ملته خرجت معهم حتى
قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل هذا الدين؟

قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال: فحجته، فقلت: إني أرغب في هذا الدين،
وأخبيت أن أكون معك؛ أخدمك في كنيسةك، وأتعلم منك، وأصلي معك.

قال: فادخل، فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء؛ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم
فيها؛ فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين، حتى جمع سبع قلال
من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يضيع، ثم مات، فاجتمعت
إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجلا سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم
فيها؛ فإذا حثموا بها؛ اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا. قالوا: وما علمك
بذلك؟ قال: قلت: أنا أدلكم على كنزها. قالوا: فدلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه،
قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا، (أيء: فضة) قال: فلما رأوها
قالوا: والله لا ندفيه أبدا فصلبوه ثم رجموه بالحجارة.

ثم جاؤا برجل آخر فجعلوه بمكانه. قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلا لا
يُصلي الخمس أرى أنه أفضل منه؛ أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أذاب
ليلا ونهارا منه، قال: فأخبيته حبا لم أجه من قبله، وأقمت معه زمانا، ثم حضرته
الوفاة، فقلت له: يا فلان! إني كنت معك، وأخبيتك حبا لم أجه من قبلك، وقد

حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَلِي مَنْ تُوصِي بِي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! والله ما أعلم أحدًا اليوم على ما كنتُ عليه، لقد هلك الناسُ وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بـ (الموصِل) وهو فلان، فهو على ما كنتُ عليه فالحق به.

قال: فلما ماتَ وغُيِّب؛ لحقتُ بصاحبِ (الموصِل)، فقلتُ له: يا فلان إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحقَ بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقيم عندي. فأقمتُ عنده، فوجدته خيرَ رجلٍ على أمرٍ صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلتُ له: يا فلان! إن فلانًا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوقِ بك، وقد حضرَكَ من الله - عزَّ وجلَّ - ما ترى، فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بـ (نصيبين) فجيئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي، قال: فأقيم عندي. فأقمتُ عنده، فوجدته على أمرٍ صاحبه، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ، فوالله ما لبث أن نزلَ به الموتُ، فلما حضرَ قلتُ له: يا فلان! إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلانٍ، ثم أوصى بي فلانٌ إليك؛ فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! والله ما نعلم أحدًا بقيَ على أمرنا أمرًا أن تأتيه إلا رجلاً بـ (عمورية)؛ فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببتَ فأتبه، قال: فإنه على أمرنا. قال: فأقمتُ ماتَ وغُيِّب، لحقتُ بصاحبِ (عمورية) وأخبرته خبري، فقال: أقيم عندي. فقممتُ مع رجلٍ على هدي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبتُ حتى كان لي بقراتٌ وغنيمَةٌ، قال: ثم نزلَ به من أمرِ الله، فلما حضرَ قلتُ له: يا فلان! إنني كنتُ مع فلان، فأوصى بي فلانٌ إلى فلانٍ وأوصى بي فلانٌ إلى فلانٍ ثم أوصى بي فلانٌ إليك؛ فإلى مَنْ تُوصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: أي بُني! ما أعلمه أضحج على ما كنا عليه أحدٌ من الناسِ أمرًا أن تأتيه، ولكنه قد أظلكَ زمانُ نبيِّ، هو مبعوثٌ بدينِ إبراهيمَ، يخرجُ بأرضِ العربِ، مهاجرًا إلى أرضٍ بينَ حرتينِ بينهما نخلٌ، به علاماتٌ لا تخفى، يأكلُ الهديةَ،

ولا يأكل الصدقة بين كفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بيتك البلاد فافعل. قال: ثم مات وغيب، فمكثت بمؤريّة ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بي نفر من كلب تجاراً، فقلت لهم: تخمّلوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتموها، وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني، فباعوني من رجل من اليهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحق لي في نفسي، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها.

وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذقي لسيدي أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس إذا أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان! قاتل الله بني قيلة؛ والله إنهم الآن لمجتمعون ب (قباء) على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي. قال: فلما سمعتها أخذتني العرواء (أي الرعدة) حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ قال: فغضب سيدي فلكنني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟! أقبل على عمك. قال: قلت: لا شيء إننا أردت أن أستثبت عمًا قال.

وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو ب (قباء)، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا». وأمسك يده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً

وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثمّ جئتُ به فقلتُ: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هديّة أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلتُ في نفسي: هاتان اثنتان، ثمّ جئتُ رسول الله ﷺ وهو يبيع الفرقد، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له، وهو جالس في أصحابه، فسلمتُ عليه، ثمّ استدزتُ أنظرُ إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رأني رسول الله ﷺ استدزته؛ عَرَفَ أَنِّي أُسْتَشِبُّ فِي شَيْءٍ وَصِفَلِي، قال: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفته فأنكبتُ عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوّل». فقصصتُ عليه حديثي - كما حدثتُك يا ابن عباس! - قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

أيها الناس لقد ضرب لنا الصحابيُّ الجليل سلمان الفارسيُّ رضي الله عنه المثل الأعلى في علوِّ الهمة في طلب الحقِّ حتى وجدَهُ وإن كان قد قاسى الشدائد واختمل المتاعب فعظيمُ الهمة يستهينُ بذلك كلِّه، كما قال الأوَّل:

تَهونُ علينا في المعالي نفوسنا ○●○ وَمَنْ يَخْطُبِ الحِساءَ لَمْ يَغْلُهُ المَهْرُ

وقال الآخر وهو البارودي رحمه الله:

وَمَنْ تَكُنِ العِلياءَ هِمَّةً نَفْسِهِ ○●○ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبُّ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الضَّعَةِ وَالقِلَّةِ وَالدَّلَّةِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَعَالِي الأُمُورِ وَأَشْرَافِهَا وَالعَزِيمَةِ عَلَى الرُّشْدِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ ما سَأَلَك مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ وَنَسْتَعِيدُ

بِكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ وَعِبَادُكَ الصَّالِحُونَ.

أهمية النصيحة

18

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

– ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الأنعام: 102).

– ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة: 1).

– ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأنعام: 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «أهمية النصيحة».

أيها الناس النصيحة لبُ الدين وجوهرُ الإيمان.

وقد قال رسولُ الله ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديثِ تميم الداريِّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قالوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ

وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (55).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ : «هذا حديثٌ عظيمُ الشأنِ وعليه مدارُ الإسلامِ كما سنذكرُ في شرحه، وأما ما قاله جماعاتٌ من العلماءِ أنه أخذُ أرباعِ الإسلامِ أي أخذُ الأحاديثِ الأربعةِ التي تَجْمَعُ أمورَ الإسلامِ فليس كما قالوه، بل المدارُ على هذا وَخِذُهُ»⁽¹⁾.

ومعنى النَّصِيحَةِ لله - أَيُّهَا النَّاسُ - بِاتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَالتَّسْلِيمِ لَهُ فِي حُكْمِهِ.

قال الحطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى العَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ، فَاللهُ غَنِيٌّ عَنِ نُصْحِ النَّاصِحِ»⁽²⁾.

وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَإِكْرَامِ قَرَابَتِهِ وَالشَّفَقَةَ عَلَى أُمَّتِهِ.

وَلِكِتَابِهِ، بِتَدَبُّرِ آيَاتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَأْمُورَاتِهِ، وَتَحْيِنِ تَلَاوِثِهِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالطَّاعَةِ لِلْأَمْرَاءِ إِلا فِي مُحَرَّمٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ وَالتَّضَدِيقِ لِلْعُلَمَاءِ إِلا فِيمَا لا يَهْدِي الْعِلْمَ إِلَيْهِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالذَّبِّ عَنِ أَعْرَاضِهِمْ، وَإِقَامَةِ حُرْمَتِهِمْ وَالتُّصْرَةِ هُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ جَلْبًا وَنَفْعًا.

وَالنَّصِيحَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَرَضٌ كَفَايَةٌ.

قال ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ : «وَالنَّصِيحَةُ فَرَضٌ يَجْزِيءُ فِيهِ مَنْ قَامَ بِهِ، وَيَسْقُطُ عَنِ الْبَاقِينَ»⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلنَّاصِحِ مِنَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ مَا لا يُدْرِكُ وَيَكْفِي أَنْ النَّصِيحَةَ وَظِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(1) «شرح النووي على مسلم» (37/2).

(2) «شرح النووي على مسلم» (39/2).

(3) «شرح صحيح مسلم» (39/2).

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ نُوحٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الأنعام: 61-62).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ هُودَ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ (الأنعام: 67-68).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ صَالِحٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِ لَقَدْ أُبَلِّغْتُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ التَّصَوِّبَ ﴿٧٧﴾﴾ (الأنعام: 79).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ شُعَيْبٍ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِ لَقَدْ أُبَلِّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (الأنعام: 93).

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِقَوْمِهِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِضْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيُنَكِّتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ! اشْهَدْ لِلَّهِمَّ اشْهَدْ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ النَّصِيحَةُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (1218).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2162).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وللنصيحة - أيها الناس - أركان وشروط، وآداب.

فأركان النصيحة ثلاثة وهي:

1- الناصح وهو الذي ينصح غيره.

2- المنصوح وهو الذي ينصحه غيره.

3- المنصوح به وهو الأمر الذي ينصح به الناصح المنصوح.

وأما شروط النصيحة - أيها الناس - والتي لا بد أن تتوفر في الناصح والمنصوح فهي ما يأتي ذكرها:

أولاً - الإسلام: فالأصل في أن يكون مسلماً والمنصوح كذلك للحديث المتقدم «والنصح لكل مسلم».

لكن التقيد للمسلم للأغلب وإلا فإنه يجوز بذل النصيحة للكافر ودعوته إلى الإسلام.

قال ابن حجر رحمه الله: «والتقيد بالمسلم للأغلب، وإلا فالنصح للكافر معتبر بأن يدعى إلى الإسلام ويشار عليه بالصواب»⁽²⁾.

والشرط الثاني من شروط النصيحة - أيها الناس - البلوغ.

فيشترط فيها أن يكونا بالغين؛ لأن البلوغ مناط التكليف، ومن لم يكن بالغاً فليس عليه تكليف.

(1) رواه البخاري (1401)، ومسلم (56).

(2) «فتح الباري» (1/140).

لما في سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الإزواء»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنَ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَمِنَ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَمِنَ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يَقِيقَ»⁽²⁾.
والشرط الثالث من شروط النصيحة - أيها الناس - أن يكونا عاقلين؛ لأن العقل مناط التكليف.

وقد رُفِعَ الْقَلَمُ عَمَّنْ لَيْسَ بِعَاقِلٍ وَفِي الْحَدِيثِ: «وَمِنَ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَقِيقَ»⁽³⁾.
وَيُشْتَرَطُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُنْصَحُ بِهِ مَا يَأْتِي:
- أَنْ يَكُونَ مِمَّا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ أَوْ مِمَّا نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ عَنْهُ.
- وَأَنْ يَكُونَ مِمَّا اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى طَلْبِ فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح» رواه أبو داود (4398)، وصححه الألباني في «الإزواء» (297).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - آدَابُ النَّصِيحَةِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «النَّصِيحَةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنِ «شَيْءٍ مِنْ آدَابِهَا».

فَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِخْلَاصُ؛ لِإِنَّ النَّصِيحَةَ عِبَادَةٌ يَتَقَرَّبُ بِهَا
الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - وَعَمَلٌ صَالِحٌ يَرْجُو بِهِ ثَوَابَ اللَّهِ وَالنِّيَّةَ الصَّالِحَةَ
أَسَاسُ أَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

فَصَلَحَ الْأَعْمَالُ وَفَسَادُهَا بِحَسَبِ صَلَاحِ النِّيَّاتِ وَفَسَادُهَا وَقَبُولُهَا وَعَدَمِهَا كَمَا
قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ أَخَاهُ فَلْيُقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيْهِ نِيَّةً حَسَنَةً يَجِدُ الْأَجْرَ يَطْلُبُهُ كَمَا يَطْلُبُ
السَّيْلَ الْحَدُورَةَ وَيَجِدُ لِنَصِيحَتِهِ رَوْحًا مِنَ التَّأثيرِ وَلَا بُدَّ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ، أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الْقَائِمَاتِ: 64).

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّحَلِّيُّ بِالْعِلْمِ.

وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ عَالِمًا أَنْ مَا يَنْصَحُ بِهِ أَخَاهُ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ أَوْ مِمَّا نَهَى اللَّهُ
عَنْهُ وَرَسُولُهُ فَيَنْصَحُ بِحُدُودِ مَا يَعْلَمُهُ.

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ الْحِكْمَةِ.

(1) «جامع العلوم» (65/1).

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَقَعَلَى - : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُمْ بِالْقِيَمِ مِمَّا أَحْسَنُ ﴾ (الحجرات: 125).

والحكمة - أيها الناس - هي الإصَابَةُ في الأقوال والأفعالِ وَوَضْعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ. وَالنَّاصِحُ الْحَكِيمُ يَسْتَعْمِلُ أَفْضَلَ الْكَلَامِ وَأَيِّنُهُ وَأَحْسَنَ الْأَوْقَاتِ وَأَنْسَبَهَا وَأَرْفَقَ الْأَسَالِيبِ وَأَجْمَلَهَا، وَيُؤَثِّرُ الْإِشَارَةَ عَلَى الْعِبَارَةِ وَقَلِيلَ الْكَلَامِ عَلَى كَثِيرِهِ، وَالسَّرَّ عَلَى الْعَلَنِ فَإِنَّ السَّرَّ نَصِيحَةٌ وَالْجَهْرُ فَضِيحَةٌ.

وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ التَّشْهِيرِ بِالْمَنْصُوحِ لَهُ. فَإِنَّ التَّشْهِيرَ بِالْمَنْصُوحِ لَهُ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ : «وَهَذَا دَاخِلٌ فِيمَا ذَمَّهُ اللهُ - تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ فِي الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ وَدَاخِلٌ - أَيْضًا - فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ قَالَ عَنْهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ»⁽¹⁾ حَسَنٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَقْضِخْهُ فِي بَيْتِهِ».

وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ فِي الدِّينِ فَأَمَّا أَهْلُ الْبِدْعِ وَالضَّلَالَةِ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِالْعُلَمَاءِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ فَيَجُوزُ بَيَانُ جَهْلِهِمْ وَإِظْهَارُ عُيُوبِهِمْ تَحْذِيرًا مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ⁽²⁾.

(1) «حَسَنٌ صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (19791)، وَأَبُو دَاوُدَ (4480)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ» (5044) حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) «الْفَرْقُ بَيْنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّغْيِيرِ» (ص 8).

ومن آدابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ النَّصِيحَةَ فِي السَّرِّ .
فَالنَّصِيحَةُ فِي السَّرِّ أَنْفَعُ وَأَبْرَكُ فَلَا يَسْلُمُ الْمَرْءُ مِنْ حَظِّ نَفْسِهِ إِلَّا فِي لَحْظَةٍ خَلْوَةٍ
وَصَفَاءٍ، وَهَذِهِ اللَّحْظَةُ تَكُونُ عِنْدَ الْمُسَارَاةِ فِي السَّرِّ وَعِنْدَهَا تُؤْتِي النَّصِيحَةُ ثَمَرَتَهَا وَلَا
يَكُونُ النَّاصِحُ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيهِ .

فَإِنَّ النَّاصِحَ فِي مَلَأٍ يُعِينُ الشَّيْطَانَ عَلَى صَاحِبِهِ، وَيُوقِظُ فِي نَفْسِهِ مَدَاخِلَ
الشَّيْطَانِ، وَيُغْلِقُ أَبْوَابَ الْحَيْرِ، وَلِهَذَا حَرَصَ السَّلَفُ عَلَى النَّصْحِ فِي السَّرِّ دُونَ الْعَلَنِ .
قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَكَانَ السَّلَفُ إِذَا أَرَادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ وَعَظُوهُ سِرًّا» .
حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى
رُؤُوسِ النَّاسِ فَإِنَّمَا وَبَّخَهُ»⁽¹⁾ .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الْمُؤْمِنُ يَسْتُرُ وَيُنْصَحُ، وَالْفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعِيرُ»⁽²⁾ .
وَيُعَقَّبُ الْحَافِظُ ابْنَ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى كَلِمَةِ الْفُضَيْلِ بِقَوْلِهِ : «فَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ
الْفُضَيْلُ مِنْ عِلَامَاتِ النَّصْحِ وَهُوَ أَنَّ النَّصْحَ يَقْتَرِنُ بِهِ السَّرُّ وَالتَّعْيِيرُ يَقْتَرِنُ بِهِ الْإِعْلَانُ»⁽³⁾ .
وَمِنْ آدَابِ النَّصِيحَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ بِلُطْفٍ وَرِفْقٍ .

فَكُنْ - يَا عَبْدَ اللَّهِ لَطِيفًا رَفِيقًا فِي نُصْحِكَ لِأَخِيكَ؛ لِأَنَّ قَبُولَ النَّصِيحَةِ كَفَتْحِ
الْبَابِ، وَالْبَابُ لَا يُفْتَحُ إِلَّا بِمِفْتَاحِ مُنَاسِبٍ .

فَمَنْ نَصَحَ أَخَاهُ بِغِلْظَةٍ وَفَضَاضَةٍ نَفَرَ مِنْهُ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ قَلْبَهُ .

وَقَدْ امْتَنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ جَبَلَهُ عَلَى الرَّفْقِ وَمَحَبَّةِ
الرَّفْقِ، وَأَنْ جَنَّبَهُ الْغِلْظَةَ وَالْفَضَاضَةَ .

(1) «جامع العلوم» (77/1) .

(2) «جامع العلوم» (77/1) .

(3) «الفرق بين النصيحة والتعير» لابن رجب (ص 36) .

فقال - عز وجل - : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (التغولات : 159).

وقد كانت سيرته ﷺ حافلة بهذا الخلق الكريم الذي من ملكه بسط سلطانه على القلوب.

وكان ﷺ يأمر بالرفق ويبيِّن فضله.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ - أيضا - من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

ومن آداب النصيحة - أيها الناس - عدم الإلزام.

فلا تلزم أحاك بقبول نصيحتك فنفع النصح مرهون بإرادة الله.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

يَغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (مؤذ : 34).

قال ابن جزم رحمه الله : «ولا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعدت هذه

الوجوه فأنت ظالم لا ناصح وطالب طاعة ومُلك، لا مؤدِّي حق أمانة وأخوة، وليس

هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، لكن حكم الأمير مع رعيته، والسيد مع عبده»⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2593).

(2) رواه مسلم (2594).

(3) «الأخلاق والسيرة» (44).

اللَّهُمَّ إِنَّا عَبِيدُكَ بَنُو عَبِيدِكَ بَنُو إِمَائِكَ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ، مَا ضِيقَ فِينَا حُكْمُكَ، عَدْلُ فِينَا قَضَاؤُكَ، نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا وَذَهَابَ غُموِمِنَا.

اللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا وَيَسِّرْ أُمُورَنَا، وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا.

فَضْلُ صِلَةِ الرَّحِمِ

19

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغولنا : 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ يَتِيمًا وَرَبَّهَا رَبَّتْ مِنْهَا بِرَبَّهَا وَيَتِيمًا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي قَسَمَ لَكُمْ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسلة : 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُصْلِحْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ حَرَمٍ ۗ وَالَّذِينَ يَزِينُوا أَسْمَاءَهُمْ لِيََكُونََ كَلِمَةً بَاطِلًا فِي السُّلُوكِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأخترنا : 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهديِ هديُّ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،
وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النارِ.

أما بعد - فحديثي معكم - أيُّها الناس - عنِ «فضلِ صِلَةِ الرَّحِمِ».

أيُّها الناسِ صِلَةُ الرَّحِمِ علامةٌ كمالِ الإيِّانِ وحُسنِ الإسلامِ ولها من الفضائلِ ما
لو جُمعتْ لكانت سِفراً مِنَ الأسفارِ.

وقبلَ أن أذكُرَ لكم فضلَ صِلَةِ الرَّحِمِ أذكُرُكم بِحَدِّ الرَّحِمِ وَحَقِيقَةِ الصِّلَةِ
وَحُكْمِهَا وبماذا تكونُ إجمالاً.

فأما حدُّها فالرَّحِمُ اسمٌ شاملٌ لكافةِ الأقاربِ من غيرِ تفریقِ بينِ المحارِمِ
وغيرِهِمْ. وقد ذهبَ بعضُ أهلِ العِلْمِ إلى قَصْرِ الرَّحِمِ على المحارِمِ، بل ومنهُم مَنْ

قصرها على الوارثين منهم وهذا مذهب أبي حنيفة ورواية عن أحمد - رحمهما الله -
والراجح الأول.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر
نسب، سواء أكان يرثه أم لا، سواء أكان ذا محرم أم لا، وقيل هم المحارم فقط،
والأول هو الراجح؛ لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من
ذوي الأرحام، وليس كذلك».

وحقيقة الصلة هي العطف والرحمة.

وأما حكمها فهي واجبة وقطيعتها محرمة، ومن الكبائر.

قال القرطبي رحمه الله: «اتفقت الملة على أن صلة الرّحم واجبة وأن قطيعتها محرمة».

وقال القاضي عياض رحمه الله: «لا خلاف أن صلة الرّحم واجبة في الجملة
وقطيعتها مغيبة كبيرة والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع
من بعض، وأذناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام ويختلف ذلك باختلاف
القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب. ولو وصل بعض الصلة، ولم يصل
غابتها لا يسمى قاطعاً، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً»⁽¹⁾.

وتكون صلة الرّحم بالقول وهو الإحسان أو بالترك وهو كف الأذى.

قال النووي رحمه الله: «صلة الرّحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب
حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة
والسلام وغير ذلك»⁽²⁾.

(1) «شرح مسلم» (112/16).

(2) «شرح النووي على مسلم» (201/2).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ : «قَرَابَةُ الْإِنْسَانِ هُمْ مِنْ يَجْتَمِعُونَ بِالْأَبِ الرَّابِعِ فَمَا دُونََ وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَتَّفَاوَتْ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ، لِأَنَّ الْحَكْمَ إِذَا أَعْلَقَ فَهُوَ بِوَصْفِ قَوِيٍّ بِحَسَبِ قُوَّةِ ذَلِكَ الْوَصْفِ فَمَثَلًا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ الْخَالِ أَكْثَرُ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْ صِلَةِ أَوْلَادِ الْخَالِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ دُونَكُمْ بَعْضُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ.

فَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ أَنْ اللهُ مَدَحَ الْوَاصِلِينَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ.

فَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ

سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد: 21).

وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَوْصَى بِذَوِي

الْأَرْحَامِ خَيْرًا.

فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النسبأة : 1).

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذَّرْ

تَبْذِيرًا ﴾ (الأنزلة : 26).

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾

(الأنشألك : 75).

وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعَ أَوْلِ الدَّاخِلِينَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ

لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَرَبُّ

(1) «تفسير القرآن» للعثيمين (194/2).

(2) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1396) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (13).

مَا لَهُ - يَعْنِي حَاجَةً لَهُ - تَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِمُّ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

وَمِنْ فَضَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَاةُ اللَّهِ لِلْوَاوِلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبُّ. قَالَ: فَذَاكَ لَكَ».

وَمِنْ فَضَائِلِ صَلَاةِ الرَّحِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا سَبَبٌ فِي زِيَادَةِ الْأَرْزَاقِ وَالْأَعْمَارِ. فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْطَلَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِلَّةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَغْمُرُنَ الدِّيَارَ وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ».

وَهُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - سَوْأَلٌ وَهُوَ: كَيْفَ يَطْوُلُ الْعُمُرُ وَالْعُمُرُ مُقَدَّرٌ.

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3830)، وَمُسْلِمٌ (2554).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2067)، وَمُسْلِمٌ (2557).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (374/2)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2965).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (159/6)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (519).

فالجواب عليه قال العلامة العبادُ - حفظه الله - : «الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَدَّرَ أَنْ يَطْوَلَ عُمُرَهُ وَقَدَّرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِسَبَبِ فِعْلِ يَحْضُلُ وَهُوَ الْبِرُّ وَصَلَّةُ الرَّحِمِ يَعْني قَدَّرَ السَّبَبَ وَالْمُسَبَّبَ فَالسَّبَبُ مُقَدَّرٌ وَالْمُسَبَّبُ مُقَدَّرٌ»⁽¹⁾.

فلا تعارض - أيها الناس - بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾⁽²⁾؛ لأن هذه الزيادة وهي في حقيقتها بالنسبة إلى علم الملك الموكّل بكتابه الأجل، وشقيّ أم سعيد أمّا الآية فهذه بالنسبة إلى علم الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -، فعلم الله لا زيادة فيه ولا نقصان، ولكن يوجي للملك بأن عمر فلان ستون سنة وبسبب صلته لرحمه يبلغ عمره ثمانين سنة مثلاً، وهو الذي أشار إليه ربنا جلّ في علاه بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾⁽³⁾.

ومن فضائل صلّة الرّحم - أيها الناس - أنّها دعوة النبيّ ووصيته لأمتيه.

ففي «الصّحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لما سأل هِرقلُ أبا سُفيانَ - قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ وَكَانَ فِي تِجَارَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ - عَنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِإِذَا يَأْمُرُهُمْ؟ قَالَ: يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ»، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ.

وفي صحيح ابن حبانٍ ومُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ «الصَّغِيرِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحْحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ: أَوْصَانِي أَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ

(1) «شرح سنن أبي داود» للعباد (74/8).

(2) رواه البخاري (7) واللفظ له، ومسلم (1773).

(3) «صحيح» رواه ابن حبان في صحيحه (194/8)، والطبراني في «الصغير» (84/2)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2525).

دُونِي، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالذُّنُوبِ مِنْهُمْ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَجِيمِي وَإِنْ
أَذْبَرْتِ، وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا، وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ
مُرًّا، وَأَوْصَانِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَلَيْتَهَا كُنْتُ مِنْ كَنُوزِ الْجَنَّةِ.
وَمِنْ فَضَائِلِ صَلَةِ الرَّجِيمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى ذِي الرَّجِيمِ تَتَضَاعَفُ
أَجُورُهَا عَنِ غَيْرِهِ.

ففي سُنَنِ النَّسَائِيِّ بسند صحيح صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من
حديثِ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى
الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّجِيمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ عَنْ زَيْنَبِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ
اللهِ ﷺ: أَيُجْزِيءُ عَنِّي مِنَ الصَّدَقَةِ النَّفَقَةُ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ فِي حِجْرِي؟ فَقَالَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا
أَعْتَقَتْ وَوَلِدَةً (أَيَّ أُمَّةً) فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ
فَقَالَ: «لَوْ أَعْطَيْتُهَا أَخْوَالَهَا كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِهَا».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ
الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلِ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ
الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبًا.

(1) «صحيح» أخرجه النَّسَائِيُّ (92/5)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (3752).

(2) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (14) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، وَمُسْلِمٌ (1000).

(3) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (2592)، وَمُسْلِمٌ (999).

(4) زَوَاهُ البُخَارِيُّ (1461) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (998).

قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لِنَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُبِقُوا بِمَا هُمْ بِكُمْ﴾ (الملك: 92). قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿لِنَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُبِقُوا بِمَا هُمْ بِكُمْ﴾. وإن أحب أموالي إليّ بئرحاء، وإنه صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بئح، ذلك مال رابع، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. وما أجمل أن تكون الصدقة على ذي الرّحم الكاشح الذي يضرّ العداوة في كسبه أي باطنه.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ عن أم كلثوم بنت عقبة روت عن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة على ذي الرّحم الكاشح».

قال المناوي رحمه الله في «فيض القدير»: «يعني أفضل الصدقة على ذي الرّحم المضرّ العداوة في باطنه فالصدقة عليه أفضل منها على ذي الرّحم غير الكاشح لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعاديبها وعلى ذي الرّحم المصافي أفضل أجراً منها على الأجنبي لأنه أولى الناس بالمعروف»⁽²⁾. واستغفر الله.

(1) «صحيح» أخرجه الطبراني في «الكبير» (4/138)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (338/2).

(2) «فيض القدير» (2/49).

الخطبة الثانية - عقوبة قطيعة الرجم :

أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «فَضْلِ صَلَاةِ الرَّجِمِ»، وَالآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ».

فَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ أَنْ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ذَمَّ الْقَاطِعِينَ ذَمًّا شَدِيدًا فَقَالَ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَقَطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَلَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (التعنك : 25).

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا أَوْعَدَ اللَّهُ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ
وَقَاطِعِ الْأَرْحَامِ مِنَ الطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَاحْتِمِ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ دَاعِيَ الْحَقِّ
وَأَبْصَارِهِمْ عَنْ رُؤْيَةِ أَنْوَارِهِ.

قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ قُولْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٣﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ (مُحْكَمَاتُ : 22-23).

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا
كَمْ يَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»¹ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
«الرَّجِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

وَمَنْ عُقُوبَةَ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ لِلْقَاطِعِ فِي الدُّنْيَا
قَبْلَ الْآخِرَةِ.

(١) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5989)، وَمُسْنَدُ (2555).

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صحفة الألبان في «الصحيفة»⁽¹⁾ من حديث
أبي بكره رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قلب أجدز أن يُعجل الله
لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البهي ولطيفة الرجم».

ومن عقوبة فطيرة الرجم - أيها الناس - أن أهمل ابن آدم تُعرض على الله
- سُخْنَتَهُ، وَتَمَلَّنَ - كُلِّ لَحْيَسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا يَقْبَلُ حَمَلٌ قَاطِعٍ رَجِمَ.

ففي مسند أحمد بسند حسن حسنة الألبان في «صحيح الترهيب»⁽²⁾ من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهمل بني آدم تُعرض
كُلِّ لَحْيَسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يَقْبَلُ حَمَلٌ قَاطِعٍ رَجِمَ».

ومن عقوبة فطيرة الرجم - أيها الناس - أنه لا يدخل الجنة في أول وهلة مع الداخلين.

ففي «الصحیحین»⁽³⁾ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ
يقول: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». قال سفيان: يعني قاطع رجم.

أي أنه لا يدخل الجنة مع أول الداخلين إن كان من الموحدين، ولكن بعد أن
يُطَهَّرَهُ اللهُ بِالنَّارِ مِنْ تِلْكَ الْمَخَالَفَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ إِيْمَانٍ.

ومن عقوبة فطيرة الرجم - أيها الناس - أن القاطع يُسَفُّ الْمُلَّ وَهُوَ الرَّمَادُ الْحَارُّ.

ففي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول
الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسب إليهم ويبيسون إلي، وأخلم عليهم،

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (83/1)، و«صحفة الألبان» في «الصحيفة» (623/2).

(2) «حسن» أخرجه أحمد (4842)، و«حسنة الألبان» في «صحيح الترهيب» (2538).

(3) رواه البخاري (5984)، ومسلم (2556).

(4) رواه مسلم (2558).

وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَأَ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَأَنَّمَا تُطْعَمُهُمُ الرَّمَادَ الْحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْأَلَمِ بِمَا يَلْحَقُ أَكِلَ الرَّمَادِ الْحَارِّ مِنَ الْأَلَمِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ تِلْكَ بَعْضُ عُقُوبَةِ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ فَلَا يَجْعَلُ أَحَدُنَا صِلَتَهُ لِأَرْحَامِهِ صِلَةً مُكَافِيَةً لِلْمَعْرُوفِ بِمِثْلِهِ بِحَيْثُ إِنْ وَصَلُوهُ وَصَلْتَهُمْ، وَإِنْ قَطَعُوهُ قَطَعْتَهُمْ وَهَذَا لَيْسَ بِوَاصِلٍ فِي الْحَقِيقَةِ بَلِ الْوَاصِلُ مَنْ يَصِلُ قَرَابَتَهُ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ وَلَا يُبَالِي وَصَلُوهُ أَمْ لَا.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيَةِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَةٌ وَصَلَهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (التفلة: 90).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى صِلَةِ الْأَرْحَامِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَجَنَّبْنَا الْفِتْنَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

(1) «شرح النووي على مسلم» (115/16).

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5991).

20 آدابُ الجِوَارِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْمَائِدَةُ : 102).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَأُ : 1).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ -

وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فَحَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «آدَابِ الْجِوَارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ حُسْنُ الْجِوَارِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَسُوءُهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ.

وَحَدُّ الْجِوَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَرْجِعُ إِلَى الْعُرْفِ فَقَدْ يَكُونُ السَّاكِنُ مَعَكَ فِي الْمَدِينَةِ

جَارًا كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الْأَنْعَامُ : 60).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ

الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»¹ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْجَارِ. فَقَالَ: «أَرْبَعِينَ دَارًا أَمَامَهُ، وَأَرْبَعِينَ

خَلْفَهُ، وَأَرْبَعِينَ عَنِ يَمِينِهِ، وَأَرْبَعِينَ عَنِ يَسَارِهِ».

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (109)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (ص 49).

والجيران - أيها الناس - ثلاثة:

جارٌ له ثلاثة حقوق، وجارٌ له حقان، وجارٌ له حق واحد.

فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق فهو الجار ذو القرى، فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام.

وأما الجار الذي له حقان فجارك المسلم غير القريب، فله حقان حق الإسلام وحق الجوار.

وأما الجار الذي له حق واحد فهو الجار الكافر فله حق واحد حق الجوار فقط. وحق الجار - أيها الناس - لعظيم.

فيكفي أن الله - سبحانه وتعالى - أوصى عباده بالجار.

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ. شَيْفًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: 36).

قال ابن سعدي رحمه الله : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ أي: الجار لبقرب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف، وكذلك ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ أي: الذي ليس له قرابة وكلما كان الجار أقرب بابا كان أكد حقا فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيتيه بقول أو فعل¹.

وأوصى الرسول ﷺ بالجار.

(1) تفسير ابن سعدي (1/177).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا زَالَ جَزِيلٌ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُثُهُ».

ومعنى يُوصِينِي بِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ بِالْإِعْتِنَاءِ بِهِ وَالْإِحْتِفَاءِ بِشَأْنِهِ وَعَدَمِ إِهْمَالِهِ أَوْ تَجَاهُلِهِ وَقَوْلُهُ: «حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُثُهُ». أَيُّ يَجْعَلُ لَهُ مُشَارَكَةً فِي الْمَالِ بِفَرَضٍ سَنَهُمْ يُعْطَاهُ مَعَ الْأَقَارِبِ.

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي شريح الخزازي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ».

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْجَارَ الصَّالِحَ مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَزْبَعُ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَيِّئُ، وَأَزْبَعُ مِنَ الشَّقَاءِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ».

فَالْجَارُ الصَّالِحُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ فَمَنْ رُزِقَ جَارًا صَالِحًا يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِيدُ خَيْرًا إِلَى خَيْرٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6014)، وَمُسْلِمٌ (2625) وَهِيَ اللَّفْظُ نَفْسُهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (48).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (340/9)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرغِيبِ»

(2576).

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ خَيْرَ الْجِرَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُحْسِنًا لِحَارِهِ.

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «المشكاة»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِحَارِهِ».

ومعنى «خَيْرُ الْجِرَانِ عِنْدَ اللَّهِ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ أَكْثَرُهُمْ ثَوَابًا عِنْدَهُ.

ومعنى «خَيْرُهُمْ لِحَارِهِ» أَيُّ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِ وَلَوْ بِالنَّصِيحَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجْمَلُ بِالْجَارِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى جَارِهِ بِإِصْطِلَاحِ ضُرُوبِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ كَالْهُدْيَةِ وَالسَّلَامِ وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَتَفَقُّدِ حَالِهِ، وَمَعَاوَنَتِهِ فِيمَا أَحْتَاجَ إِلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ حِسِّيَّةً كَانَتْ أَوْ مَعْنَوِيَّةً⁽²⁾.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي ﷺ أَوْصَانِي: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ. ثُمَّ انظُرْ أَهْلَ بَيْتِ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ».

ومعنى «أَكْثِرْ مَاءَهُ» - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ زِدْهَا مِنْ الْمَاءِ لَتَكْثُرُ وَتُوزَعُ عَلَى جِيرَانِكَ.

ومعنى «فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ» أَيُّ أَعْطِهِمْ مِنْهَا شَيْئًا بِوَجْهِ طَلْقٍ سَهْلٍ مُنْبَسِطٍ.

فَالْجَارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَشْمُ رَائِحَةَ الطَّعَامِ فِي بَيْتِ جَارِهِ فَلَا أَفْضَعُ مِنْ مَنَعِ الشَّيْءِ

الْيَسِيرِ، وَهُنَا فَائِدَةٌ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُهْدِي لِحَارِهِ أَنْ يَحْتَمِرَ الْقَلِيلَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ كَمَا

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (1944)، وصححه الألباني في «المشكاة» (4987).

(2) انظر «الفتح» (456/10).

(3) رواه مسلم (2625).

في سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن أحدكم شيئا من المعروف فإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طلق، وإذا اشتريت لحما أو طبخت قدرا فأكثر مرقة واغرف منه لجارك».

ولا ينبغي للجار أن يحتقر هديّة جاره ولو قلت فقد ورد النهي عن ذلك.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «يا نساء المسلمين، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة».

قال النووي رحمه الله: «هذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطيّة ومعناه لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها بل تجود بما تيسر وإن كان قليلا كفرسن شاة وهو خير من العدم، وقد قال الله - سبحانه - وَتَعَلَىٰ - : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧)، وقال النبي ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمر»⁽³⁾.

والجار القريب - أيها الناس - أولى بالإحسان ثم الأقرب فالأقرب.

لما في «صحيح البخاري»⁽⁴⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارتين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك بابا».

أيها الناس إنه يحسن بالمسلم أن يتفقد جيرانه فقد يكون جاره مريضا أو جائعا أو محتاجا وهو لا يعلم.

(1) «صحيح» أخرجه الترمذي (1833)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7634).

(2) رواه البخاري (6017)، ومسلم (1030).

(3) «شرح النووي على مسلم» (119/7).

(4) رواه البخاري (2259).

فقد أخرج الطبراني بسند صحيح لغيره قاله الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند قال عنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ حسن لغيره عن نافع عن ابن عمر قال: لقد أتى علينا زمان أو قال: حين - وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت النبي ﷺ يقول: «كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة، يقول: يا رب! هذا أغلق بابي دوني، فمَنع معرفته!». وأستغفر الله.

(1) «صحيح لغيره» أخرجه الطبراني في «الكبير» (12/154)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (149).

(2) «حسن لغيره» أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وقال الألباني في «الصحيح» (2646) حسن لغيره.

الخطبة الثانية – تحريم أذى الجار :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «آدَابِ الْجَوَارِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «تَحْرِيمِ أَذَى الْجَارِ».

أَيُّهَا النَّاسُ أَذَى الْجَارِ كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَبَائِرِ: «الْكَبِيرَةُ الثَّانِيَةُ وَالْحَمْسُونَ أَذَى الْجَارِ».

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَدْ تَكَفَّلَ لِمَنْ اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ أَنْ يُكْفَرَ عَنْهُ الصَّغَائِرَ وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ (النِّسَاءُ : 31).

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَقْسَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفْيِ الْإِيمَانِ - ثَلَاثًا - عَلَى مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَائِقِهِ أَيْ غَوَائِلُهُ وَشَرُّهُ أَوْ ظُلْمَهُ.

فَقَالَ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي شَرِيحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ». قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

«الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَائِقِهِ».

قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَى بَوَائِقِهِ: «يَعْنِي غَدْرَهُ وَخِيَانَتَهُ وَظُلْمَهُ

وَعُدْوَانَهُ، فَالَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَإِذَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَيُوقِعُهُ

فِعْلًا فَهُوَ أَشَدُّ. وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْعُدْوَانِ عَلَى الْجَارِ سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6016).

بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ أَمَّا بِالْقَوْلِ بَأَنَّ يَسْمَعُ مِنْهُ مَا يُزْعِجُهُ وَيُثْلِقُهُ كَالَّذِينَ يَفْتَحُونَ الرَّادِيُو أَوْ التَّلْفِيزِيُونَ أَوْ غَيْرَهُمَا مِمَّا يُسْمَعُ فَيُزْعِجُ الْجِيرَانَ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ لَهُ، حَتَّى وَلَوْ فَتَحَهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَهُوَ مِمَّا يُزْعِجُ الْجِيرَانَ بِصَوْتِهِ فَإِنَّهُ مُعْتَدٍ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، وَأَمَّا بِالْفِعْلِ فَيَكُونُ بِإِلْقَاءِ الْكِنَاسَةِ حَوْلَ بَابِهِ، وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ عِنْدَ مَدَاخِلِ بَابِهِ أَوْ بِالذَّقِّ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يُضْرُّهُ، وَمِنْ هَذَا - أَيْضًا - إِذَا كَانَ لَهُ نَخْلَةٌ أَوْ شَجَرَةٌ حَوْلَ جِدَارِ جَارِهِ فَكَانَ يَسْقِيهَا حَتَّى يُؤْذِيَ جَارَهُ بِهَذَا السَّقْيِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَوَائِقِ الْجَارِ فَلَا يَحِلُّ لَهُ، إِذْ يُحْرَمُ عَلَى الْجَارِ أَنْ يُؤْذِيَ جَارَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ. فَإِنَّ فَعَلَ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ مَتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي خَالَفَ بِهَا الْحَقَّ»⁽¹⁾.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بِوَأَقْفِهِ».

وَأَذِيَّةُ الْجَارِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَتَفَاوَتْ فَبَعْضُهَا أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ. وَأَعْظَمُ أَذِيَّةٍ تَنَالُ الْجَارَ هِيَ أَذِيَّتُهُ فِي أَهْلِهِ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ. فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذُّنُوبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَزْنِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

وَمَنْ آذَى جَارَهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَقَدْ اسْتَحَقَّ لَعْنَةَ النَّاسِ.

(1) شرح كتاب «الكباير» للحافظ الذهبي شرح ابن عثيمين رحمه الله (ص 332).

(2) رواه مسلم (46).

(3) رواه البخاري (4477)، ومسلم (86).

ففي سنن أبي داود بسند حسن صحيح كما قال الألباني في «صحيح الترغيب»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله يشكو جاره. فقال له ﷺ: «أذهب فاضبر». فأتاه مرتين أو ثلاثا، فقال: «أذهب فاطرح متاعك في الطريق». ففعل، فجعل الناس يمرّون ويسألونه، فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه، فعَلَّ اللهُ بِهِ وَفَعَلَ وَبَعْضُهُمْ يَدْعُونَ عَلَيْهِ، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع فإنك لن ترى من شيئا تكرهه.

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تكثّر من صلتها وصدقّتها وصيامها غير أنّها تؤذي جيرانها بلسانها. قال ﷺ: «هي في النار».

قال: يا رسول الله، فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقّتها، وأنها تتصدّق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة».

أيها الناس من منّا يُحبُّ أن يكون جاره خصمه يوم القيامة.

ففي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽³⁾ من حديث عُبَهِ بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول خصمين يوم القيامة جاران».

أيها الناس ليس حق الجار بكف الأذى عنه فحسب بل حقه كما يكون بكف الأذى عنه فيكون بالصبر على أذاه.

(1) «حسن صحيح» أخرجه أبو داود (5153)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (2559) حسن صحيح.

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (440/2)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2560).

(3) «حسن» أخرجه أحمد (151/4)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (2557) حسن.

كما تقدّم في الحديث وفيه قال الرسول ﷺ للرجل الذي جاء يشكو إليه جاره: «اذْهَبْ صَابِرًا». قاله ثلاثًا.

وأجر الصّبر على أذية الجار - أيها الناس - لعظيم.

وهو أن يكون الصابر على أذية الجار ممن يحبّه الله.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽¹⁾ عَنْ مَطْرَفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ حَدِيثٌ، وَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَهُ، فَلَقِيْتُهُ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، كَانَ يَبْلُغُنِي عَنْكَ حَدِيثٌ، وَكُنْتُ أَشْتَهِي لِقَاءَكَ. قَالَ: اللَّهُ أهلكَ قَدْ لَقِيتَنِي، فَهَاتِ، قُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَكَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ ثَلَاثَةً وَيَبْغَضُ ثَلَاثَةً». قَالَ: فَمَا أَخَالَنِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ؟ قَالَ: رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ. صَفًا كَأَنَّهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ﴾⁽²⁾. قُلْتُ: وَمَنْ؟ قَالَ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ رَجُلٌ سُوءٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرُ عَلَى آذَاهُ حَتَّى يَكْفِيَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ بِحَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ.

أيها الناس مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ الصَّادِقِ الْمُضْذَوِّقِ تَمَنَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ فَيَصْبِرَ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ - تَعَالَى - .

فَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلٌ فَهَذَا سَهْلٌ بِنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ كَانَ لَهُ جَارٌ ذِمِّيٌّ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الدَّهَبِيُّ فِي «الْكَبَائِرِ» وَكَانَ قَدْ انْبَثَقَ مِنْ كَيْفِيهِ (أَيْ حَمَامِ بَيْتِهِ) إِلَى بَيْتِ فِي دَارِ سَهْلِ بَثَقَ (وَالْبَثَقُ هُوَ انْدِفَاعُ شَيْءٍ مِنَ الْبَالُوَعَةِ) فَكَانَ سَهْلٌ يَضَعُ كُلَّ

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (5/153)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (2569).

يوم الجفنة تحت ذلك البتق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيب (جاره) المجوسي
ويطره بالليل حيث لا يراه فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً إلى أن
حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر
ما فيه، فدخل فرأى ذلك البتق والقدر يسقط منه في الجفنة، فقال: ما هذا الذي
أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا ألقاه
بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري
لذلك، وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه
المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك فانا أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله، ثم مات سهل رحمه الله.

فَسَأَلَ اللهُ أَنْ يَهْدِينَا وَإِيَّاكُمْ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَأَنْ يُحْسِنَ
عَاقِبَتَنَا إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ⁽¹⁾.

(1) انظر «شرح الكبائر» للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (ص 332 - 333).

الأمانة

21

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذات : 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسأة : 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأجتراب : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - .
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْأَمَانَةِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْأَمَانَةُ مِنْ أَعْظَمِ الصِّفَاتِ الْخُلُقِيَّةِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ

بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤتمنون : 8، المَعَلَّات : 32).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «أَيُّ: إِذَا اتُّمِنُوا لَمْ يُخُونُوا، وَإِذَا عَاهَدُوا لَمْ يَغْدُرُوا وَهَذِهِ

صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، وَضِدُّهَا صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الْأَمَانَةُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى حِفْظِ الْوَدَائِعِ بَلْ هِيَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ.

(1) «تفسير ابن كثير» (463/5).

قال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النِّسَاءُ : 58).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «يُخْبِرُ اللهُ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا... وَهُوَ يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الرَّاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَقُوقِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى عِبَادِهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالنَّذْرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُؤْتَمِّنٌ عَلَيْهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْعِبَادُ. وَمِنْ حَقُوقِ الْعِبَادِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتَمِنُونَ بِهِ مِنْ غَيْرِ إِطْلَاعِ بَيْنِهِ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِأَدَائِهَا فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أُخِذَ مِنْهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾.

وقال الله - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الْأَنْكَالُ : 27).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : «وَالْحَيَاةُ نَعْمُ الذُّنُوبِ الصَّغَارِ وَالْكِبَارِ اللَّازِمَةُ وَالْمَتَعَدِّيَّةُ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : (وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) الْأَمَانَةُ هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي اتَّيَمَّنَ اللهُ عَلَيْهَا الْعِبَادَ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ. يَقُولُ : لَا تَخُونُوا : لَا تَنْقُضُوهَا. وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ : ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ . يَقُولُ : بَرِّكْ سُنَّتَهُ وَارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ»⁽²⁾.
أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَغَبَ نَبِيُّنَا ﷺ فِي حِفْظِ الْأَمَانَةِ وَحَذَرَ مِنْ إِضَاعَتِهَا فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فَمِنْهَا:

ما جاء في «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بينما النبي ﷺ في مجلسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ

(1) «تفسير ابن كثير» (2/232).

(2) «تفسير ابن كثير» (4/41).

(3) رواه البخاري (59).

يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ. قَالَ: «أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ؟». قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

وَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مِنْ خَائِكَ».

وَأَخْرَجَ الْخِرَائِطِيُّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا تَمَقِّدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ وَأَخْرُهَا الصَّلَاةُ».

كَمَا أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ خِيَانَةَ الْأَمَانَةِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتَمَنَ خَانَ».

أَيُّهَا النَّاسُ مَا أَكْثَرَ مِيَادِينَ الْأَمَانَةِ فَسَاقِصِرُ حَدِيثِي مَعَكُمْ فِي هَذِهِ الْعَجَلَةِ عَلَى أَمَانَةِ التَّوْظِيفِ!

أَيُّهَا النَّاسُ الْأَسَاسُ فِي اخْتِيَارِ كُلِّ مَوْظِفٍ أَوْ عَامِلٍ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا أَمِينًا؛ لِأَنَّهُ بِالْقُوَّةِ يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِالْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ، وَبِالْأَمَانَةِ يُؤَدِّيهِ عَلَى وَجْهِ تَبَرُّأٍ بِهِ ذِمَّتُهُ.

(1) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3535)، وَالتِّرْمِذِيُّ (1246)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (424).

(2) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ الْخِرَائِطِيُّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» (ص 28)، وَالضِّيَاءُ فِي «الْمَخْتَارَةِ» (1/495)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (319/4).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (33)، وَمُسْلِمٌ (59).

وقد أخبر الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عن إحدَى ابنتي صاحبِ مَدِينِ أُمَّهَا قَالَتْ لِإِبْنِهَا
لَمَّا سَقَى لَهَا مُوسَى ﷺ: ﴿يَتَأْتِي أَسْتَفْجِرُهُ إِسْكُ خَيْرٌ مَنِ اسْتَفْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾
(التَّصْنُفَاتُ : 26).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْعِفْرِيَةِ مِنَ الْجِنِّ الَّذِي أَبْدَى اسْتِعْدَادَهُ لِسُلَيْمَانَ
ﷺ بِالْإِتْيَانِ بَعْرَ شِ بَلْقَيْسَ: ﴿قَالَ عِفْرِيَةٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا إِنِّيكَ بِهِ. قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ (التَّنْزِيلُ : 39).

والمعنى: أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْقُدْرَةِ عَلَى حَمَلِهِ وَإِحْضَارِهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مَحْتَوِيَاتِهِ.
وأخبر الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ يُوسُفَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِلْمَلِكِ: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى
خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ (يُوسُفُ : 55).

والمعنى: أَنَّهُ خَازِنٌ أَمِينٌ ذُو عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ بِمَا يَتَوَلَّاهُ.
وَضِدُّ الْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْعَجْزُ وَالْحِيَانَةُ.
كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عمرو بن ميمون قال: قال عمر بن
الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ عِنْدَ بِهِ أَيُّكُمْ
مَا أَمَّرَ، فَإِنِّي لَمْ أُعْزِلْهُ عَنِ عَجْزِهِ وَلَا خِيَانَتِهِ».
وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟

قال: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3700).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (1825).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا ذرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلِّينَّ مَالَ يَتِيمٍ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجْمَلُ بِالْمَوْظَفِ أَنْ يُعَامَلَ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ. فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَخَّزَخَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مِنْتَهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».

وَالْمَعْنَى - أَيُّهَا النَّاسُ - عَامِلِ النَّاسِ بِمِثْلِ مَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مَنْ يُعَامِلُ غَيْرَهُ عَلَى خِلَافِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطْفِفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۖ وَإِذَا كَالُوهُمْ

أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۚ﴾ .

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَا وَهَاتِ، وَكِرَةَ لَكُمْ قَيْلٍ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1826).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1844).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (13)، وَمُسْلِمٌ (45).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2408)، وَمُسْلِمٌ (593).

والشاهد من الحديث - أيها الناس - في قوله ﷺ : « وَمَنْعًا وَهَاتِ ». فإنه ذمَّ
الجموعَ المنوعَ الذي يأخذُ ولا يُعطي.

وقد ذَكَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أولياءَ اليتامى بأنهم يَحْشُونَ على ذريَّاتهم الصغارِ
لو تَرَكَوْهُم.

فقال تعالى: ﴿ وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ
وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ (النساء : 9).

والمعنى - أيها الناس - كما أنهم يحبون أن يُحَسَّنَ إلى ذريَّتهم الضعافِ من بعدهم،
فإنَّ عليهم أن يُحَسِّنُوا إلى اليتامى الذين لهم ولايةٌ عليهم.

أيها الناس أنه يَجْمَلُ بالموظفِ تقديمُ الأُسْبِقِ فالأُسْبِقِ من أصحابِ الحاجاتِ.
فمن العَدْلِ والإنصافِ - أيها الناس - ألا يُؤَخَّرَ الموظفُ مُتَقَدِّمًا من أصحابِ
الحاجاتِ ولو كانَ بَغِيضًا أو يُقَدِّمُ مُتَأَخِّرًا ولو كانَ قَرِيبًا بل يكونُ التَّقْدِيمُ عندهُ على
حَسَبِ السَّبْقِ، وفي ذلك رَاحَةٌ للموظفِ وأصحابِ الحاجاتِ، وقد جاءَ في سُنَّةِ
الرَّسُولِ ﷺ ما يَدُلُّ على ذلك.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بينما النبيُّ ﷺ
في مجلسٍ يُحَدِّثُ القومَ، جاءَهُ أعرابيٌّ فقال: متى السَّاعَةُ؟ فمضى رسولُ اللهِ ﷺ
يُحَدِّثُ، فقال بعضُ القومِ: سَمِعَ ما قالَ فَكَّرَهُ ما قالَ. وقال بعضهم: بل لَمْ يَسْمَعْ،
حتَّى إذا قَضَى حَدِيثَهُ. قال: «أينَ أراهُ السَّائِلَ عن السَّاعَةِ؟». قال: ها أنا يا رسولَ
الله، قال: «إذا ضيَّعتِ الأمانةُ فانتظرِ السَّاعَةَ»، قال: كيفَ إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسدَ
الأمرُ إلى غيرِ أهلهِ فانتظرِ السَّاعَةَ».

(1) رواه البخاري (59).

والشاهد من الحديث - أيها الناس - أن الرسول ﷺ لم يُجِبِ السَّائِلَ عن السَّاعَةِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ تَحْدِيثِ مَنْ سَبَقُوهُ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَخْذُ الدُّرُوسِ عَلَى السَّبْقِ، وَكَذَلِكَ الْفَتَاوَى وَالْحُكُومَاتِ وَنَحْوِهَا»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُوظَّفٍ أَنْ يَشْغَلَ الْوَقْتَ الْمُخَصَّصَ لِلْعَمَلِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَخَذَ الْأَجْرَ فِي مُقَابِلِهِ، وَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَرْغَبُ فِي أَخْذِ أَجْرِهِ كَامِلًا وَلَا يُجِبُ أَنْ يُبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُبْخَسَ شَيْئًا مِنْ وَقْتِ الْعَمَلِ يَصْرِفُهُ فِي غَيْرِ صَالِحِ الْعَمَلِ، وَقَدْ ذَمَّ اللهُ الْمُطَفِّفِينَ فِي الْمَكَائِلِ وَالْمَوَازِينِ الَّذِينَ يَسْتَوْفُونَ حُقُوقَهُمْ وَيَبْخَسُونَ حُقُوقَ غَيْرِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَبَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ (المُطَفِّفِينَ : 1-6).

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

الخطبة الثانية - من صفات الموظف :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْأَمَانَةِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ «شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُوظَّفِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُوظَّفٍ أَنْ يَكُونَ عَفِيفًا عَزِيزَ النَّفْسِ غَنِيِّ الْقَلْبِ،
بَعِيدًا عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، مِمَّا يُقَدَّمُ لَهُ مِنْ رَشْوَةٍ وَلَوْ سُمِّيَ هَدِيَّةً؛ لِأَنَّهُ إِذَا
أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ بغيرِ حَقٍّ أَكَلَهَا بِالْبَاطِلِ.

وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْعُمَّالَ مِنْ أَخْذِ شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ وَلَوْ سُمِّيَ هَدِيَّةً.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»¹ من حديثِ أَبِي حَمِيدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَعْمَلَ
رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسَدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللَّتْبِيَةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا
لَكُمْ وَهَذَا أَهْدِي لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،
وَقَالَ: «مَا بَالُ عَامِلٍ أَنْعَثَهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدِي لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ
أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُّهُدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟»، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا
شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَمْلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خَوَارٌ، أَوْ شَاةٌ
تَيْعَرٌ. ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَغْتُ؟ مَرَّتَيْنِ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»² من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ
فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَأَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7174)، وَمُسْلِمٌ (1822) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3073)، وَمُسْلِمٌ (1831).

على رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا نُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاخٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفُقُ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ».

وَالرَّقَاعُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْحَدِيثِ هِيَ الثَّيَابُ، وَالصَّامِتُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ.

وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَدَايَا الْعَمَلِ غُلُولٌ».

وَالغُلُولُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْخِيَانَةُ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ. وَالْمُرَادُ أَنْ هَدَايَا الْعَمَالِ مِنَ جُمْلَةِ الْغُلُولِ.

قَالَ الْعَبَادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ - فِي «شَرْحِهِ لِسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾: «لَا يَجُوزُ لِلْعَمَالِ وَلَا لِلْمُوظَّفِينَ قَبُولُ الْهَدَايَا؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «هَدَايَا الْعَمَالِ غُلُولٌ» يَعْنِي: لَيْسَ لِلْمُوظَّفِ أَنْ يَقْبَلَ هَدِيَّةً سِوَاءَ أَكَانَتْ مِنْ مُوظَّفٍ عِنْدَهُ، أَوْ مِنْ مُرَاجِعٍ مِنَ الْمُرَاجِعِينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنَ الْخَارِجِ لِحَاجَتِهِمْ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يُهْدُوا لِلْمُوظَّفِينَ وَلَا يَجُوزُ لِلْمُوظَّفِينَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْغُلُولِ، كَمَا فِي قِصَّةِ ابْنِ اللَّتْبِيَّةِ الَّذِي جَاءَ

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (23601)، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (2622).

(2) «شرح سنن أبي داود» للعباد (270/5).

بالصدقات وقال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فانكر ذلك رسول الله ﷺ وقال: «فهل جلس في بيت أبيه أو بيت أمه لينظر هل تأتيه هديّة؟». يعني ما أعطي الهدية إلا بسبب كونه عاملاً.

وكذلك المدرّس لا يجوز له أن يقبل الهدية من الطلاب لاختمال الميل إليه ومحابته بزيادة درجاته فتكون الهدية سبباً في ذلك ولكنه إذا كان أهدي له كتاباً وقبّله فإنه يعطيه كتاباً أحسن منه وبذلك يزول الإشكال.

أيها الناس إنه يجب على الموظفين الذين يعملون في إیرادات الدولة أن يوصلوا الأموال إليها كاملة غير منقوصة.

لما في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عدي بن عميرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استعملناه منكم على عمل فخطأ فما فوقه، كان غلواً يأتي به يوم القيامة».

فقوله ﷺ: «فخطأ» أي: أخفى عنا.

وقوله: «خطأ» أي: إبرة.

وقوله: «فما فوقه» أي: فشيئاً يكون فوق الخط في الصغر أو الكبر.

فالحديث - أيها الناس - كما قال النووي رحمه الله: «مُسَوِّقٌ لِحَثِّ الْعَمَالِ عَلَى الْأَمَانَةِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْخِيَانَةِ»⁽²⁾.

أيها الناس لا يجوز لأحد أن يسوغ لنفسه أخذ أموال الدولة بدعوى أن الفساد منتشر والرّشوة ضاربة أطنابها عند كبار فضلاً عن الصغار فإن هذا من مغالطة

(1) رواه مسلم (1833).

(2) «مرقاة المفاتيح» (74/6).

النَّفْسِ وَمِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْئُولٌ عَنْ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ اللَّهِ، وَكَوْنُ الدَّوْلَةِ لَا تَعْطِيهِ مَا يَكْفِيهِ فَلَا يُسَوِّغُ لِنَفْسِهِ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يَسُدُّ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ عِيَالِهِ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَأْذَنْ لِلْمَوْظَفِ أَنْ يَأْخُذَ زِيَادَةً عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ لَهُ مِنَ الدَّوْلَةِ.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَا عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ».

اللَّهُمَّ وَفَّقْ كُلَّ مَوْظَفٍ وَعَامِلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَدَاءِ عَمَلِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيكَ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ.

(1) «صحيح» أخرجه أبو داود (2943)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6023).

[22] [خَطَرُ الدُّيُونِ]

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ الْفَسَنَاءِ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (النمل: 102).

- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبِّمًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿يُسْلِحْ لَكُمْ أَسْلِحَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الجن: 1-2).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهادي هادي محمد - ﷺ - ،
وشر الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
أما بعد - فحديثي معكم - أيها الناس - عن «خطر الديون».

أيها الناس الديون مما ابتلي به كثير من الناس وما من أحد إلا وهو مدين.
فمن الناس من يستدين للإِنفاق على عياله وفيما يرضي الله ويأخذ ذلك على نيّة
السداد والوفاء فهم داخلون - إن شاء الله - في مثل قول رسول الله ﷺ كما في
«صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ
أَدَاءَهَا آذَاهَا اللَّهُ عَنْهُ».

(1) رواه البخاري (2387).

ومن الناس من يأخذ أموال الناس وليس له نيّة في ردّها فهم داخلون في مثل قوله ﷺ كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ أَخَذَ أموالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتَلَفَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وأما أصحابُ الأموالِ الذين فَتَحَ اللهُ عليهم وأعطاهم فمَنْهُمْ من يُفَرِّجُ كُرْبَاتِ المُسْلِمِينَ ومنهم من يَتَجَاوَزُ عَنِ المُعْسِرِينَ وَيُحْسِنُ إِلَى المُؤَسِّرِينَ ومنهم من يُشَارِكُ في كثيرٍ من طُرُقِ الحَيْرِ وهؤلاءِ داخلُونَ - إن شاء اللهُ - في مثلِ قولِهِ ﷺ كما في «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ نَفَسَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِّنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِّنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِينَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ بَلْ عَدَّهُ نَبِيُّنا ﷺ مَخَافَةً.

كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ من حديثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُحْيِقُوا أَنْفُسَكُمْ». أَوْ قَالَ: «الْأَنْفُسَ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ بِمَا نُخَيِّفُ أَنْفُسَنَا؟ قَالَ: «الدِّينُ».

وَالدِّينُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَا يُكْفَرُهُ حَتَّى الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَا أَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2387).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2699).

(3) انظُرْ كِتَابَ «الدَّرَ الْمَكْنُونِ فِي أَحْكَامِ الدِّيُونِ» لِأَخِينَا عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى الْحَجُورِيِّ - حَفِظَهُ اللهُ - (ص 5) وَقَدْ اسْتَفْذَتْ مِنْهُ كَثِيرًا فِي إِعْدَادِ هَذِهِ الْحَقِيبَةِ. جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا وَزَادَهُ عِلْمًا وَهَدَى وَصَلَاحًا.

(4) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (154/4)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2420).

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكرهم: «الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله أفضل الأعمال». فقام رجل: يا رسول الله، أرايت إن قُلتُ في سبيلِ الله؛ تُكفّر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نعم إن قُلتَ في سبيلِ الله، وأنت صابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ، غيرٌ مُذِيرٌ»، ثم قال ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟». قال: أرايت إن قُلتُ في سبيلِ الله؛ تُكفّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وأنت صابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ، غيرٌ مُذِيرٌ إلا الدين، فإن جبرئيلَ عليه السلام قال لي ذلك».

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»⁽²⁾ من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو بريء من الكبر والغلول، والدين، دخل الجنة».

أيها الناس إنه لا بد من القصاص يوم القيامة من المظالم ومنها الديون.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟». قالوا: المفلِسُ فينا من لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، فَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا،

(1) رواه مسلم (1885).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (1572)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (2412).

(3) رواه البخاري (2440).

(4) رواه مسلم (2581).

وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»⁽²⁾ عن ميمون الكُرْدِيِّ عن أبيه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ لَا مَرَّةَ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَ حَتَّى بَلَغَ عَشْرَ مَرَارٍ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بِهَا قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ مِنَ الْمَهْرِ لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا حَقَّهَا خَدَعَهَا فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا؛ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى صَاحِبِهِ حَقَّهُ خَدَعَهُ حَتَّى أَخَذَ مَالَهُ، فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّهِ؛ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ سَارِقٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ أَلَّا مَا أَثْقَلَ الدُّيُونَ فَلَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يُثْقَلَ كَاهِلُهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ فَكَمْ مِنْ تَاجِرٍ ضَاعَفَ دَخْلَهُ بِالدُّيُونَ وَعِنْدَهُ مَا يَكْفِيهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأَمْهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكِرَةً لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّيُونَ قَدْ تَقُوذُ إِلَى مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ وَهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ كَثِيرًا مَا يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ مِنَ الدَّيْنِ.

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2582).

(2) «صحيح» أخرجهُ الطبراني في الأوسط (1851)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (167/2).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2408)، وَمُسْلِمٌ (593).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعُو في الصلاة، ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». فقال قائل له: ما أكثر ما تستعيذُ يا رسول الله من المغرم؟ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ؛ حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال المهلب: يُستفاد من الحديث سدُّ الذرائع؛ لِأَنَّهُ اسْتَعَاذَ مِنَ الدِّينِ، لِأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ، وَالْحَلْفِ فِي الْوَعْدِ مَعَ مَالِصَاحِبِ الدِّينِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَقَالِ»⁽²⁾.

وفي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا نَزَلَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ».

والضلع - أيها الناس - أي: الثقل أي بثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء والاعتدال، وغلبة الرجال أي شدة تسلطهم.

أيها الناس اعلموا أن ترك النبي الصلاة على صاحب الدين كان في أول الأمر ثم نسيخ بالصلاة عليه

ففي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين، فيسأل: «هل ترك لدينه فضلاً؟» فإن حدث أنه ترك لدينه. وإلا قال للمسلمين: «صلوا على صاحبكم»، فلما فتح الله عليه الفتوح،

(1) رواه البخاري (2397)، ومسلم (589).

(2) «الفتح» (77/5).

(3) رواه البخاري (2893).

(4) رواه البخاري (2298)، ومسلم (1619).

قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوِّفِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا فَعَلَّ قَسَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلَوْرَثِيهِ».

قال القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمُفْهِمِ»: «سُؤَالُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْمَيْتِ هَلْ عَلَيْهِ دِينٌ أَوْ لَا، وَامْتِنَاعُهُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ عَلَيْهِ دِينٌ، وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً إِشْعَارًا بِصُعُوبَةِ أَمْرِ الدِّينِ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَمَّلَهُ الْإِنْسَانُ إِلَّا مِنْ ضَرُورَةٍ وَأَنَّهُ إِذَا أَخَذَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتْرَاحَى فِي أَدَائِهِ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُ وَذَلِكَ لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ أَنَّ الدِّينَ شَيْنٌ، الدِّينُ هَمٌّ بِاللَّيْلِ وَمَذَلَّةٌ بِالنَّهَارِ، وَإِخَافَةٌ لِلنَّفُوسِ بَلْ وَإِزْقَاقٌ هَذَا»⁽¹⁾.

وَقَدْ كَانَ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ لِيَرْتَدِعَ مَنْ يَتَسَاهَلُ فِي أَخْذِ الدِّينِ حَتَّى تَتَشَوَّشَ أَوْقَاتُهُمْ عِنْدَ الْمَطَالِبَةِ، وَكَانَ هَذَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كِتَابَةِ الدِّينِ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ فَلَا يَدْرِي أَحَدُنَا مَا يَعْرِضُ لَهُ.
فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا حَقُّ أَمْرِي بِمُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوَصِيَ فِيهِ، يَبِيْتُ لِيَلْتَكِنَ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ».
وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(1) «الْمُفْهِمُ» (574/4).

(2) زَوَاهِ مُسْلِمٍ (1627).

الخطبة الثانية - فضل إنظار المعسر:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «خَطَرِ الدُّيُونِ» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ».

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ وَأَحَادِيثٌ فِي فَضْلِ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ مَا يَمَلَأُ الصَّدْرَ وَالنَّحْرَ فَمِنْهَا:

قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ فَنظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (البقرة : 280).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «يَأْمُرُ تَعَالَى بِالصَّبْرِ عَلَى الْمُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِدُ وَفَاءً قَالَ: ثُمَّ يَنْدُبُ إِلَى الْوَضْعِ عَنْهُ، وَيَعِدُهُ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، فَقَالَ: «وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ» أَي: وَأَنْ تَتْرَكُوا رَأْسَ الْمَالِ بِالْكُلِّيَّةِ وَتَضَعُوهُ عَلَى الْمَدِينِ»^(١).

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن أبي قتادة، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيبًا لَهُ فَنَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَلْيُنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي اليسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ».

(1) «تفسير ابن كثير» (1/717).

(2) رواه مسلم (1563).

(3) رواه مسلم (3006).

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَأَنْظَرُهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَاهُ صَدَقَةٌ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاتَ رَجُلٌ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَبَايِعُ النَّاسَ فَأَتَجَوَّزُ عَنِ الْمُوسِرِ، وَأُخَفِّفُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَغُفِرَ لَهُ».

وفي رِوَايَةٍ: «فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»⁽³⁾.

وفي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِغِلْمَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ».

(1) «صحيح»، رواه أحمد (2/359)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6106).

وقال شيخنا الوداعي رحمه الله في «الصحيح المسند» (3932) هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

(2) رواه البخاري (2391)، واللفظ له، ومسلم (1560).

(3) رواه البخاري (3451).

(4) رواه مسلم (1561).

(5) رواه البخاري (2078)، ومسلم (1562).

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُوَدَّعَ مَقَامِي هَذَا أُذَكِّرُكُمْ بِمَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ عَلِمْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ خَيْرَ دِينًا، أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ». قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

نَسَأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنْ يُوفِقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَأَنْ يُغْنِينَا وَإِيَّاكُمْ بِالْحَلَالِ عَنِ الْحَرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْنِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3563)، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (2625).

عِزَّةُ النَّفْسِ

23

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْكَرَاتِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءَ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَخْتِنَابِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عَنِ «عِزَّةِ النَّفْسِ».

أيها الناس عِزَّةُ النَّفْسِ تَعْنِي الِارْتِفَاعَ عَنِ مَوَاضِعِ الْمَهَانَةِ، وَيُقَابِلُهَا الضَّعْفُ وَهِيَ انْحِدَارُ النَّفْسِ فِي الْمَهَانَةِ.

أيها الناس عزيزُ النَّفْسِ لَا يُرِيقُ مَاءَ وَجْهِهِ، وَلَا يَبْذُلُ عِرْضَهُ فِيمَا يُدْنِسُهُ، فَيَبْقَى مَوْفُورَ الْكِرَامَةِ، مُرْتَاحَ الضَّمِيرِ، مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، شَامِخَ الْعِزِّينِ لَا يَسِيرُ إِلَّا وَفَقَ مَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ إِيهَانُهُ.

أيها الناس لقد رَبَّأَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ - رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - عَلَى خُلُقِ الْعِزَّةِ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَذْكُرُ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِسْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟». وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةِ فِقْلَنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟». فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟». قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْحَمْسَ، وَتُطِيعُوا (وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً) وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوَاطِئَ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ: «هَذَا حَمَلٌ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَتَعْظِيمِ الصَّبْرِ عَلَى مَضَضِ الْحَاجَاتِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ النَّاسِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ»⁽³⁾.
وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى الْمَشْيِ فِي مَنَاكِبِ الْأَرْضِ لِئَلَّا تَصَدَّعَ قَنَاةُ الْعِزَّةِ بِسُؤَالِ النَّاسِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽⁴⁾ من حديث الزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِي بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعُهَا، فَيَكْفُ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1429)، وَمُسْلِمٌ (1033) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1043).

(3) «دَلِيلُ الصَّالِحِينَ» (4/418).

(4) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1471)، وَأَخْرَجَهُ بَنُخُوْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (1042).

كما نهى النبي ﷺ عما يدسُّ النفوسَ ويُنزِلُها إلى حَضِيضِ الدَّرَكَاتِ فلم يُبَحِّسْ سؤالَ الناسِ إلا عندَ ضُرُورَةٍ حَرِجَةٍ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث قُيُصَّةَ بنِ مُخَارِقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: تَحَمَّلْتُ حِمَالَةَ (أَي دِيَّةً أَوْ غَرَامَةً) فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيهَا فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَا الصَّدَقَةَ فَتَأْمُرَ لَكَ بِهَا». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قُيُصَّةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ تَحْمَلُ حِمَالَةَ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيهَا ثُمَّ يُنْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاخَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَابِ مِنْ قَوْمِهِ (أَي مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ): لَقَدْ أَصَابَتْ فَلَانٌ فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يَصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) فَمَا سِوَاهُنَّ يَا قُيُصَّةُ مُسَخَّتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا مُسَخَّتًا».

أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ حَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ سِوَالِ النَّاسِ وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ مِنْ يَسْأَلِ النَّاسَ وَعِنْدَهُ قَدْرٌ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ فَإِنَّهُ يَسْأَلُ نَارًا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ أَحْتِظَلِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْبِرُ مِنَ النَّارِ».

قَالَ النَّفِيُّ وَهُوَ أَحَدُ زُوَايِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَمَا الْغِنَى الَّذِي لَا يَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ؟ قَالَ: «قَدْرٌ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مَنَّا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَوْ لِأَهْلِهِ أَوْ لِأَوْلَادِهِ أَوْ لِمَنْ يُعْزُّ عَلَيْهِ هَوَانُهُ وَذَلَّتُهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَى وَجْهِهِ مُزْعَةٌ حَمِيمٌ.

(1) زَوَاؤُ مُسْلِمٍ (1044).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (180/4) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6280).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم».

أيها الناس النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمِنَ الْجَنَّةَ لِمَنْ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَكَفَّلَ - أَي ضَمِنَ - لِي الْأَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا، وَاتَّكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟».

فقال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحدًا شيئًا.

فهذا الحديث - أيها الناس - قد جمع بين عز الدنيا وشرف الآخرة

أيها الناس من جاءه من هذا المال شيءٌ وهو غير مُشرفٍ ولا متطعٍ ولا سائلٍ فإنها هو رزق ساقه الله إليه وما لا يكون كذلك فلا يجوز أن تتبعه نفسه.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مِنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ - وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ - فَخُذْهُ، وَمَا لَا فَلا تَتَّبِعْهُ نَفْسُكَ».

والإشراف - أيها الناس - هو التعرضُ للشيءِ والحِرْصُ عليه، ويكون بالقلبِ

كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وَقَالَ: هُوَ أَنْ يَقُولَ مَعَ نَفْسِهِ يَبْعَثُ إِلَيَّ فَلَانُ بِكَذَا!

(1) رواه البخاري (1474)، ومسلم (1040).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (276/5)، وأبو داود (1643)، والنسائي (2591)، وصححه الألباني في

«صحيح الجامع» (6603، 6604).

(3) رواه البخاري (1473)، ومسلم (1045).

أيها الناس لقد كان العلماء فيما مضى يُلقنون طلابهم حفظ قصيدة الجرجاني علي بن عبد العزيز في عزة النفس وهي قصيدة طبقت شهرتها الآفاق ولا بد أن ألقيتها على مسامعكم لما تحمله من معاني سامية وأخلاق رائدة.

- يقولون لي: فيك انقباض وإنما ○●○ رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً
أرى الناس من دانا هم هان عندهم ○●○ ومن أكرمه عزة النفس أكرماً
ولم أقض حق العلم إن كنت كلماً ○●○ بدا مطمع صيرته لي سلماً
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً ○●○ عن الذل اعتد الصيانة مغنماً
إذا قيل: هذا منهل قلت: قد أرى ○●○ ولكن نفس الحر تحتمل الظماً
أنزها عن بعض ما لا يشينها ○●○ مخافة أقوال العدا: فيم أو لِمَا؟
فأصبح عن عيب اللئيم مسلماً ○●○ وقد رحت في نفس الكريم معظماً
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبث ○●○ أقلب كفي إثره متندماً
ولكنه إن جاء عفواً قبلته ○●○ وإن مال لم أتبعه: هلاً وليتما
وأقبض حظوي في حظوظ كثيرة ○●○ إذا لم أنلها وافر العرض مكرماً
وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً ○●○ وأن أتلقى بالمديح مذمماً
وكم طالب رقى بنعماءه لم يصل ○●○ إليه، وإن كان الرئيس المعظماً
وكم نعمة كانت على الحر نعمة ○●○ وكم مغنم يعتده الحر مغرماً
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ○●○ لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة؟ ○●○ إذا فاتبأع الجهل قد كان أخزماً
وإني لراضٍ عن فتى متعفف ○●○ يروح ويفدو ليس يملك دزماً
يبيت يراعي النجم من سوء حاله ○●○ ويصبح طلقاً ضاحكاً متبسمًا

- ولا يسأل الشرير ما باكفهم ○●○ ولو مات جوعاً عفاً وتكرماً
 فإن قلت زئد العلم كاب، فإنما ○●○ كجحين لم نخرس حماه وأظلمما
 ولو أن أهل العلم صانوه صائهم ○●○ ولو عظموه في النفوس لعظما
 ولكن أهائوه فهائوا وذنسوا ○●○ محياه بالأطماع حتى تجهما!
 وما كل برق لاح لي يستفزني ○●○ ولا كل من لاقيت أرضاه منعمما
 ولكن إذا ما اضطرنني الضر لم أبت ○●○ أقلب فكري منجدا ثم منهما
 إلى أن أرى مالا أغص بذكره ○●○ إذا قلت: قد أسدى إلي وأنعماً⁽¹⁾

وأستغفر الله.

(1) أدب الدنيا والدين (83)، والبداية والنهاية (355/11)، وخاص الخاص (228، 229).

الخطبة الثانية - الاستغناء عن الناس :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ المرسلين، وَعَلَى آلهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «عِزَّةِ النَّفْسِ» وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ «الاستغناء عن الناس».

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ وَارْتَفَعَتْ نَفْسُهُ لَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ عَرَقِ جَبِينِهِ وَمَنْ كَسِبَهُ وَمَنْ هَانَتْ نَفْسُهُ عَلَيْهِ فَمِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ مَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عبد المطلب بن ربيعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا لَا تَحْمِلُ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ».

وعلى هذا المنوال من العزّة سار الصحابة الكرام بسيرة نبيهم ﷺ.

فقد أخرج مالك في الموطأ بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽²⁾ من حديث أسلم قال: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَرْقَمَ: اذْلُنِي عَلَى بَعِيرٍ مِنَ الْعَطَايَا اسْتَحْمِلَ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قُلْتُ: نَعَمْ جَمَلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَرْقَمَ: أَتُحِبُّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا بَادِنَا فِي يَوْمٍ حَارٍّ غَسَلَ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ وَرَفَعِيهِ ثُمَّ أَعْطَاكَهُ فَشَرِبْتَهُ.

قَالَ: فَغَضِبْتُ وَقُلْتُ: يَغْفِرُ اللهُ لَكَ لِمَ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا لِي؟

(1) رواه مسلم (1072).

(2) «صحيح» الموطأ (2/1001) الحديث (15)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (1/198).

قال: إنما الصدقة أوساخ الناس يغسلونها عنهم.

أيها الناس هنا مدرسته محمد رسول الله ﷺ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فَمَنْ أَخَذَهَا بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ. الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً (أي لا أسأله من ماله) حتى أفارق الدنيا.

فكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه. ثم إن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دعاه ليُعْطِيَهُ فأبى أن يقبل منه شيئاً. فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا القبيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي.

أيها الناس الرزق مقسوم والقدر محسوم فطوبى لمن أنزل حاجته بالغني الحميد.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنَى عَاجِلٍ».

قال العباد - حفظه الله - : «قوله: «ومَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى، إِمَّا

بِمَوْتٍ عَاجِلٍ» أي: بأن يموت له قريب له عنده مال فيرثه، فيصير إليه المال من جهة

(1) رواه البخاري (1429)، ومسلم (1033).

(2) «صحيح» أخرجه أبو داود (1645)، وصححه الألباني في «الصحيح» (2787).

لم يفكر فيها، ولم تقع له على بال بل ساقه الله إليه من حيث لم يحتسب، «أو بغنى عاجل» أي: بأن يهيء الله له الخير، ويهيء له الأسباب التي توصله إلى الغنى فيحصل على الغنى»⁽¹⁾.

أيها الناس ألا ما أجمل القناعة ففي التمسك بها صيانة النفس.
ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه». أيها الناس إذا استغنى الناس بالناس فاستغنوا أنتم بالله فمن استغنى بالله عن الناس أغناه الله.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنيه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر».

وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس».

قال السيوطي رحمه الله: «قوله: «ولكن الغنى غنى النفس» أي الغنى المحمود العظيم النافع شبع النفس وقلة حرصها»⁽⁵⁾.

(1) «شرح سنن أبي داود» للعباد - حفظه الله - (74/9).

(2) رواه مسلم (1054).

(3) رواه البخاري (1469)، ومسلم (1053).

(4) رواه البخاري (6446)، ومسلم (1051).

(5) «الديباج على مسلم» للسيوطي (130/2).

أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ أُودَعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِوَصِيَّةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فقد أخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث سهل بن سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد! عيش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقة، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى⁽²⁾.

(1) «حسن» أخرجه الطبراني في «الأوسط» (306/4)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (73).

(2) جاء ذلك في «صحيح مسلم» (2721) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه

قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِغْنَى».

مِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ⁽¹⁾

24

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغذيات: 102).

- ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسب: 1).

- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتياز: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،
وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أيها الناس - عَنِ «صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ».

أيها الناس إن كان حديثنا تسمعه المرأة حيث كانت فنقول لها: «إِيَّاكَ أَغْنِي
وَاسْمِعِي يَا جَارَةٌ» وإن كانت لا تسمع فهذا الأب وهذا الأخ وهذا الزوج وهذا الابن
فليبلغ الشاهد الغائب.

(1) استفتدت في إعداد هذه الخطبة من كتاب «صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ» لِأُمِّ أَسَامَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ الْعَبَّاسِيَّةِ

وقد قال رسول الله ﷺ كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «بلغوا عني ولو آية».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يبلغ الشاهد الغائب».

فمن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - أن تكون سالحة

لقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(النساء : 34).

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا، المرأة الصالحة».

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - أن تكون مخلصمة وصادقة مع الله.

لقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الاعراف : 29).

وفي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

(1) رواه البخاري (3461).

(2) رواه البخاري (7447)، ومسلم (1679).

(3) رواه مسلم (1467).

(4) رواه البخاري (1)، ومسلم (1907).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَنْ تَسْتَحْضِرَ ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ وَكُلِّ نَازِلَةٍ حَتَّى السَّوَكَةَ تُصِيبُهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (الزُّنُجُبَا : ٥١).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (التَّعْوِيلَا : ١١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدْرِ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ».

وَالْعَجْزُ وَالْكَيْسُ - أَيُّهَا النَّاسُ - ضِدَّانٍ؛ فَتَشَاطُ النَّشِيطِ وَكَسَلِ الْكُسُولِ وَعَجْزُهُ كُلُّ ذَلِكَ بِقَدْرِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَعْنَاهُ أَنْ الْعَاجِزَ قَدْ قَدَّرَ عَجْزُهُ وَالْكَيْسَ قَدْ قَدَّرَ كَيْسُهُ»^(٢).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ تَالِيَةً لِكِتَابِ اللَّهِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَأَذْكُرْتِ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الْاِحْتِزَابَا : ٣٤).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ حَرِيصَةً عَلَى طَلَبِ

الْعِلْمِ النَّافِعِ.

(١) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2655).

(٢) «شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ» (205/16).

(٣) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7529)، وَمُسْلِمٌ (815).

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (المجادلة : ١١).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه : ١١٤).

قال الحافظ رحمه الله في «الفتح»^(١) : «قوله: ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾. واضح الدلالة في فضل العلم؛ لأن الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يُفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرَاةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مَحَافِظَةً عَلَى صَلَاتِهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون : ٩-١١).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرَاةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مَحَافِظَةً عَلَى آدَاءِ زَكَاةِ مَالِهَا.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٣٣﴾﴾ (الاحزاب : ٣٣).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمُرَاةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَحَافِظَةُ عَلَى الْأَذْكَارِ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ (الاحزاب : ٣٥).

ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا جمدان، سبق المقردون». قالوا: وما المقردون؟ يا رسول الله، قال: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ».

(١) فتح الباري، (١/١٨٧).

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِكْرَامُ الضَّيْفِ .

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَضْمُتْ» .

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مَا مَعْنَا إِلَّا الْمَاءُ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ يَضْمُ» أَوْ «يُضِيفُ هَذَا؟»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا، فَاذْهَبِي بِهِ إِلَى امْرَأَتِي، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صِبْيَانِي. فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكَ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ وَنَوْمِي صِبْيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عِشَاءً. فَهَيَّئْتِ طَعَامَهَا وَأَصْبَحْتِ سِرَاجَهَا وَنَوَّمْتِ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيئِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ» أَوْ «عَجَبًا فَعَالِكُمَا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الْحَشْرُ : 9) .

أَيُّهَا النَّاسُ لَعَلَّكُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تَعْرِفُوا مِنَ الصَّحَابِيِّ وَمِنَ الصَّحَابِيَّةِ الَّذِينَ أَعْجَبَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - مِنْ فَعَالِهِمَا فَالصَّحَابِيُّ هُوَ أَبُو طَلْحَةَ وَالصَّحَابِيَّةُ هِيَ أُمُّ سَلِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَاعَتُهَا لِرَوْجِهَا .

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(النِّسَاءُ : 34) .

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6136)، وَمُسْلِمٌ (47) .

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3798)، وَمُسْلِمٌ (2054) .

قال الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: « قَتِنْتُ ﴾ ، يَعْنِي: مُطِيعَاتُ اللهِ وَلَا أَزْوَاجَهُنَّ⁽¹⁾ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ جِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ» .
وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

(1) «تفسير الطَّبْرِيِّ» (6/691).

(2) «صحيح» أَخْرَجَهُ ابْنُ جِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ (4163)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (660).

الخطبة الثانية - من صفات المرأة المسلمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - ما زال الحديث معكم عن «صفات المرأة المسلمة».

أيها الناس الحديث عن صفات المرأة المسلمة ذو شجون؛ لأنها قلب الأسرة تصلح الأسرة بصلاحها ويفسدها تفسيد.

فمن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - حسن الخلق.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم».

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - حفظ لسانها عن الكلام في الآخرين.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا يَنْتَبِ بِمَعْزُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (المحذرات : 12).

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ

قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

ومن صفات المرأة المسلمة - أيها الناس - حفظ لسانها وأن لا تكون لعانة

ولا شامة.

(1) «صحيح» أخرجه أحمد (2/250، 472)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (1232).

(2) رواه البخاري (10)، ومسلم (40).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ»

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ تَكُونَ مَعْلَمَةً وَاعِظَةً.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ (التَّوْبَةُ : 71).

وفي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الإرواء»⁽³⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مُرْنَا أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي اسْتَحْيَيْتُهُمْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ».

وَمَعْنَى قَوْلِهَا «يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ» أَي يَغْسِلُوا عَنْهُمْ أَثَرَ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ.

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - السُّؤَالُ عَنْ أُمُورِ دِينِهَا وَأَنْ لَا تَشْغَلَ نَفْسَهَا بِالسُّؤَالِ عَنِ الْمَوْضُوعَاتِ.

ففي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عَذَّبَ».

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (304)، وَمُسْلِمٌ (80).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2598).

(3) «صحيح» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (19)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (42).

(4) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (103)، وَمُسْلِمٌ (2876).

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَوْ لَيْسَ يَقُولُ اللهُ - تَعَالَى - : ﴿نَوْفٌ بِمِثَابٍ يَسِيرًا﴾؟
قالت: فقال: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَكِنْ مَنْ تَوَقَّسَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ».

فدَلَّ الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْحَافِظُ: «مَا كَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى تَفْهَمِ مَعَانِي الْحَدِيثِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَتَضَجَّرُ مِنَ الْمُرَاجَعَةِ فِي الْعِلْمِ».
بَلْ إِنَّ نِسَاءَ الصَّحَابَةِ كُنَّ يَسْأَلْنَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ دَقَائِقِ الْأُمُورِ فَضْلًا عَنْ جَلِيلِهَا.
ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: جَاءَتْ أُمُّ سَلِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ مِنَ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا اخْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ». فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي: وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرَبَّتْ يَمِينُكَ، فِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا».
وَمِنْ صِفَاتِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - سُرْعَةُ الْاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ.

ففي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ من حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمَهَاجِرَاتِ الْأُولَى، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾. شَقَقْنَ مَرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

قال الحافظ رحمه الله: «قولها فاختمرن، أي: غطين وجوههن»⁽³⁾.
قال الشنقيطي رحمه الله: «هذا الحديث الصحيح صريح في أن النساء الصحابيات المذكورات فيه فهمن أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾. يقتضي

(1) رواه البخاري (130)، ومسلم (313).

(2) رواه البخاري (4758)، (4759).

(3) «الفتح» (490/8).

سَتَرَ وَجُوهَهُنَّ وَأَتَهُنَّ شَقَقْنَ أُرْزُهُنَّ، فَاخْتَمَرْنَ، أَي: سَتَرْنَ وَجُوهَهُنَّ بِهَا امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ﴾. المقتضى سَتَرُ وَجُوهَهُنَّ⁽¹⁾.

وأخرج ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» بسندٍ حسنٍ لِغَيْرِهِ من حديثِ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: بينما نحنُ عندَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: وَذَكَرَتْ قُرَيْشُ وَفَضْلَهُنَّ، فَقَالَتْ: إِنَّ لِنِسَاءِ قُرَيْشٍ لَفَضْلًا، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ من نِسَاءِ الْأَنْصَارِ أَشَدَّ تَصَدِيقًا بكتابِ اللَّهِ، وَلَا إِيْمَانًا بِالتَّنْزِيلِ لَقَدْ أَنْزَلَتْ سُورَةُ النُّورِ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ﴾. انْقَلَبَ رِجَالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ يَتْلُونَ عَلَيْهِنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِنَّ فِيهَا، وَيَتْلُو الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأَخِيَّتِهِ، وَعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ مَا مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا قَامَتْ إِلَى مِرْطِهَا المَرْحَلِ فَاعْتَجَزَتْ بِهِ تَصَدِيقًا وَإِيْمَانًا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ من كتابِهِ فَاصْبَحْنَ يُصَلِّينَ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ الصُّبْحِ مَعْتَجِرَاتٍ كَأَنَّ عَلَى رُؤُسِهِنَّ الغُرَبَانَ⁽²⁾.

ومعنى «معتجرات» - أيها الناس - أي مختمرات كما تقدم في «صحيح البخاري».

أيها الناس ألا ما أشدَّ سرعةَ استجابةِ نِسَاءِ الصَّحَابَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ألا ما أشدَّ حرصَ الصَّحَابَةِ على تعليمِ أهلِهِم العِلْمَ.

دَلَّ على ذلك قولُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: انْقَلَبَ رِجَالُهُنَّ إِلَيْهِنَّ يَتْلُونَ عَلَيْهِنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِنَّ فِيهَا، وَيَتْلُو الرَّجُلُ عَلَى امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهِ وَأَخِيَّتِهِ، وَعَلَى كُلِّ ذِي قَرَابَتِهِ!

رَبَّنَا هَبْ لَنَا من أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

(1) «أضواء البيان» (594/6).

(2) «حسن لغیره» أخرجه ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» (2575/8)، وفي سننِهِ: مسلمٌ بنُ خالدٍ الزُّنْجِيُّ، لكنَّهُ متابعٌ، تابعَهُ داودُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ، ومُعَمَّرٌ، وإبراهيمُ بنُ مهاجرٍ بنحوِهِ مُختَصَرًا، وأصلُ الحديثِ في البخاريِّ (4759) بإفادَةِ «حجابِ المرأة» (ص 43) للزُّرَّاجِيِّ.

من آداب النّوم

25

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْاِحْتِزَابُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النَّبَاةُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِزَابُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «آدَابِ النَّوْمِ».

أَيُّهَا النَّاسُ النَّوْمُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكَ

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الزُّمَرُ : 23).

وآياته - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ حُجَجُهُ وَبِرَاهِينُهُ الدَّالَّةُ عَلَى قَدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَالْجَزْءِ (1).

(1) انظر «أيسر التفاسير» للجزائري (4/169).

ومن دلائل هذه القُدرة أن جعل الله النَّومَ راحةً لكم في اللَّيْلِ أو النَّهارِ إذ في النَّومِ حصولُ الراحةِ وذهابُ التَّعبِ، وجعلَ لكم النَّهارَ تَتَشِيرُونَ فِيهِ لِطَلْبِ الرِّزْقِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلَالَةً عَلَى كِمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ وَنَفُوضِ مَشِيَّتِهِ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ الْمَوَاعِظَ سَمَاعًا تَأْمُلُ وَتَفَكِّرُ وَاعْتَبَارًا⁽¹⁾.

قال القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ : «غلبَةُ النَّومِ لِصَاحِبِهِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ، وَانْتِبَاهُهُ بِإِلَّا اكْتِسَابٍ يَدُلُّ عَلَى مَوْتِهِ ثُمَّ بَعْثِهِ فِي حَالِ مَنَامِهِ يَرَى مَا يَسْرُهُ وَمَا يَضُرُّهُ يَدُلُّ عَلَى حَالِهِ فِي قَبْرِهِ، اللَّهُ أَعْلَمُ كَيْفَ حَالُهُ، أَمْرُهُ فِيهَا يَلْقَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلنَّوْمِ آدَابًا قَلَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا وَإِنْ أَخَذَ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضَهُ فَقَدْ تَرَكَ كَثِيرًا مِنْهُ وَالْمَوْفُوقُ مِنَ وَفَّقَهُ اللَّهُ.

فمن تلك الآداب - أيُّهَا النَّاسُ - التَّبَكُّيرُ فِي النَّوْمِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا.

والتَّبَكُّيرُ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَدْ أَصْبَحَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ سُنَّةً مَهْجُورَةً وَخَاصَّةً بَعْدَ ظُهُورِ التَّلْفَازِ وَقَدْ عَلِمَ الْجَمِيعُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالْبِرْكَةَ فِي الْإِتِّبَاعِ.

فها هو العلمُ الْحَدِيثُ يُثَبِّتُ لِلْجَمِيعِ أَنَّ أَفْضَلَ أَوْقَاتِ النَّوْمِ مَا كَانَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَأَنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّوْمِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ تَعَادِلُ سَاعَتَيْنِ مِنْ آخِرِهِ وَلَا تَقُومُ مَقَامَهَا سَاعَةٌ مِنْ نَوْمِ النَّهَارِ.

(1) انظر «التفسير الميسر» (206/7).

(2) انظر «البحر المديد» لابن عَجِيبة (512/5).

(3) رواه البُخاريُّ (568) واللفظُ لَهُ، ومسلمٌ (647) بنحوه.

وما الحكمة - أيها الناس - من التَّبَكُّيرِ؟ أليس كُلُّ مسلمٍ لَهُ موعِدٌ مَعَ الرَّبِّ حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مِنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

أليس من العارِ - أيها الناس - أَنْ يَسْهَرَ أَحَدُنَا عَلَى التَّلْفَازِ أَوْ نَحْوِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَنَامُ عَنْ هَذَا الْحَيْرِ الْعَظِيمِ وَرَبَّنَا نَامَ أَحَدُنَا فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا فِي الْقَبْرِ كَمَا هُوَ حَالُ بَعْضِ النَّاسِ، فَكَيْفَ بِكَ - يَا عَبْدَ اللَّهِ - لَوْ نَمَتَ عَلَى نِيَّةِ الْقِيَامِ لَطَلَّبَ الْمَعَاشِ فَإِذَا أَمَامَكَ مِنْكَرٌ وَنَكِيرٌ بَعْدَ أَنْ تُضَمَّ ضَمَّةٌ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَمَا يَضُرُّكَ لَوْ نَمَتَ عَلَى نِيَّةِ لِقَاءِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ - فَإِنَّكَ إِنْ قُمْتَ قُمْتَ عَلَى خَيْرٍ وَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى نِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ حَسَنَةٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَلَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الرُّضُوءُ حَتَّى وَلَوْ كَانَ جُنُبًا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ

(1) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1145)، وَمُسْلِمٌ (758).

(2) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (1344)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (19)، (600).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (247) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2710).

قُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْبَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ».

وما يضرُّك - يا عبدَ الله - أنْ يبيِّنَ مَعَكَ مَلَكٌ يَسْتَغْفِرُ لَكَ بِسَبَبِ طَهَارَتِكَ فَذَلِكَ لَكَ.

ففي «مواردِ الظَّمَانِ» لابنِ حِبَّانَ بسندِ حَسَنٍ لغيرِهِ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا، بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا».

وَالشُّعَارُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ مَا يَلِي بَدَنَ الْإِنْسَانِ مِنْ ثَوْبٍ وَغَيْرِهِ.

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوِثْرُ لِمَنْ خَشِيَ فَوَاتَهُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرُكْعَتِي الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ.

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِطْفَاءُ النَّارِ وَتُخْمِيرُ الْإِنَاءِ وَإِغْلَاقُ الْأَبْوَابِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَطْفِنُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَمَّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ - وَأَخْسَبُهُ قَالَ: وَلَوْ بَعُودٍ تُعَرِّضُهُ عَلَيْهِ».

(1) «حَسَنٌ لغيرِهِ» أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «مُورِدِ الظَّمَانِ» (167)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» حَسَنٌ لغيرِهِ.

(2) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (1178) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (721).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5624)، وَمُسْلِمٌ (2012).

ومن آداب النوم - أيها الناس - نفّس الفراش والتسمية.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفّس بها فراشه وليسم الله؛ فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه».

فهذا النّفّس - أيها الناس - يكون في أول النوم لكن متى نام الرجل ثم قام لحاجته وأراد أن يرجع إلى فراشه فلينفّسه مرة ثانية وهكذا.

ففي سنن الترمذي بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم عن فراشه، ثم رجع إليه فلينفّسه بصنفة إزاره ثلاث مرات، فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، فإذا اضطجع فليقل، باسمك ربّي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فازحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، فإذا استيقظ فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد عليّ روعي وأذن لي بذكره».

وصنفة الإزار - أيها الناس - هو شقه أي جانب كان.

ومن آداب النوم - أيها الناس - كتابة الوصية.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه».

ومن آداب النوم - أيها الناس - النوم على الشق الأيمن ووضع اليد تحت الحد.

(1) رواه البخاري (6320)، ومسلم (2714).

(2) «حسن» أخرجه الترمذي (3401)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2707).

(3) رواه البخاري (2738)، ومسلم (1627).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْيَمَنِ».

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَرَاهَةُ النَّوْمِ عَلَى الْبَطْنِ

ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي فَرَكَظَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «يَا جُنَيْدُ، إِنَّمَا هَذِهِ صُجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ».

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ بَعْضِ الْأَدْعِيَةِ وَالْأَذْكَارِ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ - تَعَالَى - فِيهِ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً». أَيُّ نِدَامَةٍ.

ومن آدابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ.

ففي «صحيح البخاري»⁽⁵⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ قَالَ: قَالَ الشَّيْطَانُ إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ».

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (247) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (2710).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6314).

(3) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (3714)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (3001).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (5059)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6477).

(5) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2311).

ومن آداب النوم - أيها الناس - قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والنفث بها. ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بها على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثاً.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «النفث هو النفخ مع ريق يسير ثم يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، يمسح بهما أي بيديه ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ومقدم جسده ثلاث مرات»⁽²⁾.

ومن آداب النوم - أيها الناس - أن يكبر الله أربعاً وثلاثين ويسبح الله ثلاثاً وثلاثين ويحمد الله ثلاثاً وثلاثين.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى من أثر الرحى فأقرب النبي ﷺ بسببي فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: «على مكانكما» فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتُماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعاً وثلاثين وتُسبحان ثلاثاً وثلاثين وتُحمدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم».

(1) رواه البخاري (5017).

(2) «شرح رياض الصالحين» (1/1676).

(3) رواه البخاري (3705)، ومسلم (2727).

ووجه الخيرية في الحديث - أيها الناس - كما قال صاحب شرح مشكاة المصابيح
إما أن يراد به أن يتعلق بالآخرة والخادم بالدنيا والآخرة خير وأبقى.
وإما أن يراد بالنسبة إلى ما طلبته بأن يحصل لها بسبب هذه الأذكار قوة تقدر على
الخدمة أكثر مما يقدر الخادم عليه⁽¹⁾.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «مرعاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح» (8/263).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ - آدَابُ الْأَسْتِيقَاطِ مِنَ النَّوْمِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «بَعْضِ آدَابِ النَّوْمِ» وَالْآنَ
حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «شَيْءٍ مِنْ آدَابِ الْأَسْتِيقَاطِ».

فَمِنْ آدَابِ الْأَسْتِيقَاطِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْبَدَأُ بِالسُّوَاكِ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا
قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُورُ فَاةً بِالسُّوَاكِ.

وَمِنْ آدَابِ الْأَسْتِيقَاطِ - أَيُّهَا النَّاسُ - غَسْلُ الْيَدَيْنِ قَبْلَ غَمْسِهِمَا فِي إِنْاءِ الْوُضُوءِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا
اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمَسُ يَدَهُ فِي الْإِنْاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ
بَاتَتْ يَدُهُ».

وَمِنْ آدَابِ الْأَسْتِيقَاطِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْأَسْتِنْشَارُ ثَلَاثًا.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا
اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْشِرْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيْتُ عَلَى خِيَاشِيمِهِ».

وَمِنْ آدَابِ النَّوْمِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ذِكْرُ اللَّهِ وَالْوُضُوءُ وَالصَّلَاةُ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (245)، وَمُسْلِمٌ (255).

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (278).

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3295)، وَمُسْلِمٌ (238).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَائِمٌ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَأَصْبَحَ نَشِيطَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ».

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا حُسْنَ الْاِتِّبَاعِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ.

(1) رواه البخاري (1142)، ومسلم (776).

26 الأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

بَطَّحَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْاِحْتِسَابُ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ الْأُخُوَّةُ فِي اللَّهِ نِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ وَمِنَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (التَّغْوِيَّاتُ : 103).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصِيرَةٍ، وَيَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ

أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الْاِسْتِثْقَالُ : 62-63).

وهذه الأُخُوَّةُ الْحَاصِلَةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَائِمَةٌ عَلَى الْحَبِّ فِي اللَّهِ الَّذِي

هُوَ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيْمَانِ.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحه»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله». وللأخوة في الله - أيها الناس - فضائل عظيمة.

فمن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المتحابين في الله يُظلمهم الله في ظلِّ عرشه يوم القيامة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله - سبحانه وتعالى - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلي».

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يُظلمهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظله، (وذكر منهم) ورجلان محابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - أوجب محبته للمتحابين فيه.

ففي مُسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽⁴⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - وَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ».

(1) «حسن» أخرجه الطبراني في «الكبير» (11537)، وحسنه الألباني في «الصحيحه» (998).

(2) رواه مسلم (2566).

(3) رواه البخاري (660)، ومسلم (1031).

(4) «صحيح» أخرجه أحمد (233/5 - 247)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4331).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى مَنْزِلَتِهِ (أَي عَلَى طَرِيقِهِ) مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ - تَعَالَى - قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ، كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهَا سَبَبٌ لِتَذَوُّقِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ. فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَيْنَهُمْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ».

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -».

وَمِنْ فَضَائِلِ الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ هُمْ مَنْابِرٌ مِنْ نُورٍ، يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي هُمْ مَنْابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّيِّونَ وَالشُّهَدَاءُ».

(1) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2567).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (16)، وَمُسْلِمٌ (43).

(3) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (298/2)، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (6164).

(4) «صَحِيحٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (239/5)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (4312).

وفي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث عبادة بن الصميت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله - سبحانه وتعالى - حقت (أي: وجبت) محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمترابرين في، وحقت محبتي للمتباذلين في، المتحابون في على منابر من نور يغبطهم النيون والصديقون والشهداء».

ومن فضائل الأخوة في الله - أيها الناس - أن المرء يُحشر مع من أحب.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وما أعلمت لها؟». قال: لا شيء إلا أنني أحب الله ورسوله. فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. وفي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم؟ فقال ﷺ: «المرء مع من أحب».

قال المباركفوري رحمه الله: «يعني من أحب قوماً بالإخلاص يكون في زميرتهم وإن لم يعمل عملهم لثبوت التقارب بين قلوبهم وربما تؤدي تلك المحبة إلى موافقتهم وفيه حث على محبة الصلحاء والأخيار رجاء اللحاق بهم والخلاص من النار»
أيها الناس تلك بعض فضائل الأخوة في الله وللأخوة حقوق لا يتسع الحديث عنها مقامنا هذا، ولكن نذكر بعضها منها:

(1) «حسن» أخرجه أحمد (229/5)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4320).

(2) رواه البخاري (6388)، ومسلم (2953).

(3) رواه البخاري (5819)، ومسلم (2639).

فمن حقوقِ الأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - المُوَاسَاةُ. والمُوَاسَاةُ الحَدِيثُ عَنْهَا ذُو شُجُونٍ وَخُلَاصَتُهَا أَنَّهَا تَنْفِيسُ الْأَخِ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَاتِ الدُّنْيَا.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَقَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَقَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِجَابَةُ الدَّاعِي، وَبَذْلُ النَّصِيحَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَشُهُودُ الْجَنَازَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدْ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّوَدُّدُ وَالتَّعَاطُفُ وَالتَّرَاحُمُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النُّصْرَةُ فِي الْمَغِيبِ وَالْمَشْهَدِ.

(1) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2699).

(2) زَوَاهُ مُسْلِمٌ (2162).

(3) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6011)، وَمُسْلِمٌ (2586) وَاللَّفْظُ لَهُ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ يُخَذَلُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُتَهَكُّ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُسَقَّصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُسَقَّصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُسَهَّلُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يُحِبَّ الْأَخُ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَا يَمَسَّ الْأَخُ أَخَاهُ بِسُوءٍ أَوْ يَنَالَهُ مِنْهُ مَكْرُوهٌ يَكْرَهُهُ أَوْ أَذَى يَلْحِقُ بِهِ

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

وَمِنْ حَقُوقِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَخَالِقَ الْأَخُ أَخَاهُ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، فَيَبْدُلَ لَهُ الْمَعْرُوفَ، وَيَكْفَى عَنْهُ الْأَذَى وَيَلَاقِيَهُ بِوَجْهِ طَلِقٍ، يَقْبَلُ مِنْهُ إِحْسَانَهُ، وَيَعْفُو عَنْ إِسَاءَتِهِ، وَلَا يَكْلِفُهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ.

لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: 199).

(1) «حَسَنٌ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (4)، وَأَبُو دَاوُدَ (271/4)، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (5690).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (7)، وَمُسْلِمٌ (45).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2564).

وفي مسند أحمد بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحه»⁽¹⁾ من حديث أبي ذر
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى الله حينما كنت وأتبع السيئه الحسنه تمنحها
وخالق الناس بخلق حسن».
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «حسن» أخرجه أحمد (5/153)، وحسنه الألباني في «الصحيحه» (1373).

الخطبة الثانية - مُفسِدات الأُخوة في الله :

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «الْأُخُوَّةِ فِي اللَّهِ وَشَيْءٍ مِنْ
حَقُوقِهَا» وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «مُفْسِدَاتِ الْأُخُوَّةِ» وَهُنَّ كَثِيرَاتٌ وَسَأَقْتَصِرُ فِي
هَذِهِ الْعُجَالَةِ عَلَى بَعْضِهَا.

فمن مفسِدات الأُخوة في الله - أَيُّهَا النَّاسُ - الطَّمَعُ فِي الدُّنْيَا.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٣١﴾ (طَلْحًا : 131).

فكم من أخوين كانا متحابين تغيرت نفوسهما بعدما تعرّضا للدنيا وتنافساً في
النيل منها ومع ازدياد التعلق بالدنيا يندثر الإيثار وتحل الأنانية.

ومن مفسِدات الأُخوة - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّفْرِيطُ فِي الطَّاعَةِ وَالْوُقُوعُ فِي المَعْصِيَةِ.

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في
«الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ من حديث أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَوَادَّ اثْنَانِ
فِي اللهِ فَيَفْرُقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُجِدُّهُ أَحَدُهُمَا».

ومن مُفسِدات الأُخوة - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَغْتَابَ الْأَخُ أَخَاهُ أَوْ يَحْقِرَهُ أَوْ يَعْيبُهُ أَوْ
يَسْخَرَ مِنْهُ، أَوْ يَنْزِرَهُ بِلِقَبٍ سَوْءٍ أَوْ يَنْمَ عَنْهُ حَدِيثًا لِلإِفْسَادِ.

(1) أخرجه أحمد (2/68)، والبخاري في «الأدب المفرد» (401)، وصححه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّمَا وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَحْسَبُ بِبَعْضِكُمْ بِبَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿12﴾ (المحذرات : 12).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللَّاتِقَاتِ يَتَسَاءَلْنَ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا مَّا الَّذِي لَمْ يَأْتِكُمْ مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿11﴾ (المحذرات : 11).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ». ومن مُفْسَدَاتِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَحْسَدَ الْأَخُ أَخَاهُ أَوْ يَظُنَّ بِهِ سُوءًا أَوْ يَبْغِضَهُ أَوْ يَتَجَسَّسَ عَلَيْهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّمَا وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَحْسَبُ بِبَعْضِكُمْ بِبَعْضًا ﴿12﴾ (المحذرات : 12).

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ».

ومن مُفْسَدَاتِ الْأُخُوَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَغْدُرَ الْأَخُ بِأَخِيهِ أَوْ يَخُونَهُ أَوْ يَكْذِبُهُ أَوْ يُبَايِعُهُ فِي قِضَاءِ الدِّينِ

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴿177﴾ (البقرة : 177).

وقال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿177﴾ (البقرة : 177).

(1) رواه مسلم (1218).

(2) رواه مسلم (2563).

ومن مُفسِداتِ الأخوة - أيها الناس - عَدَمُ عَفْوِ الأَخِ عن أَخِيهِ إِذَا أخطأَ وَقَبُولِ عُدْرِهِ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(التائفة : 13).

و قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

(التوبة : 22).

وفي سُنَنِ أَبِي داوُدَ وابنِ ماجَةَ بِسَنَدٍ صحيحِ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا، أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ».

ومعنى أقال: أي عفا عنه لخطأ أو زلة.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

(1) «صحيح» رواه أبو داود (3460)، وابن ماجه (2199)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»

(2954)، و«صحيح الجامع» (6071).

نِعْمَةُ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ

27

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الْعَنْقَبَاتِ : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءِ : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الْأَنْعَامِ : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هُدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - فحديثي معكم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ «نِعْمَةِ الْجَوَالِ».

أَيُّهَا النَّاسُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا فَأَبْدَعَ مَا خَلَقَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ فِينَا الْعَقْلَ، فَمَا أَرَوْعَ مَا أَبْدَعَ فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ فَسَوَّى وَقَدَّرَ فَهَدَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَسَخَّرَ لَهُ كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ.

قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (الْبَقَرَةِ : 29).

و قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾

(الْمَلِكِ : 13).

ومن جليل حكمته وعظيم منته أنه - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

(العلق : 5).

وركَّبَ فيه مِن وسائلِ المَعْرِفَةِ من عَقْلِ وِسْمَعِ وِبَصَرِ، وِغْرَسَ فيه جِبَلَةَ التَّرَقِّي وَفَتَحَ لَهُ عوَالِمَ المُخْدَعَاتِ وِالمُخْتَرَعَاتِ، فَتَطَوَّرَ الإنسانُ عِبْرَ الزَّمَنِ ... وَأَصْبَحَ يَتَحَكَّمُ فِي أَقْطَارِ الفَضَاءِ ... وَأَغْوَارِ الأَرْضِ ... وَأَعْمَاقِ البَحَارِ ... وَفَتَحَ بِصِيرَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَن مُخْتَرَعٍ جَدِيدٍ ... فَفَقَرَ فَوْقَ المَسَافَاتِ ... وَتَخَطَّى الأوطَانَ وِالقَارَاتِ وَنَصَبَ أَجْهَزَةَ الأتِّصَالِ ... فَجَمَعَ أَهْلَ الأَرْضِ ... حَتَّى صَارَ مَنْ بَأَقْصَاها يَتَحَدَّثُ مَعَ مَنْ بِأَذْنَاهَا ... فِي كُلِّ جَنِبٍ أُذُنٌ وِاعِيَةٌ مُتَحَفِّزَةٌ لِلإِجَابَةِ عَن كُلِّ طَلَبٍ ... لَا فَرْقَ عِنْدَهَا بَيْنَ البَعِيدِ وِالقَرِيبِ ... لَا فَرْقَ عِنْدَهَا بَيْنَ المُسْتَقِرِّ فِي بَيْتِهِ ... وِالسَّائِرِ فِي الطَّرِيقِ ... لَا فَرْقَ عِنْدَهَا بَيْنَ الرَّاكِبِ جَوَّ الفَضَاءِ ... وِالغَائِصِ فِي الأَعْمَاقِ.

هذه نعمة من نعم الله - جَلَّ وَعَلَا - أَظْهَرَهَا لِلإنْسَانِ بِفَضْلِهِ، وَعَرَفَهُ لَهَا بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ ... إِنَّهُ الهَاتِفُ الجَوَّالُ ... الَّذِي شَغَلَ دُنْيَا النَّاسِ وَمَلَأَ حَيَاتَهُمْ ... اِقْتِنَاهُ الغَنِيِّ وِالفَقِيرِ ... وَاسْتَعْمَلَهُ الكَبِيرِ وِالصَّغِيرِ.

هو مِنْحَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ مِنْهُ ... لِإنْسَانِ هَذَا الزَّمَانِ.

قال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ (البقرة : 143).

وهو كَذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنَ نِعَمِ اللهِ وَالَّذِي وَهَبْنَا كُلَّ فَضْلٍ وَخَيْرٍ.

قال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴿٥٣﴾﴾ (الأنعام : 53).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴿١٨﴾﴾ (الأنعام : 18).

وقال الله - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ

عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ، ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾﴾ (الأنعام : 20).

فَوَاجِبُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى نِعْمِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (الْبَقَرَةُ : 7).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا بِرِضَا لَكُمْ﴾ (الْبَقَرَةُ : 7).

وَمِنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ نَسْتَعْدِمَهَا فِيمَا يُرِضِي اللَّهَ.

هَذَا الْهَاتِفُ سَهَّلَ لِلْإِنْسَانِ الْكَثِيرَ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ وَأَعَانَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَتَقَرُّبِهِ مِنْ مَوْلَاهُ، فَكَمْ مِنْ صَفْقَةٍ تِجَارِيَّةٍ أُبْرِمَتْ بِالْهَاتِفِ وَكَمْ مِنْ سَفَرٍ أُلْغِيَ لِعَدَمِ جَدْوَاهُ بِوَسِطَةِ الْهَاتِفِ، وَكَمْ أَسْعَدَ مِنْ آبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ حِينَ وَصَلَهُمْ بِأَبْنَائِهِمْ رَغَمَ طُولِ الْمَسَافَاتِ ... وَهُوَ أَدَاةُ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَهُوَ أَدَاةُ إِسْعَافٍ فِي الْحَوَادِثِ. وَأَدَاةُ نَجْدَةِ لِدْفَعِ الْكَوَارِثِ⁽¹⁾.

وَمِنْ كُفْرَانِ هَذِهِ النِّعْمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِخْدَامُهَا فِيمَا يُغْضِبُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - مِنْ الْمُرَاسَلَاتِ وَالْمُعَاكَسَاتِ، وَالتَّنْسِيقِ بَيْنَ عِصَابَاتِ الْإِجْرَامِ، وَالنَّهْبِ وَالسَّرِقَةِ وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالصُّوْرِ الْمُحَرَّمَةِ وَأَذْيَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَفِي حَالِ صَلَاتِهِمْ بِتِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَالرَّنَاتِ الْغَنَائِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ فَهَذَا مِنْ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ، فَضْلاً أَنْ فِيهَا أذْيَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَالتَّشْوِيشُ عَلَيْهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ، وَسَلْبُ الْخُشُوعِ عَنْهُمْ وَإِهَانَةُ لَبِثُوتِ اللَّهِ وَعَدَمُ الْمُبَالَغَةِ بِتَعْظِيمِهَا وَتَكْرِيمِهَا وَتَشْرِيفِهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الْحَجُّجُ : 32).

(الْحَجُّجُ : 32).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾

(الْحَجُّجُ : 30).

(1) انظر «الجوآل آفات و آداب» لعبيد الله المؤدب (ص 1).

أَيُّهَا النَّاسُ أَنْبَهُ مِنْ فَوْقِ هَذَا الْمِنْبَرِ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَاطَ الْعِذْرُ لِمَنْ نَسِيَ إِغْلَاقَ هَاتِفِهِ أَوْ وَضَعَهُ عَلَى الصَّامِتِ دَاخِلَ بُيُوتِ اللَّهِ فَالْإِنْسَانُ عُرْضَةٌ لِلخَطَا وَالنَّسْيَانِ فَلَا يُشَدِّدُ فِي النَّكِيرِ عَلَيْهِ وَالنَّظَرَ شَرًّا إِلَيْهِ وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ حِينَمَا لَطَفَ بِالْأَعْرَابِيِّ الَّذِي بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ أَنْ يُهْرَاقَ سَجَلٌ أَوْ ذَنْوَبٌ مِنْ مَاءٍ عَلَى مَكَانِ بَوْلِهِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ - أَوْ ذَنْوَبًا مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مَعَسِّرِينَ»⁽²⁾.

ومن كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اسْتِعْمَالُهُ لِلْمَعَاكِسَاتِ فَصَارَ دَمَارًا عَلَى صَاحِبِهِ فَكَمْ خَرَّبَ مِنْ أَسْرِ وَكَمْ فَضَحَ مِنْ بُيُوتِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (النُّورُ : 19).

ومن كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَبَادُلُ الصُّوَرِ الْمَحْرَمَاتِ، وَتَضْوِيرِ الْغَيْرِ فَكَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ فَسَدَتْ وَكَمْ مِنْ بُيُوتٍ قَدْ دُمِّرَتْ فَالْوَيْلُ لَهُؤُلَاءِ الْمَرْوَجِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (الْمَلَكَةُ : 25).

ومن كُفْرَانِ نِعْمَةِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِاللِّسَانِ أَوْ الْمُرَاسَلَةِ أَوْ الْإِتِّصَالِ فِي سَاعَاتِ مُتَأَخَّرَةٍ أَوْ إِزْعَاجُهُمْ بِأَسْلُوبٍ أَوْ بَاخِرٍ أَوْ بِإِرْسَالِ رِسَالَةٍ فِيهَا غَزَلٌ أَوْ كَلَامٌ قَبِيحٌ وَقَدْ يُرْفِقُهَا بِصُورٍ خَلِيعَةٍ أَوْ صُورَةٍ لِقَلْبٍ مَرْسُومٍ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2201).

(2) انظُرْ «الْجَوَالِ آدَابُ وَتَنْبِيهَاتُ» لِلْحَمَدِ (ص 1-2).

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذِرُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الاحزاب : 98).

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - استخدامُهُ وقتَ قيادةِ السياراتِ قُربًا يأخذُهُ الحديثُ والانسجامُ معَ المتحدثِ معه فلا ينتبهُ إلى ما يعرضُ له أثناءَ سيرِهِ في طريقِهِ وقد لا ينتبهُ إلا بعدَ أن يقعَ الفأسُ على الرأسِ.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء : 29).

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - استخدامُهُ لسماعِ الأغاني معَ وضوحِ حرمةِتهِ.

قال الحسنُ رحمهُ الله : « نزلتْ هذه الآيةُ : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بغيرِ علمٍ ﴾ . في الغناءِ والمزاميرِ »⁽¹⁾.

وفي سننِ الترمذيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحهُ الألبانيُّ في « صحيحِ الترمذيِّ »⁽²⁾ من حديثِ عمرانَ بنِ حصينِ رضيَ اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « في هذه الأمةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ ».

قال رجلٌ من المسلمين : يا رسولَ اللهِ متى ذلكَ ؟

قال : « إذا ظهرتِ القيانُ والمعازِفُ وشربتِ الخُمورُ ».

ويَدْخُلُ في ذلكَ استعمالُ نغماتِ موسيقيةِ في الجِوَالِ.

ومن كُفرانِ نعمةِ الهاتفِ المحمول - أيها الناس - تصويرُ ذواتِ الأزواجِ من إنسانٍ أو حيوانٍ أو طيرٍ أو غيرِ ذلكَ والأدلةُ قد جاءتْ تمنعُ التصويرَ عموماً.

(1) «تفسيرُ ابنِ كثيرٍ» (344/3).

(2) «صحيحٌ» أخرجهُ الترمذيُّ (2212)، وصحَّحهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الترمذيِّ» (2185).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَخْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

أيها الناس تلك الأحاديث واضحة وضوح الشمس وبعض الناس يؤول الأحاديث ويحملها على غير ظاهرها ويقول ذلك كذا وذلك كذا.

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السؤال الآتي: هل التصوير الذي تستخدم فيه كاميرا الفيديو يقع حكمه تحت التصوير الفوتوغرافي؟

الجواب: نعم حكم التصوير بالفيديو حكم التصوير الفوتوغرافي في المنع والتحریم لعموم الأدلة⁽³⁾.

وتشتد الحُرمة إذا قام الرجل بتصوير محارمه أو زوجته في هذه الهواتف وهذا خطأ وخطر عظيم؛ لأن الهواتف قد يتعرض للضياع وقد ينسأه في بيت من لا أمانة له ولا عهد.

وأستغفر الله!

(1) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2225)، ومسلم (2110).

(2) زوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5951)، ومسلم (2108).

(3) فتاوى اللجنة الدائمة تحت رقم (16205).

الخطبة الثانية - آداب استعمال الجوال :

الحمد لله رب العالمين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ «نِعْمَةِ الْجَوَالِ» وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ «آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْجَوَالِ».

فَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّأَكُّدُ مِنَ الرَّقْمِ الْمَطْلُوبِ حَتَّى لَا يَطْلُبَ رَقْمًا خَاطِئًا، فَلَا يُزْعَجَ مَرِيضًا .. وَلَا يُوقِظُ نَائِمًا وَلَا يَفَاجِيءُ آمِنًا. وَكَذَلِكَ التَّأَكُّدُ مِنْ صِحَّةِ الرَّقْمِ حَتَّى لَا يُرْسَلَ رِسَالَةٌ لِمَنْ لَا يَقْصُدُ إِرْسَالَهَا إِلَيْهِ فَيَقَعُ فِي الْحَرَجِ.

فَإِذَا كَانَ الرَّقْمُ خَاطِئًا فَلَا يَعْجَلْ فِي إِغْلَاقِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ لِئَلَّا يُسَاءَ الظَّنُّ وَإِنَّمَا يَعْتَذِرُ اعْتِذَارًا بِالِغَا وَيَعِدُّ الْمَتَّصِلَ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَنْ يَتَكَرَّرَ مِنْهُ. وَيَكُونُ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ طَيِّبَاتٍ وَأَسْلُوبٍ حَسَنِ، وَيُرْسَلُ رِسَالَةٌ لِمَنْ وَقَعَتْ الرِّسَالَةُ فِي رَقْمِهِ بِطَرِيقَةِ الْخَطَا. فَإِذَا بَدَأَ بِالْكَلَامِ جَعَلَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَهِيَ تَحِيَّةُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي أَوَّلِ لِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ ﴾ (الْاِنْشِرَاقِ : 44). وَهِيَ تَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ النَّعِيمِ

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَسَيَقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الْبُرُجِ : 73). وَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿ (يُونُسَ : 9-10).

فأول كلام المسلم مع المسلم «السلام عليكم»، والبعض اعتادوا أن تكون التحية بينهم كلمة «ألو» وأصل هذه الكلمة إنجليزية ومعناها «مرحباً»، وإذا ختم كلامه قال «مع السلامة» أو «باي باي»، وهذا خطأ وفي شرعنا وأدبنا الذي أدبنا الله به غنى عن ذلك.

والله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾

(النساء: 61).

وَالَّذِي يَبْدَأُ السَّلَامَ الْمُتَّصِلُ لِأَنَّهُ كَالْفَارِعِ لِلْبَابِ فَيُجِيبُ الْمُتَّصِلَ بِهِ بِمِثْلِهِ وَأَحْسَنَ لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فحِوًّا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

(التوبة: 36).

ثُمَّ يُعَرِّفُ نَفْسَهُ بِذِكْرِ اسْمِهِ أَوْ لِقَبِهِ لِلْمُتَّصِلِ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَظَلَّ الْمُتَّصِلُ عَلَيْهِ فِي حَيْرَةٍ مَعَ مَنْ يَتَكَلَّمُ وَمَنْ يُرِيدُ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ أَهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اخْتِصَارُ الْكَلَامِ بِمَا يَكْفِي الْحَاجَةَ دُونَ إِسْرَافٍ وَلَا تَبْدِيرٍ فِي الْمَالِ وَالْوَقْتِ.

ففي (صحيح البخاري)⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصُّحَّةُ وَالْفِرَاقُ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحْحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي (صحيح الترمذي)⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ».

(1) رواه البخاري (6412).

(2) صحيح، أخرجه الترمذي (2417)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (1933).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث خولة الأنصارية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رَجَالًا يَتَخَوُّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقِّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فإذا وَجَدَ امْرَأَةً عَلَى الْخَطِّ تَأَدَّبَ مَعَهَا وَاخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَعَلَيْهَا أَنْ تَكَلِّمَهُ بِحِشْمَةٍ وَوَقَارٍ دُونَ الْخُرُوجِ عَنْ مَوْضِعِ الْمَكَالَةِ .

وقد أمر الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (الاحزاب: 32).

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ تَسْجِيلِ الْمَكَالِمَاتِ أَوْ وَضْعِ الْجَوَالِ عَلَى مَكْبَرِ الصَّوْتِ دُونَ عِلْمِ الْآخِرِ لِأَنَّ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْخِيَانَةِ أَوْ نَوْعٌ مِنَ النَّمِيمَةِ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْجَوَالِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ التَّمَادِي فِي الْإِتِّصَالِ إِذَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْكَ فَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا لَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِ كَرَّرَ الْإِتِّصَالَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ مَّا يُسَبِّبُ الْإِزْعَاجَ وَالْإِيذَاءَ لِلآخِرِينَ.

كَمَا أَنَّ تَجَاهُلَ الْمُتَّصِلِ لِلْمُتَّصِلِ بِهِ وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُ فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَاتٍ دُونَ دَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ دَلِيلٌ عَلَى سُوءِ الْأَخْلَاقِ وَانْحِطَاطِهَا بَلْ إِنَّهُ لَيَبْنِي جُسُورًا مِنَ الْوَحْشَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَقِيَامٍ لِسُوقِ الْعَدَاوَةِ.

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ أَدَاءُ صِدْقٍ فَلَا يَصِحُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى مُسْلِمٍ فَإِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ مِنْ مَكَانٍ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكْذِبَ أَوْ يُدَلِّسَ عَلَى مُتَحَدِّثِهِ بِأَنَّهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ.

(1) رواه البخاري (2950).

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ التَّوَضُّعِ .
 وَمِنَ التَّوَضُّعِ حُسْنُ الْمُخَاطَبَةِ مَعَ الْمُتَّصِلِ عَلَيْهِ وَلِينُ الْكَلَامِ ، وَسَهْوَلَةُ الْأَلْفَافِ
 وَاخْتِيَارُ الْكَلِمَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْبُعْدُ عَنِ الْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ فِي الْكَلَامِ .

وَمِنْ آدَابِ اسْتِعْمَالِ الْهَاتِفِ الْمَحْمُولِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَا يَتَّصِلَ فِي أَوْقَاتِ
 الصَّلَاةِ وَأَوْقَاتِ الْأَكْلِ وَأَوْقَاتِ النَّوْمِ وَأَوْقَاتِ الْعَمَلِ أَوْ الْاجْتِمَاعِ أَوْ الدُّرُوسِ
 كَمَا عَلَى الْمُتَّصِلِ أَنْ لَا يُسِيءَ الظَّنَّ إِذَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَأَنْ يَلْتَمِسَ لَهُ الْعُذْرَ فِي
 عَدَمِ الرَّدِّ .

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَجَنِّبْنَا اتِّبَاعَهُ وَاجْعَلْنَا
 مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .

28 أم سليم رضي الله عنها

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابرة : 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النسبة : 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاجتراء : 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ صَحَابِيَّةٍ جَلِيلَةٍ وَمُرَبِّيَّةٍ فَاضِلَةٍ
إِنَّهَا أُمُّ سُلَيْمٍ وَأَسْمُهَا الْغَمِيضَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ بْنِ خَالِدِ بْنِ حَرَامٍ، أُخْتُ الصَّحَابِيِّ
الْجَلِيلِ حَرَامِ بْنِ مِلْحَانَ، وَأُمُّ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، تَزَوَّجَتْ قَبْلَ
الْإِسْلَامِ بِمَالِكِ بْنِ النَّضْرِ النُّجَارِيِّ، وَوَلَدَتْ مِنْهُ أَنْسًا فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ كَانَتْ
مِنَ السَّابِقِينَ.

فقد أخرج الطيالسي والسياق له ومن طريق البيهقي، وابن حبان وأحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الجنائز»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال مالك أبو أنس لامرأته أم سليم إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - يحرم الخمر فانطلق حتى أتى الشام فهلك هناك فجاء أبو طلحة، فخطب أم سليم، فكلما في ذلك، فقالت: يا أبا طلحة! ما مثلك يرُدُّ، ولكنك امرؤ كافرٌ، وأنا مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك!

فقال: ما ذاك دهرك قالت: وما دهرِي؟ قال: الصفراء والبيضاء! - أي الذهب والفضة - قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الإسلام، (فإن تسلم فذاك مهري، ولا أسألك غيره)، قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ فانطلق أبو طلحة يريد النبي ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه»، فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت (وهو الباني أحد رواة الحديث عن أنس): فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه أنها رضيت الإسلام مهراً.

وفضائل أم سليم - أيها الناس - ما لا يحتملها مقامنا هذا.

فمن فضائلها - أيها الناس - أن الرسول بشرها بالجنة.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة ثم سمعت خشخشة أممي فإذا بلال».

(1) (صحيح) أخرجه الطيالسي (2056) واللفظ له، من طريق البيهقي (4/65-66)، وابن حبان (725)، وأحمد (3/105-106)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص 38).

(2) رواه مسلم (2457).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ - أيضا - من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَلِوُ الغَمِيصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمِّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ».

ومن فضائل أم سليم - أيها الناس - أن الله - سبحانه وتعالى - عجب من صنعها بضيفها.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهد، فأرسل إلى بعض نسايه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا، والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللهُ»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رجليه، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء، فإذا جاء ضيفنا فأطفيء السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: ففعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة».

وهذا الرجل - أيها الناس - هو أبو طلحة زوج أم سليم رضي الله عنها كما في رواية مسلم.

ومن فضائل أم سليم - أيها الناس - أنه لما سكن رسول الله ﷺ في بيته أهدت له ابنتها أنسا ليخدمه.

(1) رواه مسلم (2456).

(2) رواه البخاري (4889)، ومسلم (2054).

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على أم سليم، فأتته بتمر وسمن، قال: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه، فإني صائم»، ثم قام إلى ناحية من البيت فصلّى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله، إنني خويصة قال: «ما هي؟» قالت: خادمك أنس، فم ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعني به قال: «اللهم ارزقه مالا وولداً وبارك له»، فإني حين أكثر الأنصار مالا.

فانظروا - أيها الناس - احصيئة العاقلة أم سليم أتت بولدها ليخدم رسول الله فخدمه عشر سنين، وتخرج على يديه، فإذا تظنون أن يكون

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح مختصر الشرائع»⁽²⁾ عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لي شيء صنعته لم صنعت ولا شيء تركته لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ولا مسست خزا ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أصيب من عرق رسول الله ﷺ.

فمن كان هذا النبي ﷺ أستاذة فكيف سيكون؟!

ومن فضائل أم سليم - أيها الناس - حرصها على العلم ولم يمنعها الحياء من سؤال رسول الله ﷺ حتى في أدق المسائل.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم امرأة أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن الله لا يستحي من

(1) زوارة البخاري (1982)، ومسنده (2481).

(2) «صحيح» أخرجه الترمذي (2015)، وصححه الألباني في «صحيح مختصر الشرائع المحمديّة» (296).

(3) زوارة البخاري (130)، ومسنده (313).

الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم إذا رأت الماء».

ومن فضائل أم سليم - أيها الناس - أنها شهدت مع النبي ﷺ حنيناً وأحداً. ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أنس رضي الله عنه أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها فراها أبو طلحة فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجراً فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه. فجعل رسول الله يضحك. قالت: يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهمروا بك؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن».

وأستغفر الله.

(1) زواة مسلم (1809).

الخطبة الثانية - صلابة أم سليم في دينها وصبرها⁽¹⁾ :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن شيء من مناقب أم سليم،
والآن حديثي معكم عن «صلابة أم سليم في دينها وصبرها».

فمن صلابتها في دينها ما جاء في «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث أم عطية
رضي الله عنها قالت: «بايعنا النبي ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾. وهانا عن
النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت: فلانة أسعدتني وأنا أريد أن أجزيها فلم يقل
شيئا، فذهبت ثم رجعت فما وفت امرأة إلا أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة
معاذ أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ».

والشاهد - أيها الناس - أنها التزمت ووفت لما بايعت عليه رسول الله ﷺ.

ومن صبرها، ما جاء في «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: مات
ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه، حتى أكون
أنا أحدثه.

فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأزجو أن
يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة (أي باعتبار ما فهم هو) ولكنها كانت
تقصد: هدأت نفسه واستراح في الجنة إن شاء الله.

(1) استفدت في إعداد هذه الخطبة من كتاب «جنى اللباب فيها ورد في الصبر والاختساب» للزوجة
الوافية أم الفضل أمه الرحمن بنت علي الفقيه جزاها الله خيرا.

(2) رواه البخاري (7215).

(3) رواه البخاري (1301)، ومسلم (2144/107) واللفظ له، وما بين المعكوفين للبخاري.

قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت (أي تزينت) له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها (أي: جامعها)، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك! قال: فغضب. وقال تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني! فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابِر ليلتكما».

قال: فحملت، قال: فكان رسول الله ﷺ في سفرٍ وهي معه. وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفرٍ لا يطرقها طروقاً (أي: لا يدخلها ليلاً) فدنوا من المدينة فصرَبها المخاض (أي: طلق الولادة)، فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ.

قال: يقول أبو طلحة: إنك تعلم - يا رب - أنه يُعجِبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتسبتُ بها ترى.

قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة، ما أجد الذي كنتُ أجد؛ فانطلق. فانطلقنا. قال: وصرَبها المخاض حين قدما، فولدت غلاماً، فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحدٌ حتى تغدو به إلى رسول الله ﷺ.

قال: فصادفتهُ ومعه ميسم، فلما رأني قال: «لعل أم سليم ولدت؟».

قلت: نعم، فوضع الميسم، قال: وجئتُ به فوضعتُه في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة، فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في الصبي، فجعل الصبي يتلمظها. قال: فقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى حُب الأنصارِ التمر».

قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله.

قال سُفيانُ: قال رجلٌ من الأنصارِ: فرأيتُ لهما تسعةَ أولادٍ كُلُّهم قد قرأ القرآنَ. يعني من أولادِ عبدِ الله المدعو له بالبركة الذي وُلِدَ من جماعِ تلك الليلة التي مات فيها أبو عمير الذي كان النبي ﷺ يداعبه قائلاً له: «يا أبا عمير ما فعل النغيرُ». ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ من أحسنِ الناسِ خلقاً، وكان لي أخ يُقال له أبو عمير، وكان النبي ﷺ إذا جاء يقولُ له: «يا أبا عمير ما فعل النغيرُ».

والنغيرُ - أيها الناس - هو طائرٌ أحمرُّ المنقارِ يشبهُ العصفورَ كان يلعبُ به فماتَ فحزنَ عليه، فكان رسولُ الله ﷺ يستقبلُهُ، ويقولُ له ذلك مازحاً ومُداعباً. أيها الناسُ قد دَلَّ الحديثُ على صبرِ أمِّ سُلَيْمٍ وعِظَمِ إيمانِها وكمالِ دينِها وعقلِها، فهي لم تجزغ ولم تنلغ كعادةِ النساءِ عندِ المصائبِ، ولكن تصبرتُ وتجلدتُ، فكان جزاؤها أن باركَ اللهُ لها في ذريتها.

كما في مُسنَدِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحه الوادِعِيُّ في «الصحيح المُسنَد»⁽²⁾ عن رجلٍ من الصحابةِ من أهلِ الباديةِ قال: أخذَ بيدي رسولُ الله ﷺ فجعلَ يُعلِّمُني مما علَّمهُ اللهُ - تبارك وتعالى - ، وقال: «إنك لَن تَدَعُ شيئاً اتقاه اللهُ - عزَّ وجلَّ - إلا أعطاك اللهُ خيراً منه».

قال النووي رحمه الله: «وفي هذا الحديثِ مناقبُ لأمِّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها: من عِظَمِ صبرِها وحُسنِ رضاها بقضاءِ اللهِ - تعالى - وجزالةِ عقلِها في إخفائها موتَهُ على أبيه في أولِ الليلِ؛ ليبيتَ مُستريحاً بلا حُزنٍ، ثُمَّ عَشَّتُهُ، وتَعَشَّتْ، ثُمَّ تَصَنَعَتْ لَهُ،

(1) رواه البخاري (6129)، ومسلم (2150).

(2) «صحيح» أخرجه أحمد (78/5)، وصحَّحه شيخنا الوادِعِيُّ في «الصحيح المُسنَد» (1489).

وَعَرَّضَتْ لَهُ بِإِصَابَتِهِ، فَأَصَابَهَا. وَفِيهِ اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِضِ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ لِقَوْلِهَا: «هُوَ أَسْكَنُ مِمَّا كَانَ» فَإِنَّهُ كَلَامٌ صَحِيحٌ مَعَ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ هَانَ مَرَضُهُ وَسَهَلَ وَهُوَ فِي الْحَيَاةِ وَشَرَطُ الْمَعَارِضِ الْمُبَاحَةِ إِلَّا يَضِيغُ بِهِ حَقُّ أَحَدٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ⁽¹⁾.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَضَرَبُهَا لِمَثَلِ الْعَارِيَةِ دَلِيلٌ لِكَمَالِ عِلْمِهَا وَفَضْلِهَا، وَعِظَمِ إِيمَانِهَا وَطُمَأْنِينَتِهَا»⁽²⁾.

اللَّهُمَّ ارْضَ عَن أُمِّ سُلَيْمٍ وَوَلَدِهَا أَنَسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَزَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ وَاجْمَعْ بَيْنَهُمْ مَعَ أَبِي عُمَيْرٍ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى.
اللَّهُمَّ بِحُبِّنَا هُمْ فِيكَ احْشُرْنَا مَعَهُمْ.

(1) «شرح مسلم» (ص 1347).

(2) «شرح مسلم» (ص 1493).

سعيد بن المسيب (1)

29

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

— ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

— ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ وَطَلَّقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

— ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ - ﷺ - ،
وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - حديثي معكم اليوم - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ عَالِمِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدِ
التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِ إِنَّهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ تَلْمِذُ الصَّحَابَةِ وَوَلَدُ لِسْتَيْنِ مَصْنَعًا مِنْ خِلَافَةِ
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال الدَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَى عُمَرَ، وَسَمِعَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَأَبَا
مُوسَى، وَسَعْدًا وَعَائِشَةَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَخَلَقًا سِوَاهُمْ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - .

(1) انظر «الطبقات» لابن سعيد، و«تاريخ الإسلام» للدَّهَبِيِّ، و«البدایة والنہایة» لابن كثير، و«السیر» للدَّهَبِيِّ.

وقال: وكان يَمُنُّ بَرَزَ في العلم والعمل.

أيُّها النَّاسُ لَقَدْ كَانَ سَعِيدٌ مِنَ الْمُتَمَحِّنِينَ اِمْتَحِنَ فَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ،
صَاحِبٌ عِبَادَةٍ وَجَمَاعَةٍ وَعِفَّةٍ وَقَنَاعَةٍ وَكَانَ كَاسِمِهِ بِالطَّاعَاتِ سَعِيدًا، وَمِنَ الْمَعَاصِي
وَالْجَهَالَاتِ بَعِيدًا.

أيُّها النَّاسُ سَأَقْتَصِرُ مَعَكُمْ عَلَى ذِكْرِ جَوَانِبِ مُشْرِقَةٍ مِنْ حَيَاةِ هَذَا الْإِمَامِ.
فَمِنْ تِلْكَ الْجَوَانِبِ الْمَشْرِقَةِ فِي حَيَاةِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حِرْصُهُ عَلَى
الْعِلْمِ فَقَدْ أَنْفَقَ عُمُرَهُ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ.

يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: «إِنْ كُنْتُ لِأَسِيرِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ».

وَفِي كَنَفِ الصَّحَابَةِ أَخَذَ يَنْهَلُ مِنْ نَبْعِ الْعِلْمِ الصَّافِي كَمَا كَانَ زَوْاجُهُ مِنْ ابْنَةِ
الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُنْحَةَ الرَّبَّانِيَّةَ الَّتِي هَيَّأَتْ لَهُ الْفُرْصَةَ لَسْمَاعِ
مِثَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ ذَاكِرَةِ الْوَحْيِ حَتَّى صَارَ أَثْبَتَ النَّاسِ وَأَعْلَمَهُمْ بِحَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا كَانَ مُغْرَمًا بِتَتَبِيعِ أَقْضِيَةِ عُمَرَ وَتَعَلُّمِهَا حَتَّى قِيلَ لَهُ (رَاوِيَةٌ
عُمَرَ). وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُرْسِلُ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْهَا.

قَالَ أَبُو طَالِبٍ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيَّبِ عَنْ عُمَرَ حُجَّةٌ؟

قَالَ: هُوَ عِنْدَنَا حُجَّةٌ قَدْ رَأَى عُمَرَ وَسَمِعَ مِنْهُ إِذَا لَمْ يُقْبَلْ سَعِيدٌ عَنْ عُمَرَ فَمَنْ يُقْبَلُ؟!

وَمَعَ طَوْلِ الْمُتَابَرَةِ وَالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ صَارَ سَعِيدٌ عَالِمَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِلَا مُدَافِعَةٍ
وَإِمَامَ فُقَهَائِهَا السَّبْعَةِ الَّذِينَ كَانُوا الْوَاصِلَ الْحَقِيقِيَّ بَيْنَ عَصْرِ الصَّحَابَةِ وَعَصْرِ
الْمَذَاهِبِ الْفَقْهِيَّةِ فَيَقُولُ: «مَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِقَضَاءِ قَضَائِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا أَبُو بَكْرٍ
وَلَا عُمَرُ مِنِّي».

وَقَالَ عَنْهُ قَتَادَةُ: «مَا أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ».

وعن مكحول قال: «طُفْتُ الْأَرْضَ كُلَّهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَمَا لَقَيْتُ أَحَدًا مِنْ سَعِيدٍ».

وَسَأَلَ رَجُلٌ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: أَسَأَلْتَ أَحَدًا غَيْرِي؟

قَالَ: نَعَمْ، عُرْوَةَ وَفُلَانًا وَسَعِيدَ بْنَ الْمَسِيْبِ.

فَقَالَ: أَطَعْتَ ابْنَ الْمَسِيْبِ فَإِنَّهُ سَيِّدُنَا وَعَالِمُنَا.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يُشْكِلُ عَلَيْهِ يَقُولُ: «سَلُوا

سَعِيدَ بْنَ الْمَسِيْبِ فَإِنَّهُ كَانَ يُجَلِّسُ الصَّالِحِينَ».

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: «لَا أَعْلَمُ فِي التَّابِعِينَ أَوْسَعَ عِلْمًا مِنْهُ، وَإِذَا قَالَ سَعِيدٌ

مَضَتْ السُّنَّةُ فَحَسْبُكَ بِهِ».

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: «لَيْسَ فِي التَّابِعِينَ أَنْبَلُ مِنْهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ لَا نُغْفَلَ حَقِيقَةُ هَامَّةٍ هِيَ أَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي رَفَعَ سَعِيدَ بْنَ

الْمَسِيْبِ إِلَى سَمَاءِ الْمَجْدِ بَلْ وَرَفَعَ أَيَّ أُمَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّيْنَةُ الْأُولَى فِي صَرْحِ تَقَدُّمِنَا

الْمُنشُودِ؛ فَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ الْمُسْتَقَى مِنْ رِيَاضِ الْكِتَابِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ طَرِيقُنَا إِلَى

إِمَامَةِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ!

وَاعْلَمُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ أَيَّ رُقِيٍّ بَدُونَ عِلْمٍ وَهُمْ وَسْرَابٌ ﴿كَرَّابٍ يَفِيعُو بِحَسْبِهِ

الظَّمَانُ مَاءٌ حَقٌّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.

وَمِنَ الْجَوَانِبِ الْمُشْرِقَةِ فِي حَيَاةِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - جِرْصُهُ عَلَى

الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ

فَقَدْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ فَلَمْ تَفُتْهُ صَلَاةٌ وَهَذَا رَفَعَهُ اللَّهُ وَبَارَكَ

فِي عِلْمِهِ.

فَهَا هُوَ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: «مَا فَاتَنِي الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

وقال رحمه الله : « من حافظ على الصَّلواتِ الخمسِ في جماعةٍ فقد ملأ البرَّ والبحرَ عبادةً ».

وقال : « ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنةً إلا وأنا في المسجد ».

وعن ميمون بن مهران قال : « إن سعيد بن المسيب مكث أربعين سنةً لم يلقَ القومَ قد خرجوا من المسجد وفرغوا من الصلاة ».

وعن بريد مولى ابن المسيب قال : « ما تُودِي للصلاة منذ أربعين سنةً إلا وسعيدُ في المسجد ».

وعن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيب قال : « ما دخل عليَّ وقتُ صلاةٍ إلا وقد أخذتُ أهبتها ولا دخل عليَّ قضاءُ فرضٍ إلا وأنا إليه مُشتاقٌ ».

وعن قتادة قال : قال سعيد بن المسيب ذات يومٍ : « ما نظرتُ في أقباء قومٍ سبقوني بالصلاة منذ عشرين سنةً ».

ومن الجوانب المشرقة في حياة سعيد بن المسيب - أيها الناس - حرصه على صلاة الليل. فما ترك قيام الليل منذ عرف الإسلام حتى لُقّب (راهب قرين). وكان يُكثر من قول : « اللهم سلّم سلّم ».

فإذا دخل الليل خاطب نفسه قائلاً : « قومي يا مأوى كل شرٍّ والله لأدعئك تزحفين زحف البعير ».

فكان إذا أصبح وقدماه متفختان يقول لنفسه : « بدأ أمرتُ ولذا خلقتُ ».

وعن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال : « صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنةً ».

ومن الجوانب المشرقة في حياة سعيد بن المسيب - أيها الناس - زهده في الدنيا.

فقد كان يعيش من كَسْبِ يَدِهِ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ يَتَجَرُّ بِهَا فِي الزَّيْتِ وَيَقُولُ عَنْ
هَذَا الْمَالِ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَمْسِكْهُ بَخْلًا وَلَا حِرْصًا عَلَيْهِ وَلَا مَحَبَّةً لِلدُّنْيَا وَنِيْلَ
شَهَوَاتِهَا وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَصُونَ بِهِ وَجْهِي عَنْ بَنِي مَرْوَانَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ فَيَحْكُمَ فِيَّ
وَفِيهِمْ وَأَصِلَ مِنْهُ رَحْمِي وَأُوذِيَ مِنْهُ الْحَقُوقَ الَّتِي فِيهِ وَأَعُودَ مِنْهُ عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْفَقِيرِ
وَالْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ وَالْجَارِ».

وكان من أَوْرَعَ النَّاسِ فِيمَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ وَبَطْنَهُ.

فمن طَلَحَةِ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: «كَانَ فِي رَمَضَانَ يُؤْتَى بِالْأَشْرِبَةِ فِي مَنْسَجِدِ النَّبِيِّ ﷺ
فَلَيْسَ أَحَدٌ يَطْمَعُ أَنْ يَأْتِيَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسَيَّبِ بِشْرَابٍ فَيَشْرَبَهُ فَإِنْ أَتَى مِنْ مَنْزِلِهِ بِشْرَابٍ
شَرِبَهُ وَإِنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ مَنْزِلِهِ بِشَيْءٍ لَمْ يَشْرَبْ شَيْئًا حَتَّى يَنْصَرِفَ».

ومن أقواله: «من اسْتَغْنَى بِاللَّهِ افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ».

وقوله: «الدُّنْيَا نَذْلَةٌ وَهِيَ إِلَى كُلِّ نَذْلٍ أَمِيلٌ وَأَنْذَلُ مِنْهَا مَنْ أَخَذَهَا مِنْ غَيْرِ
وَجْهَهَا وَوَضَعَهَا فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - كيف زوج سعيد بن المسيب ابنته⁽¹⁾ :
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدّم الحديث معكم - أيها الناس - عن سعيد بن المسيب وبعض من
الجوانب المشرقة في حياته، والآن حديثي معكم عن قصة زواج سعيد بن المسيب
ابنته بدرهمين.

أيها الناس لقد تزوج سعيد بن المسيب بابنة أبي هريرة رضي الله عنه فكان صهره
وكان إذا رآه قال: «أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة».

وقد أكثر عن الرواية عنه ولم ينبغ في الحديث والفقهِ جلس للتدريس وتعلّم
عليه كبار علماء زمانه ومنهم سالم بن عبد الله بن عمر ومحمد بن شهاب الزهري،
وقتادة، وعمرو بن دينار، وكان من بينهم تلميذ يدعى كثير بن أبي وداعة فقده أياماً
ثم جاء ولنذعه يحكي لنا قصته كما جاءت في طبقات ابن سعد وحلية الأولياء وسير
أعلام النبلاء.

قال ابن أبي وداعة رحمه الله: «كنت أجالس سعيد بن المسيب فققدني أياماً، فلما
جئتُ قال: أين كنت؟

قلت: توفيت أهلي فانشغلتُ بها!

فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟

فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أمليك إلا درهمين أو ثلاثة؟

فقال: أنا.

(1) انظر الطبقات لابن سعد (5/138) وحلية الأولياء (2/16)، السير (4/217).

عليه فرَدَّ عليَّ السَّلامَ، ولم يُكَلِّمَنِي حتَّى تَفَوَّضَ - تَفَرَّقَ - المَجْلِسُ، فلم يَبَقَ غَيرِي،
فقال: ما حال ذلك الإنسان؟

فقلت: خيرًا يا أبا مُحَمَّدٍ علي ما يُحِبُّ الصَّديقُ ويكرهه العَدُوُّ، فانصرفتُ إلى منزلي
فوجه لي بعشرين ألفِ درهمٍ.

قال عبدُ اللهِ بنُ سُلَيْمانَ: وكانت بنتُ سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ قد خَطَبَها عبدُ
المَلِكِ بنِ مَرْوانَ لابنِهِ الوَلِيدِ حينَ ولاءِ العَهْدِ، فأبى سَعِيدُ أن يُزَوِّجَها وزَوَّجَها
بأحدِ طُلَّابِهِ!

نور الدين محمود⁽¹⁾

30

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (التغابن: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأخلاق: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ - ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ عِلْمٍ مِنْ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ وَعَنْ قَائِدٍ مِنْ قَادَتِهِ الْعِظَامِ مِنْ أَهْلِ الْهِمَمِ الْقَوِيَّةِ وَالْعَزَائِمِ الْمَرْضِيَّةِ إِنَّهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَتَقِيُّ الْمُلُوكِ وَلَيْثُ الْإِسْلَامِ كَمَا وَصَفَهُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ⁽²⁾.

وَقَالَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «وُلِدَ وَقَتَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِحَلَبَ، وَنَشَأَ فِي كِفَالَةِ وَالِدِهِ صَاحِبِ حَلَبَ، وَالْمَوْصِلَ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْبُلْدَانِ الْكَثِيرَةِ الْكَبِيرَةِ. تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ،

(1) انظر «الهمة العالية» لمحمد بن إبراهيم الحمد فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة جزاء الله خيرا.

(2) «السيرة» (531/20).

والفروسية، والرّمي، وكان شهماً، شجاعاً، ذا همّة عالية، وقصد صالح، وحُرمة وإفرة، وديانة بيّنة⁽¹⁾.

أيها الناس لقد جمع الله - سبحانه وتعالى - لنور الدين من المناقب الشيء الكثير، وآتاه من مهيبات النبوغ، ومقومات الأملعية ما يجعله يتبوأ مكانة عالية ومنزلة سامية في تاريخ الأمة الإسلامية.

فمن تلك الصفات التي اتّصف بها نور الدين محمود التقوى والصّلاح. فلقد كان نور الدين تقياً، صالحاً، ورعاً زاهداً ذا تآله وعبادة، وأوراد، وقيام. قال ابن الأثير رحمه الله متحدثاً عن نور الدين: «فمن ذلك زهده، وعبادته وعلمه، فإنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرّف إلا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهم من الغنيمه ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكّت إليه زوجته من الضائقة، فأعطاهها ثلاثة دكاكين في حمص، كانت له يحصل له منها في السنة نحو العشرين ديناراً.

فلما استقلتها قال: ليس لي إلا هذا، وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين فيه، ولا أخوض نار جهنم لأجلك.

وكان يصلي كثيراً بالليل، وله أوراد حسنة، وكان كما قيل:

جمع الشجاعة والخشوع لرّبه ○●○ ما أحسن المخراب في المخراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون تكثير القيام في الليل.

فألبس الله هاتيك العظام وإن ○●○ بلين تحت الثرى عفواً وغفرانا

(1) «البداية والنهاية» (299/12).

سَقَى تَرَى أَوْ دِعْوُهُ رَحْمَةً مَلَأَتْ ○○○ مَثْوَى قُبُورِهِمْ رَوْحًا وَرَيْحَانًا⁽¹⁾

وقال الذهبي رحمه الله: «كان نور الدين مَلِيحَ الحَطِّ، كَثِيرَ المِطَالَعَةِ، يُصَلِّي فِي جَمَاعَةٍ، وَيَصُومُ، وَيَتَلَوُّ، وَيُسَبِّحُ، وَيَتَحَرَّى فِي القُوَّةِ، وَيَتَجَنَّبُ الكِبْرَ، وَيَتَشَبَّهُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ، ذَكَرَ هَذَا وَنَحْوَهُ الحَافِظُ ابنُ عَسَاكِرَ⁽²⁾».

وقال سِبْطُ ابنِ الجوزِيِّ رحمه الله: «كَانَ لَهُ عَجَائِزٌ، فَكَانَ يَحْيِطُ الكَوَافِي، وَيَعْمَلُ السَّكَاكِرَ، فَيَبِيعُهَا سِرًّا، وَيُفْطِرُ عَلَى ثَمَنِهَا⁽³⁾».

وَمِنَ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - العَدْلُ. فَكَانَ مُتَحَرِّيًا لِلْعَدْلِ فِي كَافَّةِ أُمُورِهِ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي العَدْلِ بَلْ إِنَّهُ كَانَ يُسَمَّى المَلِكَ العَادِلَ.

قال ابن الأثير رحمه الله: «وقد طَبَقَ الأَرْضَ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ، وَعَدْلِهِ، وَقَدْ طَالَعْتُ سِيرَ المُلُوكِ المَتَقَدِّمِينَ فَلَمْ أَرْ بَعْدَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَعُمَرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ أَحْسَنَ مِنْ سِيرَتِهِ، وَلَا أَكْثَرَ تَحَرُّيًا مِنْهُ لِلْعَدْلِ⁽⁴⁾».

وقال الذهبي رحمه الله: «صَاحِبُ السَّامِ المَلِكِ العَادِلِ نُورُ الدِّينِ⁽⁵⁾» .
وقال: «وَكَانَ نُورُ الدِّينِ حَامِلَ رَايَتِي العَدْلِ وَالجِهَادِ قَلَّ أَنْ تَرَى العُيُونَ مِثْلَهُ⁽¹⁾».

(1) انظر «الكامل» لابن الأثير (6/125)، و«البداية والنهائة» لابن كثير (12/300).

(2) «السيرة» (20/533).

(3) «السيرة» (20/537).

(4) «السيرة» (20/538).

(5) «السيرة» (20/531).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وكان يُقَوْمُ بِأحكامِهِ بِالْمَعْدَلَةِ الْحَسَنَةِ، وَاتِّبَاعِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ، وَيَعْقِدُ مَجَالِسَ الْعَدْلِ، وَيَتَوَلَّأُهَا بِنَفْسِهِ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْقَاضِي وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُفْتُونَ مِنْ سَائِرِ الْمَذَاهِبِ.

وَيَجْلِسُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْمُعَلِّيِّ الَّذِي بِالْكُشْكِ؛ لِيَصِلَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ حَتَّى يُسَاوِيَهُمْ»⁽¹⁾.

ومن تلك الصفات التي اتَّصَفَ بها نورُ الدِّينِ محمودٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْغَيْرَةُ الصَّادِقَةُ.

فقد كان ذا غَيْرَةِ صَادِقَةٍ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَعَلَى مَحَارِمِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَقَدْ تَفَتَّحَتْ عَيْنَاهُ عَلَى أحوالِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَرَدِّيةِ، وَعَلَى هَزَائِمِهِمُ الْمُتَلَاحِقَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ يُؤْلِمُهُ أَشَدَّ الْأَلَمِ فَكَانَ قَلِيلَ الْإِبْتِسَامِ فَلَمَّا وَعَظَهُ إِمَامُهُ أَنَّ الْإِبْتِسَامَ مِنْ وَصَايَا النُّبُوَّةِ قَالَ لَهُ نُورُ الدِّينِ: لَا تُؤَاخِذْنِي - أَيُّهَا الشَّيْخُ - كَيْفَ أَبْتَسِمُ وَآلَافُ الْمُسْلِمَاتِ سَبَايَا عِنْدَ كِفَارٍ لَا يَتَّقُونَ وَلَا يَرْحَمُونَ؟ وَكَيْفَ أَبْتَسِمُ وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى يُدَنِّسُهُ الْعَدُوُّ؟⁽²⁾.

ومن تلك الصفات التي اتَّصَفَ بها نورُ الدِّينِ محمودٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ.

فقد كان رَحِمَهُ اللهُ ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَنَفْسٍ كَبِيرَةٍ طَمَّاحَةٍ.

لَهُ هِمَمٌ لَا مُتَهَيِّئَ لِكِبَارِهَا ○●○ وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

فقد كانت كُلُّ أُمْنِيَّتِهِ فَتَحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَتَطَهَّرَهَا مِنْ رِجْسِ الصَّلِيبِ.

ومما يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ هِمَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي حَلَبَ وَقَتَ تَسَلُّطِ الصَّلِيبِيِّينَ وَسَيَطَرَتِهِمْ عَلَى

بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَنَّهُ قَامَ بِعَمَلِ مَنبَرٍ عَظِيمٍ وَبَالَغَ فِي تَحْسِينِهِ وَإِتْقَانِهِ وَقَالَ: هَذَا عَمَلُنَا؛ لِيُنْصَبَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

(1) «البدائية والنهائية» (299/12).

(2) انظر «أبطال ومواقف» (ص 434) بواسطة «الهممة العالية» (283).

وقد حَقَّقَ اللهُ لَهُ أُمْنِيَّتَهُ، فَفُتِحَتْ بَيْتُ الْمُقَدَّسِ عَلَى يَدِ تَلْمِيذِهِ صَلَاحِ الدِّينِ
وُنُصِبَ فِيهَا الْمِنْبَرُ وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ نَوْرِ الدِّينِ رَحْمَةُ اللهِ .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحْمَةُ اللهِ : «إِنَّ نُورَ الدِّينِ مَحْمُودًا كَانَ قَدْ عَمَلَ بِحَلَبَ مِنْبَرًا أَمَرَ
الصُّنَاعَ بِالْمَبَالِغَةِ فِي تَحْسِينِهِ وَإِتْقَانِهِ وَقَالَ: هَذَا عَمَلُنَا؛ لِيُنْصَبَ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ،
فَعَمِلَهُ النَّجَّارُونَ فِي عِدَّةِ سِنِينَ لَمْ يُعْمَلْ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ، فَأَمَرَ بِإِخْضَارِهِ، فَحُمِلَ مِنْ
حَلَبَ، وَنُصِبَ بِالْقُدْسِ . وَكَانَ بَيْنَ عَمَلِ الْمِنْبَرِ وَحَمَلِهِ مَا يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَ
هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ نُورِ الدِّينِ وَحُسْنِ مَقَاصِدِهِ»⁽¹⁾.

وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا نُورُ الدِّينِ مَحْمُودٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - الشَّجَاعَةُ .

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحْمَةُ اللهِ : «وَأَمَّا شَجَاعَتُهُ فِإِلَيْهَا النَّهْيَةُ وَكَانَ فِي الْحَرْبِ يَأْخُذُ
قَوْسَيْنِ وَتُرْكُشَيْنِ (أَي: جَعْبَةَ السَّهَامِ) لِيُقَاتِلَ بِهَا .

فَقَالَ الْقُطُبُ النَّيْسَابُورِيُّ الْفَقِيهُ: بِاللَّهِ عَلَيْكَ لَا تُخَاطِرُ بِنَفْسِكَ وَبِالْإِسْلَامِ؛ فَإِنْ
أُصِيبَتْ فِي الْمَعْرَكَةِ لَا يَبْقَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَهُ السَّيْفُ .

فَقَالَ لَهُ نُورُ الدِّينِ: وَمَنْ مَحْمُودٌ حَتَّى يُقَالَ هَذَا؟ مِنْ قَبْلِي حَفِظَ اللهُ الْبِلَادَ
وَالْإِسْلَامَ ذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»⁽²⁾.

وَقَالَ ابْنُ قَسِيمٍ يَصِفُ شَجَاعَتَهُ:

تَبْدُو الشَّجَاعَةَ فِي طَلَاقَةِ وَجْهِهِ ○○○ كَالرُّمْحِ دَلَّ عَلَى الْقَسَاوَةِ لِيْنُهُ
وَوَرَاءَ يُقْظَتُهُ أَنَاةٌ مُجْرَبٌ ○○○ لَلَّهِ سَطْوَةٌ بِأَيْسِهِ وَسُكُونُهُ⁽³⁾

(1) «الكاميل» لابن الأثير (9/184، 185).

(2) «الكاميل» لابن الأثير (9/125).

(3) الرَّوَضَتَيْنِ (1/57)، وانظر «الأدب العربي» (ص70).

وقال الذهبي رحمه الله: «وكان بطلا شجاعا، وافر الهيبة، حسن الرمي، مليح الشكل، ذا تعبد وخوف ووزع، وكان يتعرض للشهادة سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يخشره من بطون السباع وحواصل الطير»⁽¹⁾.

وقال: «قال ابن واصل: كان من أقوى الناس قلبا وبدنا، ولم ير على ظهر فارس أحد أشد منه، كأنها خلق عليه ليتحرك»⁽²⁾.

وقال الذهبي رحمه الله: «وكان يقول: طالما تعرضت للشهادة فلم أذركها. قلت: أي الذهبي - قد أذركها على فراشه، وعلى ألسنة الناس: نور الدين الشهيد»⁽³⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الهيبة الوافرة والتواضع الجم. فقد كان رحمه الله مهيبا وقورا، وفي الوقت نفسه كان جم التواضع لطيف المعشر، وتلك هي أخلاق العظماء.

قال ابن الأثير رحمه الله: «وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسانته كثيرة، ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب»⁽⁴⁾.

وقال الذهبي رحمه الله عن ابن عساكر: «وكان من رآه شاهد من جلال السلطنة وهيبته ما يبهره فإذا فاوضه رأى من لطافته ما يحيرُهُ، حكى من صاحبه حصرًا وسفرًا أنه ما سمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره»⁽⁵⁾.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد كان مهيبا وقورا شديد الهيبة في قلوب الأمراء لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه.

(1) «السيرة» (532/20).

(2) «السيرة» (537/20).

(3) «السيرة» (537/20).

(4) «الكامل» (126/9).

(5) «السيرة» (533/20).

لم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب، وأم أسد الدين شيركوه، ومجد الدين بن الداية نائب حلب وغيرهما من الأكابر فكانوا يقفون بين يديه. ومع هذا كان إذا دخل عليه أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له، ومشى خطوات، وأجلسه معه على سجاده في وقار وسكون.

وإذا أعطي أحد منهم شيئاً مستكثراً يقول: هؤلاء جند الله، وبدعائهم نُصِرُ على الأعداء، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أُعطيهم، فإذا رَضُوا ببعض حقهم فلهم المنة علينا⁽¹⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - الحرص على اتباع السنة. فقد كان حريصاً على اتباع السنة، ونشرها والعمل بها. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أظهر السنة وأمات البدعة»⁽²⁾.

وقال رحمه الله: «قد سمع عليه جزء حديث وفيه: فخرج رسول الله ﷺ متقلداً السيف، فجعل يتعجب من تغير عادات الناس لما ثبت عنه ﷺ وكيف كان يربط الأجناد والأمراء على أوساطهم، ولا يفعلون كما فعل رسول الله ﷺ ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلدينها ثم خرج هو في اليوم الثاني إلى الموكب، وهو متقلداً السيف، وجميع الجيش كذلك، يريد بذلك الاقتداء برسول الله ﷺ»⁽³⁾.

ومن تلك الصفات التي اتصف بها نور الدين محمود - أيها الناس - محبة العلم والعلماء والصالحين. فقد كان رحمه الله محباً للعلم والعلماء والصالحين.

(1) «البداية والنهاية» (302/12).

(2) «البداية والنهاية» (299/12).

(3) «البداية والنهاية» (302/12 - 303).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وكان يُكْرِمُ العلماءَ، وأهلَ الدينِ، ويُعَظِّمُهُمْ، وَيَقُومُ إليهِمْ، وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ، وَيَنْبَسِطُ مَعَهُمْ، ولا يَرُدُّ لَهُمْ قَوْلًا، وَيُكَاتِبُهُمْ بِخَطِّ يَدِهِ»⁽¹⁾.

قال ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ: «رَوَى الحديثَ، وَأَسْمَعَهُ بِالإِجَازَةِ»⁽²⁾.

وَأَمَّ جِهَادُهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَكَأَنَّهُ لَمْ يُخَلِّقْ إِلَّا لِذَلِكَ.

قال الموفق عبد اللطيف: «كَانَ نَوْرُ الدِّينِ لَمْ يَنْشَفْ لَهُ لِيَدٌ مِنَ الجِهَادِ»⁽³⁾.

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَانَ قَدْ اتَّسَعَ مُلْكُهُ جِدًّا، وَخُطِبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَبِالْيَمَنِ»⁽⁴⁾.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أَقَامَ الحُدُودَ، وَفَتَحَ الحِصُونَ، وَكَسَرَ الفِرْنَجَ مِرَارًا عَدِيدَةً وَاسْتَنْقَذَ مِنْ أَيْدِيهِمْ مَعَاقِلَ كَثِيرَةً»⁽⁵⁾.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «جَاهَدَ وَانْتَرَعَ مِنَ الكُفَّارِ نَيْقًا وَخَمْسِينَ مَدِينَةً وَحِصْنًا، وَبَنَى بِالمَوْصِلِ جَامِعًا غَرِمَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَتَرَكَ المَكُوسَ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَبَعَثَ جُنُودًا فَفَتَحُوا مِضْرَ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى التَّوَّاضُعِ وَحُبِّ العُلَمَاءِ وَالصُّلْحَاءِ، وَكَاتَبَنِي مِرَارًا، وَعَزَمَ عَلَيَّ فَتَحَ بَيْتِ المَقْدِسِ فَتَوُّفِي فِي شِوَالِ سَنَةِ تِسْعِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ»⁽⁶⁾.

قُلْتُ: قَدْ حَقَّقَ اللهُ لَهُ أُمْنِيَّتَهُ وَفُتِحَتْ بَيْتُ المَقْدِسِ عَلَيَّ تَلْمِيذِهِ صَلَاحِ الدِّينِ الأيُوبِيِّ رَحِمَ اللهُ الجَمِيعَ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) «الكامل» (125/9).

(2) «السيرة» (533/20).

(3) «السيرة» (534/20).

(4) «الكامل» (125/9).

(5) «البداية والنهاية» (299/12).

(6) «السيرة» (535/20 - 536).

الخطبة الثانية - ما أكرم الله به نور الدين محمود :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن «سيرة نور الدين محمود رحمه الله» والآن حديثي معكم عن «بعض ما أكرمه الله به».

أيها الناس إن أعظم ما أكرم الله به نور الدين محمود تلك الرؤيا الظاهرة العظيمة إنه رأى في المنام رسول الله ﷺ في نومه وهو يُشيرُ إلى رجلين أشقرين، ويقول: أنجذني أنقذني من هذين، فاستيقظ فزعاً وصلى ونام فرأى المنام بعينه فاستيقظ وصلى ونام فرآه - أيضاً - مرةً ثالثة، فاستيقظ وقال: لم يبق نوم. وكان له وزيرٌ من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي فأرسل خلفه ليلاً وحكى له جميع ما اتفق له فقال له: وما فعودك اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت. فتجهز في بقيته ليلته وخرج على رواجل خفيفة في عشرين نفراً وصحبته الوزير المذكور ومال كثيرة فقدم المدينة في ستة عشر يوماً فاغتسل خارجها ودخل فصلّى بالروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع. فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قد قصد زيارة النبي ﷺ وأحضر معه أموالاً للصدقة فاكتبوا من عندكم فكتبوا أهل المدينة كلهم وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي ﷺ فلا يجد تلك الصفة فيعطيه ويأمره بالانصراف إلى أن انفض الناس، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة، قالوا: لا، فقال: تفكروا وتأملوا، فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئاً وهما صالحان غنيان يُكثران الصدقة على المحاويع، فانشرح صدره وقال: عليّ بهما. فأتى بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي ﷺ إليهما بقوله: «أنقذني من

نذنين». فقال لهما: من أين أنتم؟ فقالا: من بلاد المغرب جئنا حاجين فاخترنا لمجاورة في هذا العام عند رسول الله ﷺ فقال: اصدقاني، فصمما على ذلك، فقال: ين منزلهما؟ فأخبر بآتهم في رباط بقرب الحجرة فأمسكهما وحضر إلى منزلهما فرأى به مالا كثيرا وختمتين وكتبنا في الرقائيق ولم ير فيه شيئا غير ذلك فأتى عليها أهل المدينة بخير كثير وقالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان للصلاة في الروضة الشريفة زيارة النبي ﷺ وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قباء كل يوم سبت ولا يرذان مائلا قط بحيث سدا حلة أهل المدينة هذا العام المجذب، فقال السلطان: سبحان له، ولم يظهر شيئا مما رآه. وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه فرفع حصيرا فرأى مردابا محفورا ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة.

فارتاع الناس لذلك وقال السلطان عند ذلك: اصدقاني حالكما، وصر بهما نربا شديدا فاعترفا بآتهم نصرانيان بعثهما النصارى في زبي الحجاج المغاربة أموالهما بأموال عظيمة وأمر وهما بالتحيل على شيء عظيم خيلته لهم أنفسهم توهموا أن يمكنهم الله منه وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلوا به ما زينه لهم إبليس في النقل وما ترتب عليه فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة وفعلا تقدم وصارا يحفران ليلا ولكل منهما محفظة جلد على زبي المغاربة، والذي يجتمع ن التراب يجعله كل منهما في محفظته ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين قبور وأقاما على ذلك مدة فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت حصل رحيق عظيم بحيث خيل انقلاع تلك الجبال فقدم السلطان صبيحة تلك ليلة وانفق إمساكهما واعترافهما فلما اعترفا وظهر حالهما على يديه ورأى تأهيل به له لذلك دون غيره بكى بكاء شديدا وأمر بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك في يلي الحجرة الشريفة وهو مما يلي البقيع ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر

خَنَدَقًا عَظِيمًا إِلَى الْمَاءِ حَوْلَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّهَا وَأَذِيبَ ذَلِكَ الرَّصَاصُ وَمَلَأَ بِهِ
الْحَنَدَقَ فَصَارَ حَوْلَ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ سُورًا رِصَاصًا إِلَى الْمَاءِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مُلْكِهِ وَأَمَرَ
بِإِضْعَافِ النَّصَارَى وَأَمَرَ أَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ كَافِرٌ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ
بِقَطْعِ الْمُكُوسِ جَمِيعِهَا⁽¹⁾.

والحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ نَوْرَ الدِّينِ مُحَمَّدَ وَاعْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ اللَّهُمَّ انصُرْ دِينَكَ وَأَعْلِ كَلِمَتَكَ
وَاجْعَلْنَا مِنْ أَنْصَارِ دِينِكَ وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَى مَا فِيهِ رِضَاكَ اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ
وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.



(1) ذكرها المحدث حمود التوحيدي رحمه الله في كتابه «الرؤيا» (ص 100-102).

وذكر مصدرها هناك عن ابن النجار في كتابه «ذيل تاريخ بغداد» والفاسي في كتابه «العقد الثمين في
تاريخ البلد الأمين» وابن الجزري في كتابه «إتحاف الوري بأخبار أم القرى» والسهمودي في كتابه
«وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى».

الفهرس

الفهرس

الصفحة	الموضوع
5	المقدمة
	- العقيدة
7	1- عظمة الله.
15	- ثمار تعظيم الله.
19	2- الخوف من الله.
26	- أسباب الخوف من الله.
31	3- الرجاء.
38	- وصية رسول الله ﷺ قبل موته.
	- الرقائق
41	1- شطر الإيمان.
47	- ما ينقض الطهور.
51	2- الإسراء والمعراج.
58	- عظمة الصلاة.
60	3- الخشوع في الصلاة.
64	- أسباب الخشوع في الصلاة.
69	4- سنن قل العمل بها.
78	- سنن منسية.

الصفحة	الموضوع
80	5- القلبُ السَّليمُ.
87	- صورٌ مُشرقةٌ لأصحابِ القلبِ السَّليمِ.
90	6- الفرجُ بعدَ الشَّدةِ.
97	- أسبابُ الفرجِ بعدَ الشَّدةِ.
100	7- الاعتداءُ في الدُّعاءِ.
107	- تكلفُ السَّجْعِ في الدُّعاءِ.
109	8- الاستقامةُ.
114	- أسبابُ الاستقامةِ.
117	9- فضلُ لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ.
124	- البُعدُ العَقْدِيُّ لهذهِ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ «لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ».
126	10- السَّعادةُ.
133	- موانعُ السَّعادةِ.
137	11- فضائلُ اليَمَنِ في الكتابِ والسُّنَّةِ.
143	- فضائلُ بعضِ القبائلِ اليَمَانِيَّةِ.
147	12- الثَّباتُ على دينِ اللهِ.
154	- من أسبابِ الثَّباتِ.
157	13- غزوةُ بدرٍ.
163	- فوائدُ من غزوةِ بدرٍ.

الصفحة	الموضوع
	- الأدب والأخلاق
165	1- علوُّ همّةٍ.
171	- علوُّ همّةٍ سلمانٍ في البحثِ عن الحقِّ.
175	2- أهميّةُ النصيحةِ.
180	- آدابُ النصيحةِ.
185	3- فضلُ صلةِ الرَّحِمِ.
192	- عُقوبةُ قطيعةِ الرَّحِمِ.
195	4- آدابُ الجوارِ.
201	- تحريمُ أذيةِ الجارِ.
206	5- الأمانةُ.
213	- من صفاتِ الموظفِ.
217	6- خطرُ الديونِ.
223	- فضلُ إنظارِ المُعسِرِ.
226	7- عِزَّةُ النَّفْسِ.
232	- الاستِغناءُ عَنِ النَّاسِ.
236	8- مِنْ صفاتِ المرأةِ المُسْلِمةِ.
246	9- من آدابِ النَّوْمِ.
254	- آدابِ الاستيقاظِ من النَّوْمِ.
256	10- الأخوةُ في الله.
263	- مُفسِداتُ الأخوةِ.

الصفحة	الموضوع
266	11- نعمة الجوال .
272	- آداب استعمال الجوال .
	- قصص وعبر
276	1- أم سليم رضي الله عنها .
281	- صلابة أم سليم في دينها .
285	2- سعيد بن المسيب .
290	- كيف زوج سعيد بن المسيب ابنته؟! .
293	3- نور الدين محمود .
301	- ما أكرم الله به نور الدين محمود .



من أحدث إصدارات دار الإيمان

السكينة

الخلق المفقود

أسبابها . موانعها . ثمرتها

تأليف

زكي عبيد الله بن محمد بن عبد الوهاب

عفا الله عنه

دار الإيمان
رقم الترخيص: ٥١٥٧٣٦٩

دار الإيمان
رقم الترخيص: ٥١٥٧٣٦٩

من أحدث إصدارات دار الإيمان

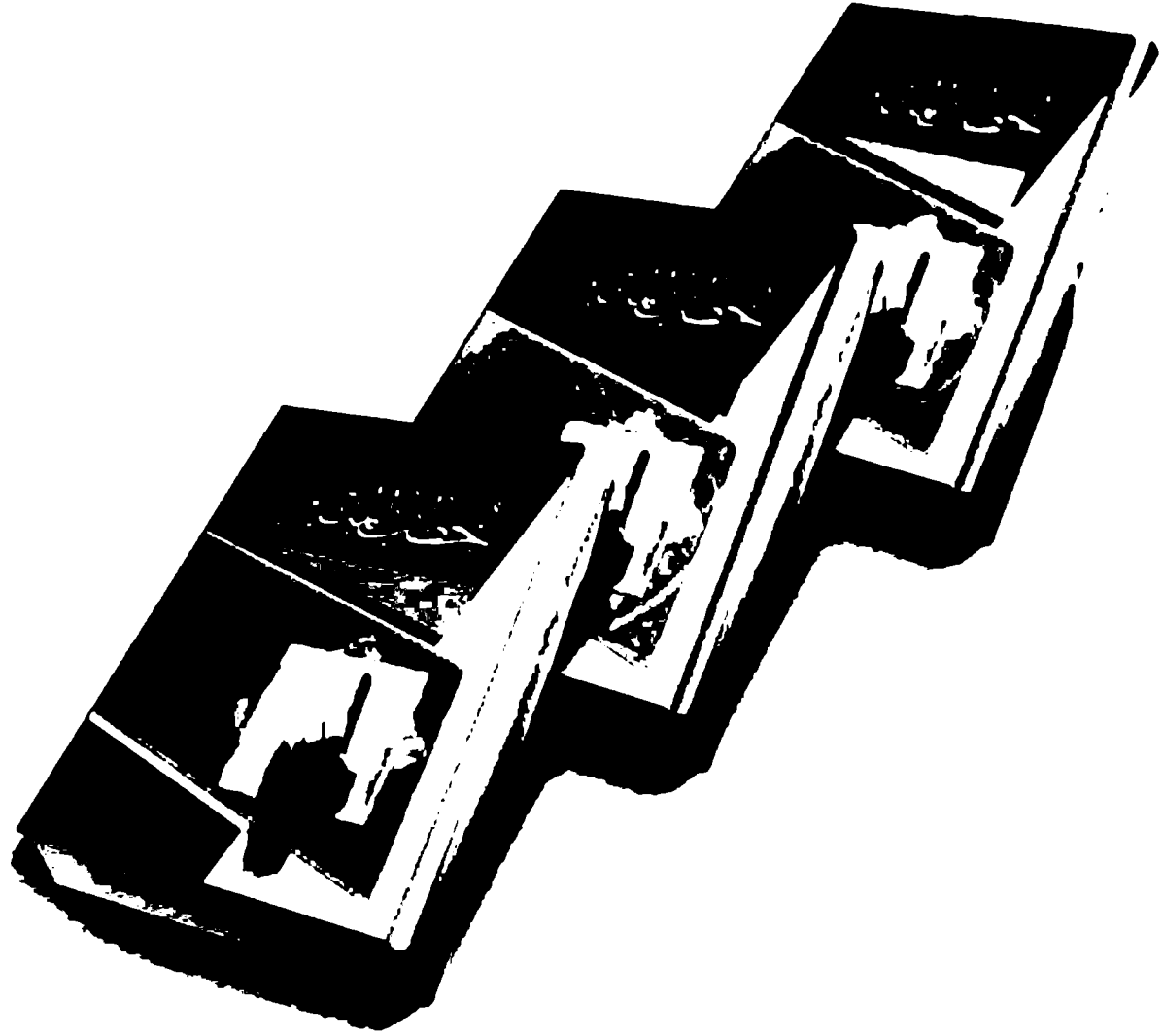
الإسراء

والتسليم لما قدر الله وقضى

تأليف

أبي عبد الله محمد بن فضال بن محمد بن قاسم بن إسري

عنا الله عنه



تطلب إصداراتنا من مكتبة ابن تيمية

اب - شارع العدين الأعلى - أمام جامع عمر بن عبد العزيز - ت ٤١١٣١٠٠ / ٠٤ - جوال ٧٧٧٤٤٧٥٢

داركم المتميزة

دار القسمة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٩٠١٧ شارع خليل الجياط - مصطفى كامل - إسكندرية
ت ٥٢٢٢٠٠٢

دار الأمان
للطباعة والنشر والتوزيع



0 001986 504452